

مختارات إسرائيلية

Israeli Digest

حرب أكتوبر في ذاكرة رؤساء الأركان

- حرب أكتوبر : هل تعلمنا من العجرفة والاستخفاف؟
- مصر صعدت إلى طريق الحرب
- سباق التسلح والرادع النووى



NOV. 1998

السنة الرابعة - نوفمبر ١٩٩٨



عدد خاص

مجلة شهرية يصدرها مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية
السنة الرابعة ـ العدد السابع والأربعين ـ نوفمبر ١٩٩٨



مختارات إسرائيلية
Israeli Digest

رئيس مجلس الإدارة
ورئيس التحرير
إبراهيم نافع
مدير المركز
د. عبد المنعم سعيد
رئيس التحرير
د. عبد العليم محمد
مدير التحرير
د.عماد جاد
المدير الفني
السيد عزمي
الاخراج الفني
حامد العويضي
وحدة الترجمة
أحمد الحملي
د. جمال الرفاعي
عادل مصطفى
محب شريف
محمد إسماعيل
منير محمود

مؤسسة الأهرام شارع الجلاء القاهرة
جمهورية مصر العربية
ت: ٥٧٨٦٣٠٠/٥٧٨٦١٠٠/٥٧٨٦٢٠٠
فاكس: ـ ٥٧٨٦٠٢٣

مطابع الاهرام بكورنيش النيل

مقدمة

احتفالية أكتوبر وبعث الذاكرة الوطنية

جاءت الاحتفالات باليوبيل الفضى لحرب اكتوبر عام ١٩٧٣ ، بمستوى الحدث الكبير فى تاريخ مصر والعالم العربى ، حيث عبرت كافة مظاهر هذه الاحتفالية عن معانى الثقة فى الذات الوطنية ، والحرص على السلام من موقع القوة والثقة فى المستقبل ، والوعى بمتغيرات العصر والتحديات التى يفرضها على مصر ودورها ورسالتها فى المنطقة .

ولاشك أن احتفالية أكتوبر الخامسة والعشرين قد توجهت بشكل خاص الى جيلين من أبناء مصر أولهما الجيل الذى عاش مرارة ومهانة عام ١٩٦٧ وثانيهما الجيل الذى لم يشهد عام ١٩٦٧ لأنه لم يكن قد ولد بعد ، وخرج الى حيز الوجود فى عام ١٩٧٣ .

ورغم ضآلة الفارق الزمنى بين هذين التاريخين ، فإن الفارق النوعى والنفسى والمادى كان كبيرا وهائلا ، ففى الوقت الذى جسد فيه الأول أى ١٩٦٧ المرارة والحسرة وفقدان الثقة وضياع الكرامة ، فإن الثانى أى ١٩٧٣ قد أعاد الثقة والكرامة والقدرة على استعادة زمام المبادأة واحترام العالم لنا واحترامنا لأنفسنا ، ذلك أنه فى هذه الفترة القصيرة فى عمر الأمم والشعوب - أى ست سنوات - تمكنت مصر بفضل إرادتها أن تنجز مالم يتصور أصدقاؤها وأعداؤها على حد سواء أنها بقادرة على إنجازه ، وفاجأت كلاهما بأداء متميز ورائع فى المعركة واستيعاب متقن لأدوات الحرب الحديثة .

وفى مقدمة أهداف هذه الاحتفالية التاريخية بعث وبناء وتدعيم الذاكرة الوطنية ، والتواصل بين حاضر هذه الأمة وتاريخها ، والكشف عن منابع العطاء وطاقات الإبداع والتجاوز الكامنة فى ضميرها ووجدانها ، وإحياء معانى التضحية والجماعية وصياغة الأهداف بوضوح ، وتغليب المصالح الجماعية للأمة على المصالح الفردية والقيم الأنانية الضيقة التى تستشرى فى حياتنا الآن ، واستكشاف إمكانات الاستجابة للتحديات التى تعترض طريق التوصل الى الأهداف التى تنشدها الأمة .

ولا يقل عن هذا الهدف أهمية تأكيد هذه الاحتفالية لطبيعة الارتباط بين السلام وتوازن القوى ، إذ ليس بمقدور الضعفاء أن ينجزوا سلاما ، اللهم إلا إذا سلموا بشروط العدو وقبلوا بالتنازلات واحدا تلو الآخر ، ولاتزال الحكمة القائلة بأنه إذا أردت السلام فاستعد للحرب سارية المفعول ، فالقوة سند للسلام العادل وليست تهديدا له .

المحرر



هاجس أكتوبر

٢٥ عاما على حرب عيد الغفران

هاتسوفيه ٢٩ / ٩ / ١٩٩٨
مقال افتتاحي

يكتمل غدا مرور خمسة وعشرون عاما على حرب عيد الغفران . كانت تلك أصعب الحروب التى شهدها تاريخ دولة اسرائيل . رغم أن الأعداء أفلحوا فى أيامها الاولى - فى الشمال والجنوب - فى احتلال أجزاء من هضبة الجولان وصحراء سيناء . وقد نجح الجيش الاسرائيلى الذى فوجئ بالهجوم المباغت من جانب جيوش مصر وسوريا فى أن يتأهب بسرعة لهجوم مضاد وفى نهاية الأمر هزمت القوات المعادية .

لقد دفعنا ثمنا باهظا فى هذه الحرب لقد سقطت حوالى ثلاثة آلاف جندى فى ساحة القتال . آلاف أصيبوا من بينهم آلاف أصبحوا مشوهين طوال حياتهم ، وقد ضمنوا ببطولتهم وروحهم الجريئة الحياة لشعب اسرائيل. سنظل نحمل لهم التبجيل فى قلوبنا والذكرى الدائمة .

لقد استخلص الرئيس المصرى - أنور السادات الذى بادر بالحرب - الدروس من فشله فى ساحة القتال. فقد قام بمبادرة مفاجئة من أجل الوصول الى سلام مع اسرائيل . وقد توصل السادات الى نتيجة تقول إنه ليس لديه أى فرصة لهزيمة فى ساحة القتال . لقد بارك الكثيرون مبادرة السلام المصرية ، بل وشاركوا أيضا إعلان الرئيس المصرى ، من فوق منبر الكنيست ، إنه لا مزيد من الحروب . ولكن عندما ننظر الآن الى الوراء نجد أنه رغم ذلك لم يختف بعد خطر الحرب . فمصر حسنى مبارك ، لم تتبن نداء السادات . إنها تبذل الجهود الكثيرة، من اجل الاستعداد لحرب جديدة ضد دولة اسرائيل . من خلال التقرير الاستخبارى الذى نشر مؤخرا على صفحات الجريدة ندرك أن الجيش المصرى يبذل الجهود والوسائل الكثيرة جداً ، تأهبا للحرب القادمة . حقا يبدو حاليا أن هناك حالة من السلام بين القاهرة والقدس ، ولكنه سلام بارد جدا لا يبشر بنهاية لعهد الحروب . رغم الجهود التى تبذلها اسرائيل للاتصال بدمشق من أجل التقدم على طريق السلام مع سوريا ، يرفض الحاكم السورى مقترحات السلام . إنه يشرط محادثاته مع اسرائيل بتعهد إسرائيلى قاطع باستعدادها للانسحاب الى الحدود الدولية. آنذاك فقط سيوافق على الحديث عن السلام بدون أن يوضح نوعية السلام التى يقصدها . ووفقا لتقارير استخبارية نجد أن سوريا تستعد أيضا لحرب جديدة ضد اسرائيل . وقد وضح ذلك من خلال الاعلام السورى . إنه يؤكد أن (المناطق التى احتلت بالقوة سوف تتحرر أيضا بالقوة) .

يجب أن يضاء النور الاحمر فى مقر الحكومة بالقدس وبخاصة لدى القيادة العليا لجيش الدفاع حتى لا تتكرر أخطاء الماضى ، وذلك على ضوء التهديدات العسكرية التى تصدر عن الرئيس السورى حافظ الاسد وأتباعه ومنظمات المخربين : حماس والجهاد الاسلامى . النتيجة المطلوبة هى أنه يجب الاستعداد لحرب جديدة ، حتى لو بدت فرص التقدم على طريق السلام أكثر احتمالا عن الماضى .

فى أعقاب الاتفاق مع مصر تم حقا توقيع اتفاق سلام بين اسرائيل والمملكة الاردنية ، ولكننا لا نزال بعيدين عن أن نتعامل مع هذا السلام على إنه سلام حقيقى وقائم. كذلك لا يجب تجاهل الملك حسين - الذى أبدى تعاملا خاصا مع اسرائيل - من توقيع اتفاق السلام بين القدس وعمان . يقول أحد التقارير ، قام الملك بزيارة مفاجئة لإسرائيل قبل اسبوع من اندلاع حرب عيد الغفران وأبلغ رئيسة الوزراء آنذاك ، جولدا مائير ، عن الحرب التى ستندلع فى الأيام

القادمة ، مع التعاون الكامل بين القاهرة ودمشق . ولكن لسبب ما ، لم تعط الحكومة الاهتمام الكافى والمطلوب لما قاله الملك .
واليوم يجد ولى عهد الملك المريض صعوبة فى السير على طريق شقيقه الملك حسين. صحيح إنه يؤيد اتفاق السلام مع اسرائيل من جانب ، ولكنه لا يتجاهل من جانب أخر أصوات المعارضة التى تزايدت فى الفترة الأخيرة من أجل تعليق العلاقات مع دولة إسرائيل . لا يتبق لنا إلا أن نحدد علاقاتنا مع المملكة الأردنية بنفس القدر. أمامنا سلام ولكنه بعيد عن أن يكون مستقرا، مثلما هو الحال بين الشعوب والدول .
لذلك ، بنظرة الى الوراء عندما نقول بتلخيص ربع قرن على حرب عيد الغفران واتفاقيات السلام التى وقعت خلال تلك الفترة الزمنية بين اسرائيل ومصر والمملكة الاردنية ، يصعب أن نقطع بأن خطر الحرب قد ولى . إنه قائم . وهذا - كما قلنا - يقتضى من اسرائيل أن تتأهب مجددا إذا وقعت لا قدر الله حرب جديدة ضدنا . كذلك إذا وجهتنا للسلام حذار علينا أن نغض البصر عن حقيقة عدم اختفاء خطر الحرب. ذلك أحد الدروس المستفادة من حرب عيد الغفران التى وقعت علينا فجأة قبل خمس وعشرين سنة .
وهذا هو أيضا التحدى بالنسبة للغد، من أجل الحفاظ على سلامة وأمن الدولة.
فى أعقاب حرب عيد الغفران ، كما قلنا ، بدأ "عهد السلام" ، ولكن لا يجب علينا أن نتجاهل سحب الحرب التى بدأت تغطى مرة أخرى سماء الشرق الأوسط . علينا أن نضع نصب أعيننا الأعداء القريبين وكذلك البعيدين عنا مثل العراق وإيران اللتين لا تكفان عن إطلاق تهديدات الحرب ضد دولة اليهود. فى الأيام الاخيرة سمعنا عن الصواريخ الايرانية طويلة المدى . وإذا أضفنا الى هذا التهديد الصادر عن وزير الدفاع الايرانى بأنه مستعد وجاهز لاطلاق هذه الصواريخ على اسرائيل فإننا نكون بذلك أمام دليل آخر بأن خطر الحرب لا يهب علينا من جانب الدول القريبة منا ، بل وأيضا من دول بعيدة عنا مثل العراق وإيران .
كذلك فى الأيام التى يكثرون فيها من الحديث عن السلام علينا أن نضع نصب أعيننا فكر نبينا "يعقوب" الذى كان متأهبا للمنحة وللصلاة وللحرب. هذا هو الدرس الهام المستخلص من مرور ٢٥ عاما من حرب عيد الغفران ، وعلينا أن نتبنى المقولة التى تقول (من يريد السلام يتأهب للحرب).

قادة الأركان وذكرياتهم عن حرب أكتوبر ١٩٧٣

معاريف
٢٥ / ٩ / ١٩٩٨
بقلم : هيئة التحرير

بمناسبة مرور ٢٥ عاما على حرب أكتوبر أو حرب عيد الغفران كما تسمى فى اسرائيل أجرت صحيفة معاريف هذا اللقاء مع قادة الأركان العامة الذين خاضوا هذه الحرب . وكانوا فى سن صغيرة وذوى رتب صغيرة ليتحدثوا عن ذكرياتهم .
- الفريق شاءول موفاز - رئيس الاركان العامة للجيش الاسرائيلى - ٥٠ عاما . كان برتبة رائد وقائد مجموعة عمليات خاصة من رجال المظلات . ويقول: "كانت الحرب من وجهة نظرى مفاجأة كبيرة جدا ففى الصباح الباكر من يوم السبت الموافق السادس من اكتوبر وصلنا الى قاعدة تل نوف .. ودخلت مكتب نائب قائد اللواء فى ذلك الوقت أمنون ليفكين شاحاك الذى قال لى : "هناك حرب .. إذهب لتستعد".
وإذا سألنى شخص ما .. هل يمكن أن تحدث مفاجأة مثل مفاجأة حرب عيد الغفران الآن ، فسوف أرد عليه قائلا : إن ما حدث لنا فى يوم عيد الغفران يكفى لكى نحسن الأوضاع حتى نكون على أهبة الاستعداد، وأعتقد أننا الآن فى وضع أفضل ولا أستبعد إمكانية وجود فجوة فى مجال المخابرات .. حيث أننا نعانى الآن من فجوة فى مجال المخابرات ، ليس بسبب عدم قدرة رجالنا ، ولكن بسبب نقص الامكانات .

****

- اللواء عوزى ديان - نائب رئيس الاركان العامة - ٥٠ عاما .. وكان فى عام ١٩٧٣ برتبة رائد وكان قائد سرية وبعد ذلك قائد تشكيل عمليات تابعة للاركان العامة .
ويقول : "لقد أصبت فى هذه الحرب حيث أطلق على أحد الجنود السوريين النار ونقلت الى المستشفى فى صفت . وقد خرجت من هذه الحرب والحزن الشديد يسيطر على، حيث قتل فيها عدد كبير جدا من أصدقائى .. أقرب أصدقائى على الإطلاق فى ذلك الوقت أميتاى نحمانى من جفعات حاييم سقط قتيلا فى هذه الحرب . وقتل أيضا ١٣ فردا من وحدتى . وقد غيرت حرب عيد الغفران شخصيتى كقائد، وأهم درس على الاطلاق خرجت به من هذه الحرب هو ضرورة معرفة العدو بصورة أكبر وعدم التقليل من قيمته وقدرته وأن نعرف جيدا أولئك الذين يعيشون فى المنطقة . وكل جيل له حرب خاصة به ، وأعتقد أن حرب عيد الغفران هى حرب جيلى وكان لها آثار محزنة "

****

- **يوم طوف ساحيا - لواء - قائد المنطقة الجنوبية - ٤٤ عاما** . وكان جنديا مقاتلا ورجل مظلات فى حرب ١٩٧٣ وهو يقول : "عندما نشبت الحرب كنا نجلس ونشاهد نهائى كأس أوروبا فى كرة السلة .. وفجأة سمعنا فى الاذاعة عن مواقعنا التى تسقط الواحد تلو الآخر .. وسيطر علينا اليأس ووصل هذا اليأس الى ذروته ظهر يوم الأحد . ولم يكن لدى قادتنا خرائط عن المواقع المصرية ولن أنسى ذلك طيلة حياتى .. وأذكر أن رقيب عمليات كان يرقد الى جوارى وفجأة سحقت رأسه .. ولم أسمعه يصرخ لم أسمع أى شئ .. وعندما نظرت تجاهه وجدته بدون رأس . وبعد مرور ٢٥ عاما على حرب عيد الغفران وكقائد للمنطقة الجنوبية فإن هذه الحرب مازالت تدور فى رأسى"

****

- **جابى أوفير - لواء - قائد المؤخرة - ٤٨ عاما** . وكان برتبة رائد فى حرب اكتوبر وقائد سرية فى لواء جولانى وهو يقول : كانت سريتى ترابط فى هضبة الجولان فى القطاع الشمالى . قطاع مجدل شمس . لم نكن نتصور أن هناك حربا . وبصورة مفاجئة فتح السوريون علينا نيران المدفعية بصورة مكثفة. وكان هناك قصف ضد جميع المواقع الامامية ولا أستطيع أن أنسى هذه اللحظة حيث إننى أعتقدت أن الموت قادم لا محال. وعلمت أن موقع الحرمون قد تم احتلاله وأن الوضع سئ للغاية وعلمت من القيادة أن عدد القتلى فى الجانب الاسرائيلى كبير جدا ونظرت ووجدت أصدقائى يرقدون على الارض بلا حراك . جثث وأشلاء . وبعد ذلك تعرضنا لهجوم بواسطة الطائرات السورية وأصبت إصابة متوسطة فى يدى وقدمى وكان يجب إخلائى بطائرة عمودية. وحتى الآن مازالت ذكريات هذه الحرب تراودنى".

****

- **يعقوب عميدرور - لواء - قائد كلية الأمن القومى - ٥٠ عاما** . كان برتبة رائد فى حرب ١٩٧٣ . ضابط مخابرات فى مجموعة قيادة متقدمة تابعة لتشكيل مدرعات وهو يقول: "على الرغم من أنه كانت هناك بعض الدلائل التى تشير الى احتمال نشوب حرب إلا أن المسؤولين عن القسم المصرى والقسم السورى فى المخابرات كانوا يعتقدون غير ذلك . وعندما نشبت الحرب تطوعت للذهاب الى بالوظة حيث قيادة اللواء الشمالى فى سيناء وكان معى مساعد ضابط المخابرات ، وكانت الأمور مبهمة وغير واضحة. وبدأنا الحرب فى بالوظة .. وأتذكر أنه عندما خرجت من الخندق بعد ظهر يوم الأحد وجدت طابور جثث لجنود اسرائيليين . وسارعت بالدخول وورائى قائد الكتيبة لفيدوت . وكان من الصعب على ضباط المخابرات أن يتصوروا أن هناك ما يمكن ان يساهموا به بعد هذا الفشل المخابراتى . وبالاضافة الى ذلك لم تكن الجبهة منظمة وفى فترة معينة من الوقت كانت مخابراتنا سيئة . وبعد الحرب حان وقت الاحباط .. وأتذكر أننى كنت فى جبل جنيفة وقتل ضابط الانذار الذى كان يعمل معى ، وأما شلومو ينائى الذى أصبح فيما بعد رئيس شعبة التخطيط فقد أصيب ".

****

- **جابى اشكينازى - لواء - قائد المنطقة الشمالية - ٤٤ عاما** . كان دارسا فى دورة ضباط فى سلاح المشاة ومقاتلا فى سرية من المستجدين فى حرب ١٩٧٣ ، وهو يقول "شاركت فى الحرب كمقاتل فى نطاق سرية تابعة لمدرسة الضباط التى ساهمت فى المعارك فى الجبهة الجنوبية فى سيناء على طول القناة . سواء فى النطاق الذاتى أو فى نطاق قيادة تشكيل إريل شارون . وكان الخوف الكبير الذى يراودنى هو أن يحولونى الى ضابط مدرعات بعد الحرب نظرا لأن المدرعات تكبدت خسائر فادحة . ولكن من حسن الحظ ، هذا لم يحدث . وأهم شئ هو أن جميع أعضاء هيئة الأركان العامة من خريجى حرب عيد الغفران . وعلى أية حال فقد زودتنا هذه الحرب بخبرة كبيرة .

****

- **موشيه يعالون - لواء - قائد المنطقة المركزية - ٤٨ عاما** . كان رقيب احتياط فى حرب ١٩٧٣ ومقاتلا فى لواء مظلات وهو يقول : كان آخر شئ أفكر فيه فى ١٩٧٣ هو أنه من الممكن أن تنشب حرب . وعندما تلقيت نبأ من وحدة الاحتياط التى أخدم فيها عرفت أن القصة حقيقية وأن هناك حرب .. وصلت الى القاعدة فى الليل وكانت الصورة التى ترسم أمام عينى هى أن دولة إسرائيل سوف تدمر وكان الوضع سئ جدا .. وفقدت أصدقاء فى الحرب وسألت نفسى :لماذا هم وليس أنا ؟ هذا سؤال صعب ولا يمكن أن أتهرب منه . وعندما أحلل الكوارث التى تحركنى فإنى أتذكر النكبة وحرب عيد الغفران . وأود أن أقول أن عنصر المفاجأة فى حرب عيد الغفران شغلنى لفترة طويلة . وقبل أن أتولى منصب رئيس شعبة المخابرات العسكرية قررت أن أحلل مفاجأة الحرب وتوصلت الى أن هذا يمكن أن يحدث لنا مرة أخرى . والشئ الذى ميز عملية تقدير الموقف قبل حرب عيد الغفران هى الثقة الزائدة بالنفس والغرور. وعندما كنت رئيسا لشعبة المخابرات حاولت أن أعلم المحيطين بى التواضع والانفتاح وإبداء الاستعداد لسماع النقد على جميع المستويات. ولا يوجد أى شخص يمكن أن يضمن الآن عدم الوقوع فى الخطأ مرة أخرى.

****

- **موشيه عيفرى سوكنيك - لواء - قائد الأسلحة الميدانية - ٥١ عاما** كان فى عام ١٩٧٣ ملازم ثانى احتياط وقائد سرية فى لواء مدرعات تم تشكيله من أجل الاسرائيليين العائدين من الخارج، وهو يقول : "عندما نشبت الحرب كنت فى رحلة فى لندن وعدت ونقلونى من المطار الى مدرسة المدرعات حيث شكلوا هناك كتيبة من العائدين من الخارج والمتطوعين وكان ايهود باراك قائدا لها . وكنت قائد سرية . وأتذكر أننى انتقلت مع قوتى الى منطقة المزرعة الصينية فى سيناء ولم نكن نعرف ماذا يدور هناك، كنا نعرف فقط أن معركة شرسة تدور فى هذه

المنطقة وأن هناك كثيرا من الجرحى يجب إخلائهم ، وكان المنظر الذى شاهدناه فى غاية البشاعة . وعندما تقدمنا وجدنا أنفسنا فى مواجهة مئات من الجنود المصريين الذين دمروا جميع الدبابات فى إحدى الفصائل التابعة لى وأشعلت فيها النيران . وأذكر أن ملازما ثان معى تلقى دانة وطار من الدبابة وتم إصابة جميع دبابات السرية بطريقة أو بأخرى، وكان الشعور الذى يساورنا مريرا للغاية . حيث كنت فى عمق المنطقة ولا توجد إلا دبابتى ونفدت الذخيرة ونجحت فى التقهقر والهروب . إننى من الجيل الذى تربى على حرب ١٩٧٦ . الجيل الذى تربى على الاعتقاد بأنه حين نطلق النار فإن العرب يهربون وأنه كانت هناك ثقة زائدة فى النفس واستهانة بالعدو . وكانت حرب عيد الغفران بالنسبة لى بمثابة تحطيم لكثير من الأساطير .

****

- ايتان بن الياهو - لواء قائد سلاح الطيران - ٥٤ عاما
كان فى ١٩٧٣ برتبة رائد وكان قائد سرب وهو يقول : "عندما نشبت الحرب نظرت الى وجوه الطيارين ورأيت شيئا لم أره من قبل حيث إن جزءا كبيرا من الطيارين بدأوا طريقهم بعد حرب ١٩٦٧ وتربوا على أسطورة سلاح الطيران وجيش الدفاع الذى يوجه ضربة خاطفة ويعود بدون أية خسائر . وكانت تعبيرات وجوههم تتساءل : لماذا يحدث الآن شئ مختلف عن الذى حدث فى عام ١٩٦٧ . وأتذكر أن السرب الذى أقوده فقد سبعة من القتلى وإثنين من المفقودين وسقط ١٣ فى الأسر . وكنت أعرف جميع القتلى وهذه طامة كبرى . وأذكر أن أحد المفقودين هو جادى سموك الذى كان معى فى دورة الطيارين . وليس هناك شك فى أن حرب عيد الغفران من أهم الذكريات وأكثرها إيلاما بالنسبة لى وتعلمت منها الكثير".

****

- شلومو ينائى- لواء - رئيس شعبة التخطيط - ٤٦ عاما وكان ملازما ثان فى حرب عيد الغفران وقائد سرية مدرعات . وهو يقول :"مساء يوم السبت السادس من أكتوبر وصلنا الى القنطرة وواجهنا قوات من سلاح المشاه المصرى وبدأنا المعركة وتفرقت الكتيبة وأصبحنا أزواجا وفرادى . وتقلص عدد الدبابات بدرجة كبيرة ، حيث إن الكتيبة التى ذهبت للحرب ترافقها ٤٤ دبابة لم يبق منها إلا ١٤ دبابة فقط . وفى الثامن من أكتوبر وأثناء الهجوم المضاد الذى انتهى بالفشل أصبت بصاروخ اخترق برج الدبابة وأصبت بكثير من الشظايا فى ظهرى ونقلونى الى المستشفى فى بئر سبع . ومن حسن حظى أن الاصابات كانت سطحية وبقيت ٣ أيام فى المستشفى وعدت مرة أخرى الى المعركة فى منطقة القناة وجهزوا لى دبابة من أجل صد هجوم مصرى ولكن من سوء حظى اخترق صاروخ ساجر مخزن الذخيرة فى الدبابة . وأذكر إننى شاهدت الصاروخ ورأيت الاصابة المباشرة ورأيت كرة اللهب ولكنى لم استطع الهروب، وكانت الاصابة شديدة جدا .. حيث انفجرت الدانات مع ٤٠٠ لتر من الوقود واحترقت الدبابة بالكامل ، وقتل طاقمها ونجحت أنا فى أن أقفز الى الخارج والنار تمسك بملابسى وأطفأت نفسى فى الرمال بينما يطلق المصريون علينا نيران أسلحتهم الخفيفة وكنت متيقظا تماما ولكن فى حالة سيئة جدا ولم استطع التحرك وكنت مصابا بحروق فى ٥٠٪ من جسدى . وكانت ٢٠ - ٣٠٪ من الحروق من الدرجة الثالثة حيث وصلت الى العظام . وبقيت ملقى لمدة ١٨ ساعة الى أن أخلونى . واستمر علاجى حتى شهر فبراير ١٩٧٤ وأجريت ١٤ عملية جراحية ولكننى لم أنته حتى الآن من العلاج التجميلى حيث لم ارغب فى ذلك .. وأذكر أننى رقدت أربعة أشهر فى السرير لا أستطيع استخدام يداى وكنت اعتمد تماما على مساعدة الآخرين ".

****

- دان حلوتس - لواء مساعد رئيس شعبة العمليات - ٥٠ عاما. وكان نقيب احتياط فى حرب ١٩٧٣ وقائد طائرة فانتوم، وهو يقول : " لقد سرحت من الجيش قبل نشوب الحرب بشهرين . واستدعونى صباح يوم السبت السادس من اكتوبر .. وأدركت أن هناك حربا .. فقدنا كثير من رجالنا فى القطاع السورى ولا تستطيع أن تذرف الدمع على كل صديق لا يعود .. لا لشئ إلا لأن الدموع قد انتهت ولأن هذا يؤدى الى إحباط مميت . وأذكر أن اليوم الثانى للحرب ، السابع من أكتوبر كان عنيفا للغاية .. حيث فقدنا خمسة طائرات فى طلعة واحدة وأما الطائرة السادسة فقد أصيبت إصابة شديدة وأدركنا أننا لسنا مسيطرين على الوضع ، حيث إننا توجهنا لمهاجمة الصواريخ السورية بدون معلومات مخابراتية كاملة ، وسيطر الاحباط علينا ".

****

- عاموس ملكا - لواء - رئيس شعبة المخابرات - ٤٥ عاما . كان فى عام ١٩٧٣ مستجدا فى دورة للضباط ، وقاتل مع بعض المستجدين الذين تم جمعهم بصورة عشوائية، وهو يقول : " أذكر أنه بعد ٢٤ ساعة من القتال أدرك أصحاب القرار فى إسرائيل أن خسائرنا كبيرة جدا . ومعظم القتلى من الضباط وكنت مكلفا بمهام بسيطة فى ممرى متلا والجدى فى وسط سيناء مثل تأمين رجال المدفعية وأذكر أن كثيرا من رجال المدرعات بالذات قتلوا فى الحرب، وأؤكد أن حرب عيد الغفران كانت أكبر نكبة فى تاريخ شعبة المخابرات ، ويسألون فى سلاح المخابرات .. هل مفاجأة عيد الغفران يمكن أن تتكرر مرة أخرى ؟ إن هذا السؤال يشغل كل من يجلس على مقعد رئيس شعبة المخابرات.

****

- جاد نافون - لواء الحاخام الأكبر لجيش الدفاع الاسرائيلى - ٧٦ عاما- كان برتبة عقيد فى عام ١٩٧٣ ونائب الحاخام الاكبر لجيش الدفاع وهو يقول : " عندما نشبت الحرب عبأت جميع قادة الحاخامية العسكرية وجميع رجال الاحتياط وشكلنا ٤٥ مجموعة لاخلاء القتلى فى

الجولان وبعد ذلك طرت الى سيناء وشكلت هناك ٩٣ مجموعة لاخلاء القتلى وأقمنا خيمة للتعرف على الجثث . وكان هناك ١٢٠٠ قتيل يجب التعرف عليهم في الجنوب فقط . وكنا نخلي القتلى ونتعرف عليهم وكانت مهمة صعبة للغاية ومسئولية كبيرة . وفي حالة معينة كان هناك قتيل لم نتمكن من التعرف عليه ، حيث كان يضع في إصبعه خاتم زواج محفور عليه تاريخ وإسم سيدة . وتوجهنا الى جميع الحاخاميات لنسأل عن الرجل الذى تزوج في اليوم الفلاني سيدة تسمى فلانة . وتوصلنا الي إسمه " .

****

- **أهرون زئيفي - لواء - رئيس شبعة التكنولوجيا - ٥٠ عاما** - كان رائدا في حرب ١٩٧٣ وقائدا في مجال المخابرات والانذار في الجبهة الجنوبية، وهو يقول : " وصلت الي سيناء بعد ظهر يوم السبت السادس من أكتوبر .. ورأيت المفاجأة . وكانت حالة من الذهول قد سيطرت عليَّ .. رأيت أول المصابين . وسقطت جميع النظريات . فقد كنا نعتقد أن المصريين لا يمكن أن يديروا حرب بعد ١٩٦٧ . واعتقدنا أنهم لن ينجحوا في عبور القناة ، وكان العمى والفشل الذريع في مجال المخابرات والمجال السياسى يسيطر علينا. وأنا شخصيا فشلت في مهمتي وهي الانذار بالحرب وها هي النتيجة أمام أعيننا .. إنه شئ صعب حيث كنت تستمع عبر جهاز الاتصال أن هناك جنودا اسرائيليين في أزمة ، يسألونك هل يتركون الموقع أم لا . كنت أعمل في ظروف صعبة للغاية وكنت منفصلا عن الأحداث ولا أعرف شيئا ولا أرى شيئا . وعلى أية حال فإن كارثة عيد الغفران تطاردني عندما أقوم بأي عمل لدرجة أن موضوع رسالة الماجستير كان عن المفاجأة في حرب عيد الغفران ".

****

- **يهودا سجيف .. لواء .. رئيس شعبة الأفراد .- ٤٧ عاما.** كان برتبة رقيب أول في حرب عيد الغفران، ثم الضابط المسؤول عن البحث عن المفقودين وضابط سكرتارية كتيبة نحال، وهو يقول : " أهم حدث في الحرب هو ذلك العقيد الذى كان يبحث عن إبنه في منطقة القناة وكان يائسا . وشاركت في تخليص وإخلاء جثث طاقم أول دبابة عبرت القناة حيث أصيبت وغاصت في المياه . وكانت المفاجأة أن الابن كان ضمن طاقم هذه الدبابة . ووقف الأب وشاهد كل ذلك . وأذكر أيضا إنني التقيت مع كثير من المواطنين الذين ادعوا أنهم من رجال الاحتياط بهدف البحث عن أبنائهم . وانتقلت بين الوحدات وشاهدت القادة متجهمي الوجه والجنود الذين فقدوا بريقهم .. لقد خضنا حربا وكان هناك قتلى ومصابين .

حروب اختيارية وما بينها

هآرتس ٢٥ / ٩ / ١٩٩٨
بقلم : زئيف شترنهل

يعلم الجيش أن أغلب المستوطنات ، بما في ذلك كل الاستيطان في هضبة الجولان ، لا تخدم الأمن وإنما تمثل عبئا أمنيا . هل هناك متطوع في هيئة الاركان يكتب مذكرة عن هذا ؟.

في حياة الجيل الذى حارب في سيناء وهضبة الجولان منذ خمس وعشرين سنة ، لعبت حرب عيد الغفران دورا ذا مغزى بشكل مدهش. فمن جانب كانت هذه فترة استيقاظ ونضوج ، فقد أدرك الكثيرون أن هذه الحرب البطولية كانت حربا مجانية ، حربا دعت اليها حكومة اسرائيل بأعين مفتوحة، بل وكانت على استعداد لأن تدفع ثمنها في شتاء عام ١٩٧٣. كان يبدو أن الأمور لن تعود أبدا الى ما كانت عليه . رغم ذلك ، ومن جانب آخر وبعد مرور أقل من عشرين عاما ، دخلنا مرة أخرى حربا اختيارية ، ومرة أخرى وقع ضحايا بلا مقابل مع إظهار وحدة وطنية كاملة، واتضح مرة أخرى أن الترجيح قد تغلب على الفكر المستقيم ، وتأكد مرة أخرى أن السلطة - أي سلطة - قادرة دائما على أن تقود المجتمع بشكل أو بآخر الى أي هدف . هذه الحقيقة تمثل الى اليوم العامود الفقرى لواقعنا السياسى .

كانت هناك حربان مختلفتان كل عن الأخرى . على المستوى القتالي كانت حرب عيد الغفران شديدة الوطأة ، وقد صاحب المقاتلون احساسا طوال معارك التصدى بأن الجيش قد إنحطت قوته الى أقصى حد ممكن . في المقابل، بفضل التفوق التام الذى يتمتع به جيش الدفاع في لبنان ، كان يبدو أن الحسم سوف يتحقق بسرعة وسهولة . آنذاك تأهبت اسرائيل لحرب خاطفة ، حرب مرفهة حقا.

ولكن حرب الخدعة الكبرى في عام ١٩٨٢ لم يكن بها جديد : فالثورة الكبرى حدثت غداة حرب الايام الستة . آنذاك وضع تقليد جديد وهدام ، أي أن الجيش الذى فقد طابعه كميليشيات من مدنيين في ملابس مدنية يخرجون للدفاع عن ديارهم ، كان - عن علم وصراحة - أداة في أيدى السلطة التى يحق لها أن تطالب المجندين في الخدمة الالزامية وأفراد الاحتياط معا تقديم ضحايا مجانا وفقا لما

تراه وبدون محاسبتها . كان هذا هو مغزى حرب الاستنزاف ، والتى كانت حرب عيد الغفران الإمتداد الطبيعى لها - وكان هذا هو مغزى حرب لبنان والتى تعتبر حرب العصابات الدائرة الآن فى الحزام الأمنى الامتداد الطبيعى لها أيضا.
كانت عملية قدش (حرب ١٩٥٦) أيضا حربا اختيارية ، ولكن بما أنها انتهت بسرعة، وكانت الخسائر فيها قليلة نسبيا ولم تتم فيها أعمال احتلال ، حيث أجبرت اسرائيل على العودة فورا الى حدود الهدنة ، فإن تأثيرها تلاشى تدريجيا . فى وعينا العام نجد أن حرب الأيام الستة ، وهى الحرب التى خضناها ردا على خطر يهدد وجودنا ، بعد ثلاثة أسابيع من المحاولات اليائسة لعدم حدوث مواجهة ، قد محت تماما سواء بسبب أبعادها وسواء بسبب جوهرها ، تلك الغارة الطويلة التى قمنا بها فى عام ١٩٥٦. كانت حرب الأيام الستة نقطة الذروة التى أنهت - فى آن واحد - عهدا وبدأت عهدا جديدا. حقا، كانت هذه آخر حرب غير اختيارية ، وفى أعقابها بدأ عهد الحروب الذى كان فيها المدنى - الجندى ليس إلا قطعة على رقعة الشطرنج. هذا هو المفهوم المشترك لحرب الاستنزاف وحرب عيد الغفران وحرب لبنان وحرب العصابات التى تدور هناك الآن . ويكشف هذا الاساس المشترك أحد المشاكل الرئيسية للواقع الاسرائيلى حتى هذا اليوم ، ولذلك يجب التمعن فى تكوينها .
غداة النصر الكبير فى يونيو ١٩٦٧ ، أكدت إسرائيل تحت قيادة حزب العمل ، إنها لن تتحرك عن الخطوط التى توقفت عندها وحدات المدرعات الأمامية فى آخر يوم للمعارك. فى ذلك الوقت بدأت اسرائيل فى توطين المناطق وطرح مشروعات ضم كبيرة. بدأ التوافد على الجولان فور وقف إطلاق النار. ومشروعات الضم ، بما فى ذلك ضم جبل الخليل وخور الاردن ، قد تبلورت قبل مؤتمر الخرطوم فى أغسطس ١٩٦٧ . وقد رفضت الدول العربية المهزومة هذا القهر الاسرائيلى وبدأت حرب الاستنزاف بعد انتهاء المعارك . وقد ردت اسرائيل فى سيناء ببناء خط التحصينات ، وهكذا قدمت لمصر على صينية من فضة الطريق المؤدى الى تحقيق الأهداف المحدودة لحربها . لم يكن قرار بناء خط التحصينات ، الذى تتراوح المسافة بينها من ٥-١٥ كيلو مترا ، مجرد خطأ عسكرى أو عمل غبى آخر فى سلسلة قرارات مليئة بالكوارث ، هذا القرار عبر عن مدى السقوط التام للجهاز المتخصص فى عبودية الاعتبارات السياسية .
وبالفعل ، بعدما قررت الحكومة أنه لم يتم الانسحاب من أى سنتيمتر من الاراضى التى احتلت فى حرب الايام الستة ، منحتها القيادة العسكرية الغطاء العسكرى . بدلا من القول للحكومة أنه ليس هناك أى منطق عسكرى للاحتفاظ بالقناة عن طريق التحصينات ، وأن الثمن البشرى لا يمكن تحمله ، قدم حاييم بارليف الاجابة التى كانت مائير والسياسيون المحيطون بها فى انتظارها . لم يبلغ رئيس الاركان الحكومة بعدم إمكانية الدفاع عن سيناء من خط مائى. وبدلا من إعلام الحكومة بحقيقة أن قناة السويس ليست عائقا ، وأن العائق الارضى الذى لا تغطيه النيران يساوى قشرة ثوم ، وأن المواقع الدفاعية غير المؤهلة لأن يحمى كل منها الآخر تصبح فريسة سهلة للقوة المهاجمة ، وفَّر الجيش لرجال السياسة التغطية المتخصصة فى شكل احساس مزيف بالأمن . لسوء الحظ ، أثبتت القناة جدارتها كعائق ضد الدبابات ، ولكن فى الاتجاه غير الصحيح - فقد عبرها المصريون بسهولة - ولكننا دفعنا ثمنا باهظا جدا حتى نجحنا فى الحصول على انتقال الى الضفة الغربية . فى ذلك الوقت ، فى صيف عام ١٩٧٣ ، لم تكن الحكومة تعلم - على مايبدو - حقيقتين أساسيتين أخريين : أولا ، حدود قوة سلاح الطيران الذى لم يكن قادرا على اختراق حوائط الصواريخ وأن يقدم الدعم للقوات البرية فى آن واحد ، والثانية عدم قدرة المدرعات على عبور القناة بشكل منظم وبقوات كبيرة . أما مسألة ما إذا كانت هذه الموضوعات قد طرحت على رئيسة الوزراء ، أم أنها لم تتطرق إليهم خوفا من أن تستوجب النتائج ليس فقط تغيير فى إعادة تقييم القوى بل وتبنى سياسة أخرى - فقد ظلت مسألة مفتوحة .
ومن المعروف أن السياسيين يحبون سماع الانباء الطيبة ، ولذلك كان بارليف محببا اليهم . ومن خلال ذلك أساء رئيس هيئة الاركان استخدام منصبه كجهة عسكرية مسئولة ومستقلة ، وكخادم للجماهير ، والذى يتعين عليه أن يطرح على رئيس الوزراء الرأى المتخصص والشامل والخالص من اعتبار أن يجد هذا الرأى استحسانا لدى السلطة .
لقد جاءت مواقفه المتطابقة مع تمنيات جولدا مائير ووزرائها ومستشاريها وكاتمى أسرارها ، من أجل خدمة الخطأ القديم لحركة العمل : أى التعامل مع نتائج حرب الأيام الستة على إنها تجسيد للصهيونية وإنتهاء حرب الاستقلال . بفضل العمل الهادئ داخل الحظيرة، استحوذ رئيس هيئة الاركان لنفسه على مكانة فى القيادة السياسية . وعندما حان وقت تسديد فاتورة الرعونة جلس بارليف الى مائدة الحكومة ، بينما تحمل دافيد اليعازر تبعة الحرب على أكتافه.
خلال ذلك تبلور نوع هدام من السلوك - أى اندماج رئيس الاركان مع القيادة السياسية أثناء فترة خدمته . صحيح أن موشى ديان كان رئيس اركان سياسيا ، ولكن كان هذا فى بداية الدولة ، عندما كان هو نفسه ، قبل أن يكون رئيسا لهيئة الاركان ، يشارك فى اجتماعات مركز حزب الماباى . منذ ذلك الحين ، كانت هناك مياه كثيرة يجب أن تتدفق الى البحر، ولكن يبدو أنه كان وهما.
كانت مشكلة خط بارليف فى بؤرة مناقشات لجنة التحقيق الرسمية ، برئاسة القاضى أجرانات . ولكن بدلا من إعادة النظر فى النظرية الأساسية للدفاع عن سيناء ، والتى كانت نتاجا مباشرا لخضوع المتخصصين خدام الشعب لرجال

السياسة ، عملت اللجنة من خلال منظور مشوه من الأساس : أي الافتراض بأن النظرية العامة كانت صحيحة بينما كان تنفيذها فاشلا. في هذا الصدد كان الفخ الذي سقطت فيه اللجنة، عندما تبنت نظرية تقول إن فشل جيش الدفاع في صد الغزو المصري نبع من سوء تقدير للقوات على خط القناة . في مقال نشره بعد فترة قصيرة من الحرب، قال بارليف أن الخط قد سقط في الاختبار لعدم حسن توزيع القوات فيه ، وقد وافقت اللجنة على هذه النظرية لأنها كانت مريحة بالنسبة للحكومة ، وهكذا أنقذت القيادة السياسية ، على الاقل مؤقتا ، من الغضب الجماهيري . فقد حملت قائد المنطقة العسكرية الجنوبية ، اللواء شموئيل جونين (جوروديش) مسئولية الهزيمة . لقد دمرت حياة هذا الجندي المحترف ، بطل الحرب الحقيقي ، بلا مساندة سياسية وبلا زملاء في المواقع الصحيحة .

وقد اتضح فيما بعد أن قرار احتلال الخط بلواء دبابات واحد وليس لواءين على خط المياه - وهو القرار الذي بسببه تم عزل جونين - أنقذ حوالي نصف القوة المدرعة في سيناء . كذلك لم يكن القرار النهائي له، وإنما كان قرار رئيس هيئة الاركان ، ونفذه قائد المنطقة .

لحسن حظنا، إن اليعازر (وادو) قد اتخذ قرارا صحيحا ولم يختلف جورودیش معه . فلو كان تم احتلال خط المياه وفقا للخطة الأهلية ، كان ذلك يقتضي انتشار لواءين دبابات موزعة على فصائل وسرايا بين المواقع أو بالقرب منها ، ولوقعت خسائر فادحة لوحدات المدرعات النظامية . في الحقيقة ، إن كل جندي جرح ، وكل دبابة أصابتها عطب في اليوم الاول للمعارك ، كانت خسائر بلا مقابل . من المنظور الذي يهمنا هنا يجب أن نذكر أيضا ذلك الصراع الصامت الذي أداره يسرائيل طال وإيريل شارون ضد خط بارليف ، لقد ساهم اعتراضهما على التناغم المريح ، والذي كلفنا ثمنا دمويا في حرب الاستنزاف ، في عدم وصولهما الى القمة - لم يحب رجال السياسة أبدا وجود أفراد بجوارهم يقلقون راحتهم . حقا إن هذه الموضوعات لا ترد في البرامج الدراسية للكليات العسكرية ، ولكن هذا الدرس استوعب جيدا عن الكثير من الدروس الأخرى .

بعد مرور عشر سنوات تغيرت الاشخاص العاملة، ولكن ليس المبادئ . كان وزير الدفاع إيريل شارون قائدا للجيش ، بينما كان رئيس الاركان رفائيل إيتان رئيسا للعمليات . وضع شارون فكرة احتلال لبنان حتى يتم ضرب قواعد منظمة التحرير منها وجعل هذا البلد المجاور . بعد تنصيب بشير الجميل زعيم الكتائب المسيحية - دولة تحت الحماية الاسرائيلية . لم يكن هناك من يقول للحكومة أن عملية (سلام الجليل) لا تمت بصلة لا للسلام ولا للجليل ، وأن الهجوم على الجيش السوري كان مخططا من البداية كجزء من العملية الكبرى ، مثلما كان تدمير جزء من بيروت جزءا فعليا من الخطة العامة. لقد أدرك الجيش أن الأهداف الحقيقية للعملية تختلف جدا عن تلك التي وافقت عليها الحكومة ورغم ذلك لم يصدر في هيئة الأركان أي تحفظ جاد واحد . مناحم بيجين - الذي لم يكن يتمتع أبدا بأي فكر عسكري - لم يفهم على مايبدو أن غزو لبنان بحجم ضخم من القوات تم حشدها من أجل (عملية أورنيم) مع محاولة تنصيب الأقلية المسيحية لتحكم الاغلبية المسلمة ، سوف يؤدي بالضرورة الى حملة احتلال وحشي، وسقوط ضحايا بلا مقابل ، والتورط المباشر في الحرب الاهلية اللبنانية ، المليئة بجرائم الحرب وهذه الظاهرة مستمرة الى اليوم مدا وجزرا .

لا أحد ينتظر من رئيس الأركان شاؤول موفاز ، والذي ستطارده ظروف تعيينه في هذا المنصب حتى آخر يوم له في مكتب رئيس الاركان ، أن يبدي ويتخذ مواقف حاسمة وغير متوافقة مع الذين يدين لهم وبفضلهم عليه في الوصول الى هذا المنصب. ولكن حتى الذين سبقوه في المنصب لم يتميزوا بالاستقلالية المناسبة الجديرة بالاشادة .

تعلم قيادة الجيش إنه لا يوجد حل عسكري في الشمال، ولكنها لا تجرؤ على اتخاذ موقف مخالف ، مثلما كان يعتبر مخالفا منذ ٢٥ عاما، حيث إن نظرية الاحتياجات الأمنية تقتضي بالذات انسحابا من خط القناة وليس التمسك به . مازال الجيش يواصل تقديم الضحايا في لبنان مجانا ، يعلم الجيش أن الخيار يكون بين وجود مستوطنات صغيرة ومنعزلة مثل نتسريم وبين خلق تعايش مع الفلسطينيين ، ولكن لم يكن باراك بطلا كافيا حتى يقول لاسحاق رابين أن عليه الاختيار بين نتسريم وبين صنع حدود سلام مع غزة بعد كل هذا ، هل كان يمكن أن نطالبه بالتضحية بمستقبله السياسي في ظل رابين وكخليفته المنتظر ؟

يعلم الجيش أن الغالبية العظمى من المستوطنات ، بما في ذلك الاستيطان في هضبة الجولان ، لا تخدم الأمن وإنما تمثل عبئا أمنيا .فهل يوجد في هضبة الاركان من يتطوع ويكتب مذكرة عن ذلك ؟ كذلك أمنون شاحاك وماتان فيلنائي يتكلمون الآن فقط . إنهم ليسوا اسوأ ممن سبقوهم ، بل إن العكس هو الصحيح ، إنهم يتفوقون بقوة شخصيتهم على كثيرين في القيادة العسكرية . ربما بسبب ذلك بالذات يمكن أن نسأل أين كنا بالضبط في العامين الأخيرين؟ هل كانت هناك اجتماعات مغلقة مع رئيس الوزراء أفصح فيها نائب رئيس الاركان فيلنائي عن مواقفه بنفس الشكل الذي نشره مؤخرا في أجهزة الاعلام ؟

إن الاستعداد للمخاطرة مطلوب ليس فقط في ساحة القتال ، يمكن أن ننتظر من ضباط كبار في الساحة استقلالية فكرية وشجاعة عند مائدة المباحثات . من حق المجتمع أن يطرح هذا المطلب المتواضع أمام من سيقودون أبناءه في ساحة المعركة .

****

تعليق بقلم شلومو جازيت - هآرتس ٢ / ١٠ / ١٩٩٨

تعليقا على مقال زئيف شترنهل - اعتمد المقال على ثلاثة

افتراضات خاطئة :
أولا : ليس صحيحا إنه "غداة الانتصار في يونيو أكدت اسرائيل أنه لن يتم أي تحرك من الخطوط التي توقفت عندها وحدات المدرعات الأمامية في آخر يوم للمعارك"، إنما العكس هو الصحيح بعد أقل من عشرة أيام من بعد المعارك اتخذت الحكومة قرارين ، أبلغتهما حكومتا مصر وسوريا عبر القناة الدبلوماسية الامريكية ، وكانت صيغتهما كما يلي :
أ - بشأن مصر ، تقترح اسرائيل معاهدة سلام على أساس الحدود الدولية من عهد الانتداب واحتياجات إسرائيل الأمنية. وحتى عقد معاهدة السلام ستظل اسرائيل محتفظة بالمناطق التي بحوزتها .
ب - بشأن سوريا ، تقترح اسرائيل معاهدة سلام على أساس الحدود الدولية من عهد الانتداب واحتياجات اسرائيل الأمنية. وحتى توقيع معاهدة السلام ستظل اسرائيل محتفظة بالمناطق التي بحوزتها .
ثانيا : ليس صحيحا أن حرب عيد الغفران كانت حربا اختيارية . أعتقد ، أنه ليس هناك من يختلف على ضرورة عدم قبول الاملاء المصري - السوري للعودة الى حدود الرابع من يونيو ١٩٦٧ بدون سلام وبدون اتفاق سياسي . كان واضحا أن الهجوم العربي هو أمر محتمل . وكتب شترنهل ، أن الحكومة لم تكن مدركة آنذاك لحدود قوة سلاح الطيران في مواجهة أنظمة الصواريخ وعدم استطاعة المدرعات عبور القناة بشكل منظم . كان عجز سلاح الطيران أمام الصواريخ أرض - جو معروفا جيدا - كان هذا هو اساس الغضب الاسرائيلي في اغسطس ١٩٧٠ ، عندما خرقت مصر وقف اطلاق النار لمعارك الاستنزاف ودفعت بمنظوماتها الصاروخية قريبا من قناة السويس .
بالنسبة لعبور القناة - حتى حرب عيد الغفران لم تتعامل اسرائيل بجدية مع احتمال أن تظهر ضرورة لعبور القناة. ولكن شترنهل لم يذكر في مقاله جو التكاسل الذي ساد الدولة كلها ، وجو الثقة المبالغ فيها في النفس والثقة التامة في قدرتنا على تحطيم أي محاولة هجومية عربية .
ثالثا : هذه رؤية شترنهل أن السلك العسكري المحترف يقف في مواجهة الحكومة وينتقد سياستها بل ويقترح سياسة بديلة. الأكثر من هذا ، في تركيبة النظام الاسرائيلي ليس لدى هيئة الاركان الاسرائيلية وسائل لتقدير الموقف العام (الذي يدرس ايضا سياسة اسرائيل) ، والتي تعتبر شرطا لبلورة سياسة الأمن القومي. حقا ، قد تحدث حالة شاذة ينتقد فيها رئيس الاركان أو قائد آخر كبير سياسة الحكومة ، وفي هذه الحالة ، إذا لم يعمل برأيهم ، يجب عليهم الاستقالة .

قيادة الأركان العامة ١٩٩٨ أمام اختبار ٧٣

ملحق معاريف
٢٥ / ٩ / ١٩٩٨
هيئة التحرير

أعضاء منتدى قيادة الأركان العامة يسردون مالديهم حول حرب يوم الغفران ، ويحكون قصصهم الشخصية عن الحرب ويعدون بأنهم استوعبوا الدرس تماما ، إنه التقصير الأخير

١ - شاؤول موفاز

- ٩٨ - عمره ٥٠ عاما ، رتبته لواء ، رئيس الأركان العامة .
- ٧٣ - نقيب ، قائد سرب مظليين، يقول :

كانت الحرب مفاجأة تماما . في صباح السبت التالي وصلنا الى قاعدة في تل نوف . دخلت الى مكتب من كان آنذاك نائب قائد الكتيبة، أمنون شاحاك .
قال لي : هناك حرب ، اذهب واستعد .
في المراحل الأولى نزلنا مع التشكيل الى سيناء ، الى منطقة رأس سدر . ولكن في ١١ أكتوبر وصل أمر بأن يحلق سرب المظليين ليقوم بتنفيذ مهام في مؤخرة خطوط العدو . تلقيت المهمة من ضابط اتصال المظليين وسلاح المشاة ومن رئيس الأركان العامة . قالوا لي : "ستذهب لتهبط بعد ٢٥٠ كيلو مترا في المؤخرة السورية ، مع ٢٥ جنديا من السرب . مهمتكم نسف جسر ووقف سلاح الامداد العراقي الذي يشق طريقه من الحدود السورية العراقية الى هضبة الجولان " . علمت المهمة . بعد الظهر أعطيت الجنود تعليمات مختصرة، ركبنا الطائرة ، حلقنا حوالي ساعتين ونصف وهبطنا تقريبا الساعة التاسعة مساء في سوريا . انتظرنا القافلة العراقية ، ولم تصل . حاولت ابلاغ القيادة بعدم وجود قافلة إمداد لكني فشلت . في هذه الأثناء كانت السيارات قد بدأت تعبر بشكل مزدوج . تعبر اثنتان وبعد عشر دقائق تعبر اثنتان أخريان . كانت الساعة ١٢ . وكان من المقرر أن تقلنا الهليكوبتر في الثانية . وفجأة انتبهت ، إنها القافلة العراقية ! ومع مرور الوقت وضح أن القافلة العراقية تتحرك كما يفعل الاسرائيليون : الواحدة في مؤخرة الأخرى . قلنا : من الآن سنتعامل مع كل مايعبر .
وصلت شاحنتان ، تعاملنا معهما . بعد ذلك نسفنا الجسر عندما كانت تعبر عليه دبابة. وبعد عدة دقائق وصلت مركبات أخرى ، فأصبناها أيضا . كانت العملية ناجحة. في القيادة العامة قرروا إرسالنا الى عملية أخرى على

طريق حمص - دمشق . وصلت إمدادات جوية سوفيتية أحضرت معدات قتالية للجيش السورى وأرادوا منا أن نوقف نقلها وننسف الجسر ، كنا أكثر من ٣٠ فردا . وأقلع بنا قائد السرب الجوى يوفال أفران . واجهت الهليكوبتر مشكلة فى الرادار ولم يعرف الطيار سببها ، ولذلك هطبنا بعيدا عن الهدف بحوالى ١٥ كليومترا . وتعرضت الهليكوبتر أثناء إقلاعها لنيران المضادات الجوية السورية . أدركنا أن السوريين اكتشفوا الأمر .
كنا فى عملق ٢٥٠ ك . م . للخطوط الخلفية السورية ، وقفت شاحنة على الطريق وقفز منها ٤٠ مقاتلا سوريا فتحوا علينا النار.
رأينا ٣٠٠ - ٤٠٠ جندى سورى يحيطون بنا. قررنا أن نذهب أولا لنقطة يمكن أن نرى منها إذا كان هناك احتمال للوصول الى الهدف . وقفنا على تبة فرأينا أننا محاطون بأعداد كبيرة من الجيش السورى . واتضح أن أفضل الاحتمالات أن نطلب انقاذنا . وأصبحت احتمالات تنفيذ المهمة صفر . وصلت الى مرحلة كنت أسمع فيها أصوات السوريين ونباح كلابهم . لو بقينا فى هذا المكان عشر دقائق أخرى ستكون كارثة .
فى هذا الوقت سمع أفرات أننا نواجه صعابا كبيرة وقرر بشجاعة أن ينقذنا. أرسل الينا (خلال ١٥ دقيقة سأنقذك) انتظرنا من يصل أولا أفرات أم السوريون . هبطت الهليكوبتر كالحجر وعلينا ان نركب فى ثوان . حلقنا عائدين للمعسكر . وعندئذ رأيت خمسين ثقبا فى هيكل الطائرة وقد هبط بآخر نقطة وقود .
" عندما يسألونى : مثل مفاجأة يوم الغفران يمكن ان تحدث اليوم ، أقول إن ما استقيناه من يوم الغفران أن تكون أيدينا على الزناد ليلا ونهارا . وأعتقد أننا فى وضع أفضل بكثير ، إننى لا استبعد تماما أى ثغرات استخبارية، هناك اليوم ثغرات استخبارية لكنها ليست بسبب كفاءة الاشخاص ، بل اساسا بسبب قلة المصادر ".

٢ - يعقوب عميدرور

- ٩٨ - عمره ٥٠ عاما قائد كلية الأمن القومى.
- ٧٣ - نقيب ، ضابط استخبارات ، ملحق بوحدة مدرعات ، يقول :

قبل عام على عيد الغفران أنهيت مهامى فى سيناء كضابط تنظيم الوحدة المدرعة بسيناء وعدت الى كتيبة التحرى فى القيادة العامة . كنت رئيس شعبة مخربين . حافظت على صلتى بالموضوع المصرى لأنه كان يشغلنى . فى صباح يوم الجمعة ، عشية الحرب، اتصل بى ضابط من شعبة أخرى فى كتيبة التحرى وقال لى ما يرونه فى الصور الجوية . قلت له : أعتقد أنها الحرب . فقال إنهم لا يعتقدون ذلك فى الشعبة المصرية والشعبة السورية . اتصلت بمن كان ضابط استخبارات المدرعات آنذاك ، مقدم كرملى ، وطلبت منه ألا ينسانى اذا اندلعت حرب . فى العاشرة إلا عشر دقائق صباح السبت ، إتصل بى كرملى تليفونيا . قال " تعالى فورا ، سلم نفسك الى قيادة المدرعات وابدأ فى تلقى التعليمات ، يقولون .. ستبدأ حرب". فعلت ذلك عندما سألوا من لديه استعداد للتوجه الى بالوظة ، تطوعت أمام قائد الكتيبة الشمالية لسيناء . سافرت مع مساعد ضابط استخبارات . كانت الأمور مضطربة ، فعندما وصلنا الى محطة الوقود فى العريش ، طلب منا عامل الضخ كوبون الوقود. أشهر زميلى الكلاشينكوف فى وجهة قائلا : سأطلق عليك إن منعت عنا الوقود " . لقد نسوا ببساطة أن يخبروا عامل الضخ أن هناك حربا .
بدأنا الحرب فى بالوظة . أتذكر إننى خرجت من الحصن يوم الأحد بعد الظهر، ورأيت هناك طابورا من جثث جنود اسرائيليين . رجعت الى الداخل ، ودخل ورائى قائد الكتيبة . سحب الأحزمة من البنطلون ، أدركت أن هناك جيشا فيه قائد كتيبة لا يرتبك حتى لرؤية أشياء قاسية الى هذا الحد .
أن تكون ضابط استخبارات فى حرب يوم الغفران أمرا معقد ا. لقد كان من الصعب أن يجد ضابط استخبارات ما يساهم به بعدما اعتبر فشلا استخباريا ، زد على ذلك ، إن الجبهة كانت غير منظمة بالمرة وفى وقت ما كانت لدينا فى الحقيقة استخبارات سيئة. وبعد الحرب كان الاحباط . زارنى آلى زعيرا وسأل لماذا لم تأت الىّ بما سمعته وقلته قبل الحرب. قلت له : كان لديك خبراء شؤون مصر وسوريا . لقد انشغلت بموضوع المخربين ، ولم أشعر بالمسئولية وأدرك أن هناك آخرين يتحملون ذلك . "أهم ما فعلته الحرب بالنسبة لى كان قرار الزواج".

٣ - عاموس ملخا

- ٩٨ - عمره ٤٥ عاما ، عميد ، رئيس شعبة الاستخبارات .
- ٧٣ - مساعد بدورة ضباط ، مقاتل ضمن الملتحقين فورا .

عندما بدأت الحرب كنت فى إيلات فى تدريب . أول شئ فعلته عندما انطلق صوت الصفارة ، البحث عن مكوى لكى ملابسى الرسمية . وبدأت العودة الى مدرسة الضباط، وصلنا فى اليوم الأول الى منطقة مضايق الجدى ومتلا وسط سيناء ، ليس على خط الجبهة . ألحقونا فى هياكل ارتجالية وبدأوا يبحثون لنا عن عمل . طلبوا منا ان نحفر خنادق وأشياء كهذه. وبعد ٢٤ ساعة من القتال اتضح لمتخذى القرارات أن هناك خسائر فادحة ، ومعظم الضحايا ضباط . أخذوا يدرسون الدفع بالمساعدين فى مدرسة الضباط الى أتون الحرب ولكنهم لم يفعلوا . أسندوا إلينا فقط عمليات صغيرة ، أكثر من مرة ، خاصة تأمين رجال المدفعية . بخلاف ذلك ، احتفظوا بنا كاحتياط للضباط بعد الحرب . كان قرارا حكيما بالنسبة لقادة الجيش ، وكان قرار سيئا بالنسبة لمعسكر التدريب ، كنت فى دورة ضباط سلاح المشاة . بعد ست ساعات من انتهاء

الحرب حولونا الى أطقم الدبابات . ذهبنا للنوم فى قاعدة التدريب ، واستيقظنا فى مدرسة المدرعات . قتل معظم ضباط المدرعات ، وأصبحنا مطلوبين .
"تعلمت من حرب يوم الغفران ، أنه يجب أن استعد للحرب القادمة ، ويجب أن استخلص المعلومات من النصر وليس فقط من الاخفاقات .
"إننى لا أسأل نفسى ما الذى حدث فى ٧٣، فلم أكن رئيسا للاستخبارات آنذاك ، لقد كان يوم الغفران أكبر كارثة مرت بها الاستخبارات . يسألون دائما فى سلاح الاستخبارات حول ما اذا كانت مفاجأة ٧٣ يمكن أن تحدث مرة أخرى . هذا الموضوع يزعج كل من يجلس على مقعد رئيس شعبة الاستخبارات ".

٤ - يهودا شيجف

- ٩٨ - عمره ٤٧ عاما ، عميد رئيس شعبة القوى البشرية .
- ٧٣ - رئيس عرفاء أول ، ضابط تتبع مفقودين، تابع لقيادة الطلائع ، ومساعد قائد كتيبة الطلائع .

فى ظهيرة يوم السبت تقريبا ، اتصلوا وطلبوا منى التوجه الى قيادة شبيبة الطلائع المحاربة . فوجئت . تم تسريحى منذ اسبوع فقط . فى المرحلة الأولى ساعدت المجندين . وعندما أدركوا أن هناك ضحايا ومئات المفقودين وأننا لا نسيطر على الأمور ، عينونى ضابط تتبع المفقودين بالقيادة . عملت لمدة أسبوع فى ذلك ، وكان أصعب أسبوع بالنسبة لى ، كان أصعب شئ عندما وجدت فى موقع تجميع الشهداء زميلى بالدراسة ، متوفيا . أذكر إننى عدت الى القيادة وقلت "إننى غير مستعد للاستمرار فى التتبع ، وأريد أن أكون فى المقدمة مع المقاتلين ".
" تقرر تشكيل كتيبة من طلائع الشبيبة ، تطوعت لأكون مساعد قائد الكتيبة . ساعدت القائد . واشتركنا سويا فى عبور القناة. وعلى ضفاف القناة قابلت عقيد يبحث يائسا عن إبنه . اشتركت فى إنقاذ الدبابة الأولى التى عبرت القناة وسقطت فى المياه ، وكان إبنه فيها . وقف الأب ورأى كل شئ . بعد ذلك تجولت مع الأب لمدة ٤٨ ساعة . ولم استطع مساعدته .
ومع نهاية الحرب بدأت تنظيم الرعاية بالجنود ، حاولت أن أتيح لهم الاتصال بمنازلهم . كانت الأسر مصدومة وكان صوت الابن يعطيهم قوة نفسية للاستمرار . أذكر إننى قابلت كثير جدا من الرجال المذهولين ، مواطنين يبحثون عن أصدقائهم ، زرت الوحدات ورأيت قادة بوجوه هزيلة ، وجنودا فقدوا أبصارهم . كان بعض أعضاء الكتيبة يتولون شهداء العدو . كنا نشعر آنذاك بضرورة التصرف معهم بقسوة . لدينا شهداء ومصابون فما الفائدة من الاعتناء بضحايا العدو ؟ ولم يوافق على هذا الرأى ضابط الدين. أعرف اليوم إنه قال الحق . فالانسان هو الانسان أياً كان".

هل تعلمنا من العجرفة والاستخفاف؟

ملحق معاريف
٤ / ١٠ / ١٩٩٨
بقلم : يعقوف اريز

بعد ٢٥ عاما على تراجيديا حرب يوم الغفران ، ترتفع بقوة أصوات تطالب بالغاء نتائج تحقيق لجنة أجرنط . والمقال اللامع الذى نشرته معاريف عشية عيد الغفران ، بقلم عميد احتياط أورى سمحونى وتضمن الدعوة لإلغاء نتائج اللجنة ، كان بمثابة الكبريت الذى أشعل نارا شديدة . وقد أغوى المقال ردود فعل كثيرة من قبل عسكريين فى الاحتياط ، تحملوا جزءا من الحرب المشار اليها ، وكذلك ردود أفعال مواطنين أصغر سنا لم يشاركوا فى الحرب ، ولكنهم خرجوا بانطباع التصديق لما قيل وبأن ظلما قد وقع. ***
وتشهد قوة ردود الافعال أن مناظر الحرب قبل ٢٥ سنة ، مازالت تؤثر ، إن التقصير الكبير الذى أدى الى حرب يوم الغفران ، ولجنة أجرنط التى أصدرت الحكم فقط على المستوى العسكرى وتجاوزت عن القرارات الحقيقية وعن متخذيها - على المستوى السياسى- سمحت بشيوع الشعور بعدم العدالة الذى من الصعب التسليم به .
لقد انبعثت مثل هذه الأقاويل الآن . كان لرنينها صدى قوى ، ليس فقط لاستعادة الذكريات ، وتجسيد رؤى قديمة وإعادة أجواء الاحباط . إن اكبر ما منحته لنا مشاهد الحرب ، عندما تعبر عنها وسائل الاعلام ، هى اعادة مناقشة موضوع حساس للغاية وطرح السؤال الملح : هل هذا يمكن أن يحدث لنا مرة أخرى .
والظاهر أننا لا يمكن عمليا اليوم أن نلغى نتائج لجنة أجرنط . فالنتائج قد صدرت وانتهى الأمر . وهناك فيلسوف اسرائيلى معروف يتحفظ على هذه النتائج لكنه يدرك أنه لا يمكن إعادة عجلة التاريخ الى الوراء . وأهمية هذه المطالبة سالفة الذكر إذن ، تكمن فى تأثيرها على المجتمع الواسع وعلى مستويات متخذى القرارات والمؤثرين عليهم ، وإدخال بعد آخر شديد الأهمية والقيمة بالمنظور التاريخى طويلة الأمد .

***

أكثر من أى حرب أخرى ، كانت حرب يوم الغفران نقطة تحول رئيسية فى حياة دولة إسرائيل . فمنذ يوم الغفران ١٩٧٣ أصبحت إسرائيل دولة أخرى فى جوهرها ، وفى توجهاتها الاجتماعية وفى متغيراتها السياسية التى حلت بها . ولكن

بالرغم من التغيير الذى حدث ، مازال هناك خوف دفين بأن الدرس الاساسى المستفاد من الحرب لم يتم استيعابه بعد .
من أجل ذلك ، فمن الاهمية بمكان أن نذكر أوجه التقصير ونقلب فى صفحات الذاكرة الشخصية والقومية وأن نركز على الدرس الرئيسى لهذه الحرب ، والذى يربطه بحياتنا اليوم خط واضح .
من كل ما قيل وكتب فى الاسبوع الماضى ، يتضح أن التقصير الأكبر فى حرب يوم الغفران لم يكن تقصيرا استخباريا فحسب ، رغم أهميته (ورغم الذين يحاولون الآن ولأسباب شخصية التقليل من أهميته تلك) ، بل إنه تقصير سياسى . كان هذا الخراب نابعا من أمن شخصى مبعثر للمجتمع الاسرائيلى الذى رأى كل شئ ، كزعمائه ، بلونين أسود وأبيض ، ولم يميز تنوع المكياج ما بين الحرب والسلام .

لن ينجح العرب فى شن حرب على اسرائيل ولو خلال عشر سنوات . هذا ما قاله لى إحدى الشخصيات العسكرية البارزة فى اسرائيل آنذاك ، وقبل شهرين من اندلاع الحرب . سنضرب المصريين فى وقت قياسى إذا حاولوا عبور القناة . قيل لى ذلك قبل يومين من اندلاع الحرب قاله العميد البرط مندلر قائد قواتنا فى سيناء والذى لقى حتفه فى المعارك بعد عشرة ايام . ولا ننسى مقولة: " شرم الشيخ بدون سلام أفضل من سلام بدون شرم الشيخ التى قالها موشيه ديان وزير الدفاع ، الذى انتظر مكالمة تليفونية من العرب بعد حرب الأيام الستة ١٩٦٧ .
إن جميع المحاولات التى جرت لتحريك الوضع السياسى مع مصر قد ذهبت أدراج الرياح ، كنتيجة لهذه الروح التى حلقت هنا ، ليس فقط على مستويات الادارة بل أيضا فى قطاعات ساحقة من المجتمع الاسرائيلى.
لذلك فإن تحذيرات زعماء عرب ، مثل التهديد الصريح لأنور السادات رئيس مصر ، الذى تعهد بالتضحية بمليون مصرى لكى يستعيد أرض سيناء ، استقبلوه هنا بالسخرية (ماذا يريد الرجل الضاحك بغليونه ؟) أو بعدم اكتراث. ولم يتعامل أى شخص فى القيادة مع هذه الاقوال بجدية حقيقية. إن ما ميز اسرائيل عشية هذه الحرب كان هو العجرفة ، واللامبالاة وثقة مبعثرة بالذات .
وهذا التقصير السياسى الذى لم يدفع ثمنه رئيس الحكومة ووزير الدفاع وآخرون فى اطار ما توصلت اليه لجنة اجرنط من نتائج، قد أصبح كأن لم يكن . بمعنى ، لم يعد هناك من يهتم بمناقشته تقريبا ، فلجنة أجرنط بحكم صلاحياتها المشبوهة لم تتعامل معه والنقاش الاجتماعى العام لم يعطه ما يستحق.

***

هذا التقصير السياسى يربطه خيط ما بواقعنا اليوم . فبعد ٢٥ سنة على يوم الغفران ١٩٧٣ مازالت اسرائيل تعيش فى وضع هش من الناحية السياسية. وهناك سؤال مثلا " : كيف يربط المستوى السياسى قراراته بالنتائج العسكرية التى قد تؤدي هذه القرارات اليها . السؤال الأول من ناحية التأثير هو : هل سيمنح الجيش صلاحية للمستوى السياسى ، مثلا عند إلغاء قرار تنفيذ الانسحاب من الضفة الغربية بنسبة ١٣٪ . هل نحن اليوم أكثر حساسية لتهديدات الرجل ذى الشفتين المرتعشتين أو المعوق ذى الصوت المزعج ، وهى تشبيهات تتفق ولغة الغرور لدى عرفات وأحمد ياسين، زعيم حماس .
هل تعلمنا من العجرفة والسخرية ؟
هل نتعامل بالجدية الكافية مع تهديدات محمد خاتمى ، رئيس ايران ، فى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، أو مع ما قاله وزير الدفاع الايرانى بعد عرض الصاروخ شهاب ٣ فى استعراض عسكرى ؟
تلك هى اسئلة ضاغطة ، والاجابات ، بعد ٢٥ عاما غير واضحة . وكان لدينا مقدمات مقلقة بما يكفى فى السنتين الأخيرتين ، وليس فقط فتح نفق أسفل حائط المبكى دون علم قادة جيش الدفاع وأجهزة الأمن .
إن الربط بين التهديد الاستراتيجى على إسرائيل وبين التوجهات السياسية يثير القلق . فحتى إذا اتفقنا مع الذين يعتقدون بأن تسلح إيران بالصاروخ شهاب ٣ ليست موجهة ضد اسرائيل ، وحتى اذا تبنينا رأى الخبراء الداعى الى أن التسلح النووى لايران ينبع من أسباب استراتيجية دولية ولا صلة له بالشيطان الصهيونى ، فمن غير الممكن ألا نتعامل مع هذا التهديد ، وأن نتجاهل انعكاساته .
ومن ناحية النظرة السياسية ، يبدو أنه الآن ، بعد جمود شديد، سيتردد ضوء ما عند نهاية النفق . بنيامين نتنياهو يوافق على انسحاب الـ ١٣٪ ، ومجرد الخلافات فى الرأى والتى لا قيمة لها تمنع الاتفاق مع الفلسطينيين . إن الاتفاق مع الفلسطينيين من شأنه أن يؤثر بالايجاب على الوضع السياسى لاسرائيل لاضفاء إعتدال على النوايا الهجومية تجاه اسرائيل والايماء الى سوريا بأن دورها سيحل لا محالة .

والجدير بالذكر اليوم ، ان يتسحاق رابين كان قد قرر تشجيع مسيرة أوسلو ليس لأنه يحب عرفات ، بل لأنه أدرك بأن هذه المسيرة من شأنها أن تقلل معدلات الخطورة على اسرائيل ، ليس فقط فى سياسة خط المواجهة بل أيضا . بين أطراف متشددة فى إيران أو ليبيا . كان رد رابين لتحييد تهديد إيران لا يتمحور فقط عند صاروخ "حيتس" أو بالإف ١٥ إى ، ولكن بتقليل وتحجيم التوتر السياسى العسكرى فى المنطقة .

***

على من يريد أن يمنع سابقات أو مقدمات تاريخية ، فليعمل على الربط اللازم بين تقصير ٧٣ وأفعال ٩٨. وعليه أن يشحذ دروس الماضى فى المجال الفورى الفعال ، وألا يكتفى بتقديرات الاستخبارات، بل يفكر مليا فى تقديرات العدو ؛ وعليه أن يتعلم استيعاب الدرس الاساسى الثابت: أن تقصيرا أو جمودا سياسيا يؤدى الى الانفجار.

الجينى خرج من القمم

من الملحق الخاص بمناسبة رأس السنة العبرية، عن جريدة معاريف ٢٥ / ٩ / ١٩٩٨
(المحور الاقتصادى) بقلم : مائير بلييخ

منذ عام ١٩٧٣ انطلق مستوى المعيشة فى إسرائيل ، ولكن كالمتوقع ، استفاد من ذلك الأغنياء فحسب . فى الـ ٢٥ سنة الأخيرة زاد الناتج خمسة أضعاف ، انفتحنا على العالم وفككنا الاقتصاد المركزى ، ولكن رغم نتائج مقياس جينى ، فإن إسرائيل تعد إحدى أقل الدول مساواة فى العالم .

***

كان الضيف الرئيسى للعدد الاحتفالى (لمعاريف) بمناسبة رأس السنة العبرية ٧٣، هو سكرتير الهستدروت يتسحاق بن أهرو ن" لقد انحرفنا بصورة خطيرة عن تحقيق أهداف حركة العمل" كما قال سكرتير عام الهستدروت . " هناك تصور خطير للرأسمالية الاسرائيلية .. هذا التصور يؤدى الى تقدير مبالغ فيه للأمور ولتحديد ماهية علاقات العمل ، مما يؤدى الى شلل ليس فقط فى الاقتصاد الرأسمالى، بل أيضا فى قطاعات مختلفة من الاقتصاد العام . تلك أصبحت حقيقة دامغة ولا مفر منها ". ولم يتوقع بن أهرون الغاضب بالتأكيد ان خلفه بعد ٢٥ عاما ، عامير بيرتس ، سيسمى رئيسا وليس سكرتيرا عاما، وسيرأس منظمة فقدت معظم ما تملك . ومع هذا الاستنتاج التقديرى الذى عبر عنه آنذاك يمكن ان نتحاور ، والتحليل هنا سيكون أكثر فعالية اليوم عما كان عليه دائما .

***

لقد أحدثت سنة ١٩٧٣ هزة أيضا فى المجال الاقتصادى . لقد كانت السنوات الست المنتعشة منذ حرب ١٩٦٧، والتى أنقذت الاقتصاد من الكساد ، كانت سنوات زيادة السكان ، وتوسع اقتصادى سريع وتضخمى، وإثراء فئات محددة . وهناك قيم شخصية ، ثقافية واجتماعية غير قليلة قد تدمرت خلال هذه السنوات الست .

إن حرب يوم الغفران وما تلاها من أحداث اقتصادية قد نقلت الاقتصاد الى واقع أكثر كآبة كما هو حالنا اليوم . وقد ورد فى تقرير بنك اسرائيل لختام ١٩٧٤ ، "ان سياسة التقشف قد بدأت تلقى ببشائرها على مجالات مختلفة فى الاقتصاد " كما ورد فى تقرير البنك المركزى : " لقد انخفض الدخل الخاص فعليا ، وقل حجم الاستثمارات فى مجال الخدمات والبناء ، كما انعدمت الزيادة فى الاستيراد ، وانخفضت معدلات الانتاج فى مجال الصناعة .. ومع ذلك لا يبدو أن التقشف فى حد ذاته يمكن أن يحدث التغييرات المطلوبة فى بنيان الاقتصاد".

ورغم هذه الصورة المصاغة فى التقريرين السابقين ، فمنذ عام ١٩٧٣ مر الاقتصاد الاسرائيلى بتحولات صاعدة وهابطة ذات ارتباط وثيق بالوضع الأمنى السياسى. لقد تخلصنا من المقصرين وحل محلهم آخرون ، حققنا كسادا وبعض النمو ، أصابنا نقصا وفائضا فى ميزان المدفوعات ، حلقنا مع أسعار الأسهم ثم هوينا معها أيضا ، أخفينا دولارات تحت البلاطة ثم أظهرناها مع الانضمام الى النظام العالمى الجديد ، تعاملنا مع تضخم فاق الأرقام القياسية وأخذنا بخطط مستقرة . وكلما مرت السنون يواصل الاقتصاد التطور للافضل ، وإن لم يكن دائما خال من العيوب فى ظل ما تمليه تعاليم اقتصاديات وول ستريت ، وجامعة شيكاغو أو ١٥ داونينغ ستريت . لقد أصبح من المعتاد الحديث عن ثورة تغييرات فى تركيبات الاقتصاد ، والتطور غير العادى الذى يحدث ، وفتح الاسواق داخليا وخارجيا ، ونماذج لما جنى ثماره الاقتصاد القومى والافراد. كلمة سر أخرى هى الخصخصة ، إذ تفخر الحكومة الحالية بالحصيلة الضخمة التى تحققها . وكانت الصفقة الأكثر ربحا نقل ملكية بنك هابوعاليم (بنك العمال) والذى امتلكت الدولة أسهمه رغما عنها فى أزمة ١٩٨٣ . كذلك أسهم البنك القومى الاسرائيلى وشركة بيزك وغيرهما بيعت للقطاع الخاص ، ولكن الواقع أن ذلك ليس خصخصة حقيقية بل صفقات بيع . فمازالت الحكومة تسيطر على شركة الكهرباء ، وشركة العال والموانى الجوية والبحرية ، وطالما لم يتم دفع هذه المجالات الى حلبة المنافسة فليس هناك أى مبرر لخصخصتها إن لم تكن هناك ضرورة . بالمقابل ، ففى المجالات التى يمكن أن تستثمر فيها الدولة ، مثل البنية التحتية فى المواصلات والسياحة أو البحث والتطوير ، تبحث وزارة المالية عن حل فى الأسواق الخاصة التى من المحتمل أن تساعد .

ومع ذلك لا يمكن تجاهل التغيير الذى حدث فى الانشطة الاقتصادية ، وهذا التغيير يعد نهاية الاشتراكية . هذه العملية التى تحدث بالتحديد منذ ١٩٨٥، بما فيها تحديد السياسة التى تحاول ايجاد توازن فى ميزانية الدولة، وتوزيع وتنويع مجالات الاعمال وأنشطتها والسعى حثيثاً من أجل تخفيض نصيب الحكومة فى نشاطات الاقتصاد. واتخذت أيضا إجراءات تحرير معينة فى سوق رأس المال

تسمح لقوى السوق بالعمل في مجال تعبئة الأموال والقروض .
كذلك هناك تغييران جوهريان ومؤثران منذ عام ١٩٧٣ ، وبالأخص في السنوات الاخيرة : الأول هو إلغاء الاعانات والثاني هو الكشف ، في اطار الرفع التدريجي لحاجز الرسوم الجمركية الوقائية ، والالغاء الجزئي لاجراءات الحماية الحكومية المختلفة. وقد شهدنا خلال هذه السنوات المعدودة استيرادا كبيرا للمنتجات الضرورية ومنتجات البنية التحتية في الوقت نفسه من الدول المتقدمة ومن دول العالم الثالث على السواء . ودخلت إلينا كبريات الشركات المنتجة في العالم ، وأصبحت المنتجات الكهربية والالكترونية من الشرق موجودة في كل بيت ، كجزء من عملية تقليل الانفاق على المنتجات الاساسية من ٤٠٪ من إجمالي الدخل في ١٩٧٣ الى ٢٥٪ في النصف الثاني من التسعينيات .
إن إزالة الحماية عن الصناعة المحلية الى جانب التطور التكنولوجي الذى كان لجيش الدفاع والصناعات الدفاعية (التي اضطرت للبدء في الأخذ بنظام الربح والخسارة) لهما دور كبير في ذلك ، قد غيرت خريطة التشغيل في مجال الانتاج . وقد تزايد نصيب صناعات الهاى تكنولوجي في التصدير ، بينما تقلصت الصناعات التقليدية وألقت بالآلاف الى مكاتب التشغيل ليحصلوا على إعانة البطالة . والى جانب الازدهار في مجال التكنولوجيات ، فقد رأينا في الـ ٢٥ عاما الماضية كيف حظيت مهن أخرى بالانتعاش . فمجال الخدمات في قطاع الأعمال يحتل مكانة كبيرة في الانتاج . وفي خضم ازدهار الشركات التكنولوجية أتيح للشركات الاسرائيلية أن تقوم بتعبئة رؤوس أموال في بورصة نيويورك بالذات . بالمقابل فإن بورصة تل أبيب لم تجتز بعد سن الرشد . وفي ١٩٧٣ لم يكن هناك ملحق اقتصادى حقيقي بالصحف ، وكانت فكرة نشر أسعار الأسهم يوميا مجرد وهم ، كذلك معظم أفراد المجتمع اليوم لا يولون ثقة بالبورصة ، ولديهم أسباب وجيهة لذلك.
لقد تضاعف تقريبا سكان دولة اسرائيل - من ٣,٣ مليون في ٧٣، الى ٥,٩ مليون في نهاية ١٩٩٧ . وتشير نسب الوفيات الى تحسن ثابت في مستوى المعيشة والصحة العامة : في ١٩٧٣ كانت الوفيات بين الرجال تصل الى حوالي الألف وفي ١٩٩٥ انخفض العدد الى ٥٥٦ . بالنسبة للنساء كان الأمر أكثر بهجة فمن ٦٣٠ في١٩٧٣ ، الى ٣٩٤ في ١٩٩٥.
وتنبئ كميات سيارات الركوب بصورة ما الى ارتفاع مستوى المعيشة، وتكشف الأرقام عن زيادات بمئات النسب المئوية . فمن ٣٧١ ألف سيارة عام ١٩٧٣ الى١,٦ مليون سوبارو ، مازدا ، ميتسوبيشي وأنواع أخرى من السيارات التي تجوب الشوارع عام ١٩٩٧. وما حققه متوسط الانتاج للفرد الذى وصل الى ١٦ ألف دولار سنويا وضعنا على قدم المساواة مع عدة دول أوربية . في حين كان المتوسط في ١٩٧٣ لا يتعدى ٣٠٠٠ دولار.
كذلك في مجال التعليم تقدمنا . ففي ١٩٧٣ كان هناك فقط ١٥,٢٪ من السكان اليهود و٤,٢٪ من غير اليهود هم من خريجي الجامعات . وفي ١٩٩٧ وصلت النسبة بين اليهود الى ٣٤,٨٪ من السكان و١٨٪ من غير اليهود هم من خريجي الجامعات والدراسات العليا .
ومن أبرز ميزات اسرائيل عام ١٩٩٨ هو المسافة الكبيرة بين ما تعلنه القيادة في جميع المجالات ، وبين الواقع الملوس . وفي هذا الأمر لم يحدث تغير كبير عما كان عليه الحال عام ١٩٧٣ ، غير أن الاختلاف في التفاصيل . فلدينا الآن حكومة يقود سياستها الاقتصادية إناس لا يبالون بالقضاء علي الفوارق الاجتماعية ، رغم أنهم يظهرون في كلماتهم اهتماما كبيرا بالأزمة . فبدلا من تأييد التعليم والتنوير ودعمها فإن الحكومة تدفع أموالا لمن يشجعون الجهل، ويؤسسون لجيل جديد من الطفيليين ، مما يصب في جيوب قطاعات متقاربة تقوض من القدرة على تغيير في قائمة الأولويات في الميزانية . ولكن على عكس بداية السبعينات ، تتراكم عدة أهداف، لا قيمة لها ولا أهمية، بالنسبة للانتاج والتنمية ، ولا حتى بالنسبة للسلام.
ان حرب اكتوبر بعد سنوات من رحيل جولدا - ديان - جليلي ، قد وضعت الدول المجاورة على خارطة السلام . وقد بدأت ذلك حكومة رابين الاولى وعرف بيجين كيف يميل الى جانب التسوية .
إن الاقتصاد الاسرائيلي لم يفلح في ترجمة ثمار السلام مع مصر ، فقد استمر في دفع ثمن يوم الغفران . حرب لبنان التي اندلعت عام ١٩٨٢ وترافقت مع معدل تضخم، واصلت الضغط علي الاقتصاد . وفقط مع توقف ذلك ، بدأت الخطوات في الاتجاه الصحيح ، ومن بينها موافقة وزير الدفاع يتسحاق رابين ، على تقليل ميزانية وزارته .
والفرصة الكبرى للاقتصاد الاسرائيلي تبدت مع توقيع اتفاقات السلام مع الاردن ومع الفلسطينيين . تدفقت الاستثمارات، والأبواب التي كانت مغلقة لسنوات انفتحت أمام الانتاج والمعلومات الاسرائيلية. إن جميع خطوات حكومة العمل في المجال الاقتصادى لم تكن صحيحة برمتها ، ولكن مع تحول السلام كان من الممكن استيعابها. ويعلمنا تداول السلطة وتغير التوجه السياسي أن ازدهارا اقتصاديا دائما لن يتحقق بدون سلام .

الجدة طبخت العصيدة

٢٥ عاما على حرب يوم الغفران
ملحق خاص (معاريف) ٢٩ / ٩ / ١٩٩٨
بقلم : أمنون دنكنر

الصورة الاولى :

العميان يعزفون وجولدا تتحدث :

لو كنت نحاتا عليه أن يقيم تمثالا لجولدا مائير ، كنت سأعتمد على مشهد نادر لما حدث في القدس صباح يوم ٣٠ نوفمبر ١٩٤٧ . لم أجد صورة لهذا الحدث ولا حتي شرحا له في كتاب تناول هذه الفترة ، ماعدا مذكرات وحيدة مهملة لصحفي مقدسي شاب إسمه يونيه كوهين .

في الثالثة من فجر ليلة مقدسية باردة انطلق إناس الى الشوارع ليحتفلوا بقرار الأمم المتحدة بإنشاء الدولة . لقد كان هؤلاء منهكين من طول ساعات الابتهاج الصاخب : لكنهم لم يكتفوا لأنه يجب أن يحظى الاحتفال أيضا بخطبه من شخصية هامة . لم يكن موجودا بالقدس سوى جولدا مائير سون من المستوى الاول ممن كان يطلق عليهم زعماء الاستيطان . أحضروها الى مبنى الوكالة في شارع الملك جورج ، الذى ارتجلت فيه خطبة ألقتها على مسامع الجمهور الذى أخذ في التكدس في الساحة الكبيرة . كانت ماتزال إمرأة مهمة : جولدا مائير سون .عندما كان موشيه شرتوك مازال في الخدمة ، واعتقله البريطانيون في السبت الاسود ، استبدلته جولدا باحتفاظها بالحقيبة السياسية . والآن أيضا استبدلته عندما بقي في الولايات المتحدة بالجمعية العامة للأمم المتحدة .

وكان الرهان أن يقع الجمهور في حبها . إمرأة قوية ، حديثها بسيط وثاقب ، تشع قوة وجرأة . لكن هناك من قرر أن مجرد خطبة لا تكفي . لابد أيضا من موسيقى وفرقة عازفين . من أين يجلبون الآن فرقة موسيقية ؟ ليس هناك وقت لتجميع المطربين من بيوتهم ، أو ربما خرجوا جميعا للاحتفال مع الجماهير . وتفتق ذهن سائقي الاوتوبيسات عن فكرة: فهناك فرقة موسيقية تسكن ـي مكان واحد ومن غير المحتمل ان يخرجوا للاحتفال . وذهبوا الى مبنى قريب هو مدرسة العميان واقتادوهم بآلاتهم الموسيقية . وجلس العميان أسفل المنصة وغنوا ، وجولدا تخطب من فوقهم .

عندما تتحدث يضربون بأصابعهم على الأوتار ، وأعينهم تحملق حملقة العميان في لاشئ . هذا هو التمثال الذى كنت سأنحته . وكنت سأسميه :القوة والعميان . جولدا مائير سون تقف ملتفة ببالطو من الصوف وتتحدث بقوة واقتضاب ، والى أسفل تلقى بنظراتها الى العميان بينما تخطو صاعدة درجات الحكم حتى نهاية الهرم وتقودنا جميعا ورا ءها لنسقط الى الهاوية .

كله باسم جولدا : حقيبة ، ملابس داخلية ، حذاء وطرق :

إنها إمرأة كبيرة . بيج ماما . بنيتها الجسمانية عريضة . ليست قصيرة القامة . هناك شئ ما قوى في وجهها ، بأنفها البارز الكبير كبرج حصين ، وعينين خفيضتين دائما ، سواء من دخان السجائر أو كطبع نظرة شك وسخرية لمن صادف الكثير من الاحداث ولا يعتمد علي أى مخلوق . وحسب الصور ، مرت بها فترة بهيجة من الشباب تظهر فيها جميلة بعض الشئ . وما كان غير موجود في سرورها الشاب وفي الخطوط الكلاسيكية لوجهها وجسدها تمثل وبرز على ملامح شخصيتها ومزاجها . كان صوتها غليظا من التدخين . حديثها بطيئا قليلا وواضح المخارج وكأن كل كلمة مهمة . كانت تضحك كثيرا ، وفي هذه الحالة تصبح عيناها ثقبين ضيقين ، والفم ينفرج على آخره والرأس تتمايل . ساقيها كانتا مشهورتين حتى في أيامها الاولى ، عندما كانت تفتتح طريق أو حي جديد تبدوان مستقرتان بصعوبة في حذاء لتقويم القدم قبيحة المنظر . وهو أول ما ارتبط بإسمها : حذاء جولدا تندرا . مثلما كانوا يسمون أحذية المبتدئين عند التجنيد بالجيش في الخمسينات والستينات .

وبسرعة سموا أيضا ملابس داخلية تعطيها بعض الجهات الخيرية ملابس جولدا . ولم تدخل الى الفلكلور لذلك فقط : فهناك أيضا طرق جولدا . تلك الطرق التى قام بتعبيدها وتمهيدها عاطلون جمعتهم وزارة العمل التى كانت ترأسها . هكذا في منتصف الخمسينات ، عندما عينت وزيرة خارجية ، كانت بالفعل قد دخلت كل بيت . لقد اصبح اسمها محببا . كانت المرأة الدائمة الوحيدة في الحكومة ، في كل الحكومات . في كل الصور الرسمية التى تظهر بها الحكومة الجديدة في بيت الرئيس ، فهي واقفة أو جالسة بكل اعتزاز .

الصورة الثانية :

جولدا تقبل شاريت المحتضر :

جولدا تنحنى على منصة قصر الثقافة وتقبل جبهة موشيه شاريت . شاريت يجلس في مقعده ذى العجلات ، شاحب ومريض للغاية وهو المرض الذى قضى عليه بعد ذلك بمدة قصيرة . قبل عدة سنوات كانت جولدا تشارك في الاطاحة به واحتلال مقعده الذي خلا دون أى تأنيب ضمير . والآن تقبله .وهى تفعل ذلك لأن شاريت انتهى منذ لحظات من إلقاء خطبته أمام مؤتمر الماباى . خطبة المحاسبة التاريخية لسلطة الحزب المنفردة من بن جوريون . ووصف هذا الحكم بكلمات "حكم الخوف والحساب " وارتبطت التسمية بخطبته مدة طويلة بعد ذلك .

واستشعر كبار السن رفقاء الطريق مع بن جوريون أنه يعتزم التخلص منهم ويستبدلهم بالشباب ، خاصة موشيه ديان وشمعون بيريز . لقد أحبتهم الصحافة ، وقدرهم المجتمع .

كان ديان يحظى بكاريزما البطل ، إنه رئيس الأركان المنتصر في عملية سيناء . وكان بيريز هو الرجل الذى جلب الاسلحة لجيش ديان ، كان مدير عام وزارة الدفاع لكنه تدخل كثيرا فى علاقات اسرائيل الخارجية ، بخاصة العلاقات مع فرنسا التى كانت آنذاك مصدر السلاح الاسرائيلى . ونما من حولهم جيل جديد سمى نفسه شباب الماباى . إنهم لم يكونوا شبابا بالفعل ، فمعظمهم كان فى الاربعين والخمسين من عمره . كانوا يتوقون للمقاعد المحيطة بالحكومة . لقد أرادوا قوة وتأثيرا وأظهروا تذمرهم تجاه كبار السن الذين أغلقوا عليهم الطريق . كان الشباب راضين عن رعاية بن جوريون لهم . وقد أعطت قضية لفون للكبار فرصة لجز أجنحة بن جوريون على أمل ألا يتمكن الشباب من التمتع بالارتياح فى ظل رعايته . وكانت الحرب حول حل نهائى للقضية . طالب بن جوريون بتشكيل لجنة تحقيق قضائية تسمح بتعقيد القضية وتشوش على متخذى القرار بتنفيذ اعمال التخريب فى مصر ١٩٥٤ ، التى ادت الى الحكم بالاعدام على يهوديين والسجن لمدد طويلة لآخرين . وكانوا اعضاء شبكة تجسس اسرائيلية تعمل فقط فى جمع المعلومات ، ولكن هناك من أراد أن يشعل النزاع بين مصر وبين أمريكا وبريطانيا بوضع عبوات ناسفة فى مؤسسات غربية.

لمن كانت فكرة هذا الفشل ؟ من أعطى الأمر؟ وزير الدفاع آنذاك بنحاس لفون ، إدعى أنه ليس هو . رئيس الاستخبارات آنذاك بنيامين جيبلى قال إنه تلقى الأمر من لفون . استقال لفون ولكنه عاد بعد ست سنوات وطلب تبرئته فتصدى له بن جوريون . وهنا أدركت جولدا وأدرك أشكول وشابير أن الفرصة حانت لاغراق الرجل العجوز . فشكلوا لجنة وزراء واستحثتهم على تبرئة لفون . على عكس ما يراه -بحسم- رئيس الحكومة بن جوريون . لقد كانت قبلة جولدا لشاريت غريبة من الناحية الايديولوجية ، فهى لم تكن تميل الى ما يبذله شاريت للتوصل الى تسويات بعيدة المدى مع الدول العربية لتحقيق السلام. كانت فى مواقفها أكثر قربا للشباب ديان وبيريز . لكنها لم تكن حرب أفكار بل صراعا سافرا ووحشيا علي القوة . لقد حرك شاريت الأوضاع بخطبته اللاذعة ، وانتهى الأمر بعد ذلك بسنوات قليلة بتتويج جولدا مائير رئيسة للحكومة .

الصورة الثالثة :

لا حرب بدون ديان :

تحت نافذة جولدا تجرى مظاهرة . يحدث ذلك فى أواخر مايو ١٩٦٧ ، وجولدا تجلس الآن فى مبنى قبيح بشارع هايركون ١١٠ مقر ماباى . كانت قد تركت وزارة الخارجية وتتولى منذ سنتين السكرتارية العامة للحزب. إنه يوم صيفى مبكر ، شديد الحرارة . الحوائط الخارجية للمبنى تنضح باللون البيج . وأمامه تقف نساء ترتدين ملابس صيفية زاهية واضعات قبعات القش على رؤوسهن ويلوحن باللافتات ، ويطالبن بضم موشيه ديان للحكومة كوزير للدفاع . فالدولة ترتعد من الخوف . كانت قد مرت عشرة ايام على قيام مصر بنشر قوات في سيناء والتهديد بالهجوم على إسرائيل والشعب لا يشعر بالأمان مع القيادة الحالية . ليفى أشكول هو الذى ورث بن جوريون منذ أربع سنوات . وهو رجل جاد وعملى وظريف وتتسم مواقفه بالاعتدال ، لكنه لا يبدو فى نظر الشعب مناسبا ليواجه بمفرده- على رأس الدولة - الحرب القادمة . وهذا خطأ . لقد كان رئيس حكومة جيدا ووزير دفاع جيدا ، اهتم بمتطلبات جيش الدفاع وبالتعاون مع رئيس الاركان يتسحاق رابين ، عمل لعدة سنوات فى بناء قوة جوية وأرضية تحسم الحرب بسهولة لكن صورته لم تكن كذلك .

بل الصورة حددتها الصحافة ، والصحافة تحب ديان وبيريز . هناك لواء كامل بين كتاب المقالات خاصة يشعياهو بن بورت من "يديعوت احرونوت" ، وأفرهام شفيتسر ، ثم شفتاى طيفت ونفتالى لفيئ من "هآرتس" . هؤلاء الصحفيون يسمون يونايتدبرس أو "الصحافة المتحدة" . وقد رأى ديان وبيريز فى هذا الوضع فرصة ذهبية للعودة الى قلب الساحة ، فقاموا بتحريض الصحفيين على نشر مقالاتهم .

منذ تركنا جولدا تقبل جبهة شاريت وتتنمر لبن جوريون ، تمكنت من كسب جولة هامة اخرى : فقد اضطر من تكرههم ويكرهونها ومن اعضاء القيادة العواجيز ، اضطروا للاستقالة من الحزب . والآن لم يعد لهم مكان . لقد كانت سقطة بن جوريون المجنونة إنه حاول تبرئة لافون ببعض اجراءات قانونية وأسر الى أحدهم بذلك ، مما أجبر مريدوه من الشباب على ترك الحزب والذهاب معه الى الصحراء السياسية . وكان هناك أمل كبير فى أن يتمكن الحزب الجديد الذى أنشأه : رفاى (قائمة عمال إسرائيل) ، من توجيه ضربة للماباى أو على الأقل يقتنص منه متقرعين كثيرين . ولم يحدث ذلك . فحصل رفاى على تسعة مقاعد فقط وذهب الى المعارضة . ولم يرض الشباب المتمرد عن ذلك ، فلم يخطر ببالهم أن يؤول بهم الحال الى مقاعد المعارضة . والآن واتتهم فرصة العودة الى الحكومة . فحالة الطوارئ والخوف السائد فى المجتمع وعدم الثقة فى رئيس الحكومة ووزير الدفاع ليفى اشكول تعنى ان هذه فرصة ليمارسوا ضغطهم . فإذا ساعدوا ديان فى الفوز بوزارة الدفاع ، كما يطلب الشعب بأعداد تتزايد يوما بعد آخر ، فسيكون ذلك بمثابة الفتحة التى سيدلفون منها للعودة. كان ضغطهم شاملا على بقية الاحزاب المشاركة فى الائتلاف ، على الصحافة وعلى الشارع . وكان مثال ذلك تلك المظاهرة امام نافذة جولدا . كانت السيدات هم اعضاء إحدى جمعيات تل ابيب وقفن ونادين بانضمام ديان الى الحكومة .كانت السيدات منعمات ، وزوجات رجال لهم صلة بالاقتصاد ، والثقافة . وقفت جولدا بالنافذة وعلقت بسخرية لاذعة " نساء وندسور القويات" ثم حركت يدها بالتوقف . كانت هى العائق الكبير أمام ديان . لم تأت المظاهرة تحت نافذتها بالذات عبثا . إنها لم تكن مستعدة لتمكين الشباب من العودة للحزب ، والتسلل الى الحكومة ، وبالتأكيد لم تحلم بإعطاء ديان حقيبة الدفاع . لقد قرأت الخريطة جيدا . فالحرب توشك ان تندلع من تلقاء نفسها ، وجيش الدفاع

الاسرائيلى كان سينتصر أيضا بدون ديان . وكان اشكول ورفاقه سيحظون بالتهليل ، وديان بطويه النسيان .لكن قراءتها للخريطة لم تكن صحيحة تماما . كان الضغط السياسى والعام قويا ومن غير الممكن مواجهته . ربما يكون هناك طريقة واحدة : يمكن تعيين يجال ألون لمنصب وزير الدفاع . صحيح لم يكن منتميا للماباى بل عضوا بحزب العمل الموحد. وفيما عدا ذلك فالجميع يذكر انتصارات يجال ألون كقائد للبلماح فى حرب التحرير . كان عسكريا من الطراز الأول ، وسيتقبل الشعب تعيينه فى المنصب ربما دون حماس ، لكن على الاقل برضا .

لكن يجال ألون لسوء الحظ ، كان فى زيارة للاتحاد السوفيتى ولا يعتزم العودة قريبا . ولم يقم أحد باستدعائه . وحتى لو قرروا تعيينه ، فالتاريخ والضغوط سينتصران فكل شئ أصبح متأخرا . إما ديان وإما لا شئ ، ومع لا شئ - هناك خطر أن تستقيل أحزاب الائتلاف ويخرج الشعب بطريقة حادة الى الشوارع . واستسلم ليفى اشكول . سيقوم بتشكيل حكومة وحدة وطنية ، سيدخل مناحم بيجين وسيعين ديان وزيرا للدفاع. كانت جولدا هى الوحيدة التى بقيت تقاتل بمرارة حتى اللحظة الأخيرة ضد هذا الاستسلام ، لكن الواقع الذى جعل الجميع بلا حيلة ، انتصر فى النهاية .

وبعد الحرب ، بعد ما رأت ديان يتمتع بالاطراء والتمجيد الذى كان من الممكن أن تحظى به الزعامة القديمة ، استقالت جولدا من منصبها كسكرتير الحزب خائبة الرجا تلوك مرارتها

لقد بدت فى نظر كثيرين حصانا ميتا . جلست فى منزلها ذى الطابق الواحد المحاط بحديقة صغيرة فى الجزء القديم من رمات أفيف فى تل أبيب . وكانت الصحافة تكتب احيانا انها شوهدت تركب الاوتوبيس . وأحيانا التقطوا صورا لها وهى تطبخ فى مطبخها . كانت السيدة العجوز تعنى بنفسها . وحل بها المرض . ظهر السرطان فى غدتها الليمفاوية . لقد توارت ولفها النسيان . إنحل حزب رفاى وانضم الى ماباى وبالاشتراك مع الجناح الثالث - العمل الموحد - أصبحوا حزبا كبيرا واحدا: حزب العمل .

أصبح موشيه ديان وشمعون بيريز وزيرين فى الحكومة ويستعدان للمنافسة على الصدارة وتحقيق نصر تام على جولدا .

بدون مهور ، صرخ الشعب : ماما :

لكن كل شئ تغير عندما تكالب المرض على أشكول أكثر فأكثر . لم يعد قلبه بحالة جيدة كما أنه مصاب بسرطان المثانة. رقد فى سريره وبجواره السيدة الشابة التى تزوجها منذ سنوات معدودة ، وهى تعمل فى الكنيست باسم مريم . كانت أسرار مرضه ملكا لزوجته . لم يكن معتاد الحديث عن أمراض الزعماء ، فقط يتداولها سرا العالمون بالأمور فى المناسبات . وفى يناير ١٩٦٩ توفى اشكول بمنزله ، ولكن قبل ان يحدث ذلك كانت قيادة الحزب ماباى قد قررت مَن الذى سيخلفه . لم يكن هناك ما يقال عن ديان ، وكذلك عن يجال ألون . ليس فقط لأنهما لا ينتميان من الأصل لماباى ، بل لأن اختيار ألون سيحيى رجال رفاى السابقين وربما يؤدى ذلك الى استقالتهم من الحكومة والحزب . واختيار ديان سيؤدى الى نتيجة مشابهة بالنسبة لرجال وحدة العمل سابقا . واستقالة هؤلاء سويا مع ديان وزمرته ستكون له عواقب وخيمة . مناحم بيجين يبدو مناسبا ، فهو ليس المعارض الحالم الذى يحرض على احتلال أراضى اسرائيل فى الضفة الغربية بطريقة تبشيرية . ألم يثبت صدقه ؟ لقد تم احتلالها بالضبط كما روج . اضف الى ذلك ، فقد حظى بالاحترام كوزير، صحيح أنه بدون حقيبة ، فى حكومة وحدة وطنية . علا نجمه ومن المحتمل ان يشكل خطرا فى الانتخابات القادمة ، إذا إنضم اليه رجال حزب رفاى سابقا ، فمن يعرف ما الذى سيحدث. كان من الواضح إذن ضرورة ايجاد مرشح من ماباى . بنحاس سابير ، رجل قوى وموضع ثقة ، لكنه ارتدع امام فكرة تعيينه رئيس حكومة .

ما العمل ؟ نعيد جولدا . عندما مات اشكول عرفت جولدا أنها من المنتظر ان تخلفه . لكنها وزمرتها تركوا الصحف تنشغل عدة أيام بالتخمينات والتأملات . وعندما تلقت الاقتراح رسميا قدمت العرض المعتاد (شو) : أبدت دهشتها ورفضت ، ثم أبدت ترددا . هل هذا فى مصلحتكم ؟ إننى لست امرأة شابة ، وصحتى ليست على مايرام . لا ، هذا جيد ، ربما لفترة قصيرة ثم نرى بعد ذلك . لقد وقعت فى ضعف شعبيتها ، وتصيدها الرأى العام . جولدا التى كانت مكروهة باعتبارها حزبية جدا ولأنها كادت تحبط انضمام ديان ذى الشعبية الى الحكومة ، حلقت منذ لحظة كونها رئيس الحكومة على أجنحة التأييد الشعبى وانطلقت فورا الى قمة الهرم وناداها الشعب بسعادة : ماما .

الصورة الرابعة :
مقدمات الكارثة :

من خلال تقارير شفوية ووثائق أخرى باتت الصورة واضحة : إن سوريا لن تبدأ حرب بدون مصر ، مصر لن تحارب قبل أن تجد حلا للتفوق الجوى الاسرائيلى . وبشكل واقعى ، فإن مصر تتطلع الى التزود من الترسانة السوفيتية بشيئين : صواريخ سكاد ذات مدى يصل الى المطارات الاسرائيلية العسكرية ، وطائرات هجومية حديثة من طراز سوخوى . وحتى تصل هذه الاسلحة ، لن تتحرك مصر . ذاك هو التصور القائم .

هذا التصور لم يتبناه فقط يونيه بندمان رئيس شعبة مصر وبقية رجال الاستخبارات فحسب ، بل أيدته ايضا جولدا مائير ويسرائيل جاليلى ، كانت القاعدة الأساسية لهذه المعلومات شخص يدعى "هامكور" أو المصدر . وصل "المصدر" متطوعا فى قواتنا من جهة غير معلومة ، وقدم نفسه باعتباره مؤهلا لامدادنا بمعلومات هامة عن مصر . وعلى مدى بضعة أعوام كانت بدايته بمعلومات رائعة . وكان قادة الدولة ينتظرون مادته بشغف ويقبلون على قراءتها أكثر من مرة . لقد اعتادوا عليه وتصوروا أنهم يعرفون بالضبط مايحدث فى مصر بفضل هذه المادة . وباتوا واثقين أنه لو حدث حتى ما يسوء ، وتهاوت التخمينات " فالمصدر" سيعرف كيف يحذرنا فى وقت مبكر نستطيع فيه أن نستعد

للحرب :
كل شئ تحت السيطرة ، وكله تمام .
لكن هذا التصور لم يكن فقط مسألة استخبارية . لقد كان أكبر من ذلك وأوسع. لقد تجسد فى صورة رئيس الحكومة . كانوا يسمونها السيدة الكبيرة ، امرأة صلبة ، صخرة . وبالفعل كانت تقف كالصخرة . حتى الليكود أحبها ولما لا ؟ فلم تكن مستعدة للتنازل عن سنتيمتر واحد . وذلك يعنى نظريا ومبدئيا أنه عندما يكون العرب مستعدون لسلام تام ، عندئذ نتحدث . والواقع أن جميعهم تقريبا كانوا سعداء . فلم يكن موقفنا أفضل من ذلك فى أى وقت مضى . لقد أمدنا الامريكيون بطائرات الفانتوم وسكاى هوك ، ونحن أنتجنا طائرات "كافير" والعرب ضعفاء ومرتبكين ومضطربين دوما ، وعندما مات عبد الناصر الذى كان رعبا للامهات والأطفال منذ الخمسينات ، أحرقوا النار فى دمية على شكله . لقد كان عدوا محترفا ، وحل محله فى حكم مصر نائبه المضحك أنور السادات.

الصورة الخامسة :

ألون سرَّب ، ديان اتنسف :

الحقيقة أن الرغبة فى السلام كانت بازغة ولكن لم نكن مستعدين للتعامل مع هذا الأمر ، ولا لدفع الثمن مقابل ذلك من الارض فى نهاية الأمر . قال ديان بفرح متعجرف ، إنه من الافضل الابقاء على شرم الشيخ دون سلام ،على سلام بدون شرم الشيخ . تهاوت مبادرات السلام الواحدة تلو الأخرى على يدى رئيسة الحكومة المبدعة . وأى وزير فى الحكومة يتجرأ ويخوض فى هذا الموضوع ، ويعتبر أن هناك ما يستحق التفكير فيه ، كان يتعرض لموجه توبيخ تجمد الدماء منها ، وما يجب ان يفعله هو الوقوف عند الحدود وانتظار ان يخضع العرب ويسلموا بالموافقة على اعطائنا السلام دون مقابل . ومن يفكر فى غير ذلك يعتبر رجلا هامشيا لا ينتمى للمعسكر .
وبعدما أريقت دماء الجانبين فى حرب الابادة تلقوا عرضا امريكيا لوقف إطلاق النار ، فهدأت المدافع وساد الهدوء . ولاحت علامة انتصارنا وسيسود الهدوء على الحدود ونستطيع ان ننعم بنوم عميق لعشرات السنين حتى يستعيد العرب عقلهم . لن يتحرك اى شئ . وهوما حدث بالفعل . فى عام ١٩٧١ ساند ديان اقتراحا بأن يحاول الامريكيون التوسط بين الأطراف . تنسحب اسرائيل ٤٠ كيلو مترا من القناة . ويعبر المصريون الى الضفة الأخرى بحوالى ٧٠٠ شرطى. يفتح المصريون القناة ويسمحوا للبضائع الاسرائيلية بالمرور فيها . يقوم المصريون ببناء مدن القناة من جديد، وربما يكون ذلك بداية عملية سلام ما . وقد سرب يجال ألون متعمدا هذه الاخبار لزئيف شيف فى "هآرتس" حتى يقتل هذه الخطة . ليس لأنها كانت تهدد الدولة فى نظره ، بل لأن ديان الكريه كان يحمل لوا ها. ولو أنها تحققت والعياذ بالله ، كانت ستعتبر انجازا لديان .
واندلع غضب شديد بعد التسريب ودفن الأمر فى مهده . كما أن جولدا نفسها لم تكن راغبة فى ذلك . لقد خافت أن يؤدى انسحاب الى انسحابات متتالية ، وقد عارضت بشدة فكرة أن يعبر القناة ولو حتى هذا العدد الضئيل من الجنود المصريين
فسيمثل ذلك سابقة . يئس الامريكيون وسحبوا يدهم من الموضوع . وخضع ديان لحكم جولدا ولم يثر مشاكل. كان ألون راضيا ، وكل شئ على مايرام .
وتمت بذلك سعادتنا . حيث كانت إحدى فقرات التسلية فى أمسيات يوم الجمعة أن نشاهد "مفكرة الاسبوع" فى التلفزيون إذ يقدم مقابلات أجراها مراسلون غربيون مع الرئيس المصرى الجديد الذى يتمتم بلغة انجليزية ضعيفة وهو يهدد بأنه إذا لم يحدث تحرك ما ، فستقع حرب .
أى حرب ؟ يتحركون ويتمرغون لستة ايام هؤلاء المتهالكين . وأحيان كانوا يجرون أيضا مقابلات مع ياسر عرفات الشاب الذى جاء مدججا بنظارة شمسية باهتة ، ويبدو كمجرم وإنجليزيته كانت أسوأ من السادات لذا بدا عربيا أكثر ومثيرا أكثر للسخرية . وكانت جولدا مائير تقول: ماذا تعنى كلمة "فلسطينيون" ، وتسخر منهم أمام الجمهور فيضحك ، ليس هناك ماهو فلسطينى ، تعرفون ؟ أنا فى الواقع فلسطينية . ربما هناك فى دولابى جواز السفر القديم الخاص بى منذ أيام الانتداب وفيه مكتوب إننى فلسطينية . وكانت تضحك والجمهور يضحك معها . ضحكنا جميعا ، فيالها من نكتة !
إلى جوارها وقف رجالها المقربون . كان هناك سكرتير الحكومة ، بيروقراطى سمين بنظارة غليظة وشعر مقصوص ، هو مايك ارنون ، والذى يعطى بعض التصريحات الخاوية من أى أهمية فى غياب متحدث الحكومة ومكتب رئيس الوزراء
وكان أيضا إيلى مزراحى رئيس المكتب الصحفى، ومدير عام مكتب رئيس الوزراء مناحم جازيت .
وهناك أيضا إمرأة نحيفة لها شعر رمادى وقصير ، وكانت ملازمة لجولدا وسكرتيرتها الشخصية ، تمشط شعرها مساءً ، وتجلس معها فى المطبخ تدخنان سويا أمام فنجان قهوة دافئ وتتمازحان على الوزراء . كانت أمينة سرها ، تنظم لها الزيارات السرية الى المستشفى . فالسيارة كانت تنتظر جولدا فى ظلمة الليل وتحملها الى مستشفى هاداسا فى عين - كرم
حيث ينتظرها الاطباء فيقودونها الى بدروم المستشفى ويتخذون إجراءات جلسة علاجها من مرض السرطان فى الغدد الليمفاوية .
وبالاضافة لهذه الأزمة كانت جولدا مريضة فى دمها ، وذلك أدى الى ظهور بثور جلدية حادة ، ولم تشف قدماها بعد من حادث خطير تعرضت له فى الخمسينيات . ورغم كل هذه الامراض كانت تمارس عملها وكأنها صحيحة البدن وكانت تدخن علبتين سجائر يوميا .
بالنسبة للشؤون السياسية كان الرجل الرئيسى فى مطبخها السياسى ، هو يسرائيل جاليلى ، مستشار الثقة الذى دعم وقوى وضعها كصخرة . وأحيانا كان يظهر فى الصورة أيضا ديان وآلون . لقد تحسنت علاقاتها بوزير الدفاع منذ الصراع بين كبار السن والشباب . ولكن كان لابد من مراقبته. ولم يكن الوضع القائم مريحا ، وكان ديان أحيانا يعطى آراء مقلقة ، وفى عدة مرات لم يكن من الممكن أن تفهم لأى اتجاه

يميل : مرة الى جانب الحمائم ، مثل ماذكره فى فكرة اتفاق وسط فى شأن القناة ، ومرة الى جانب الصقور . والآن فى ربيع ١٩٧٣ ، بدأ يتجه بجنون الى الصقور بالذات . وبدأ المطبخ السياسي يجتمع بدونه ليناقش جنونه وماذا يفعلون معه . وهكذا بدأت الكوميديا الكبرى عشية الحرب ، وبنظرة الى الوراء يبدو الأمر مضحكا حتى البكاء بالدموع ، دموع الحزن والأسى .

الصورة السادسة :

أوهام ديان ، ووثيقة جاليلي :

أفرشا أهوونسون رجل ذو طباع خشنة فى الخمسينيات من عمره ، ملامح وجهه قاسية ، اعتاد عندما يتحدث أن تتناثر من حوله نظرات الارتياب ، وصل الى مكتب جولدا وسابير وألون ووضع أمامهم كتيبا يحتوى تفصيلا لأفكار موشيه ديان بشأن إنشاء ميناء عميق فى ياميت ، متضمنا تخطيطات ورسوم وتصورات اقتصادية .

مس جولدا قليل من الرعب . ليس المفروض ان يحدث هذا الآن ماذا تقصد بالآن ؟ إنها الانتخابات التى ستجرى أول نوفمبر ١٩٧٣ ، كانوا يستعدون لانتخابات الكنيست ، وأمام حزب العمل سيتنافس للمرة الاولى تكتل جديد هو الليكود ، الذى أنشأه أريل شارون الذى جرى تسريحه من جيش الدفاع وانضم للحزب الليبرالى . والليكود أكثر تهديدا من أحزاب اليمين قبل اتحادها . وجولدا لا تخشى أن تفقد الحكم فى الانتخابات ، لكن خوفها من تضاؤل قوة حزبها . لابد أن يسود هدوء مصطنع . يكفى المشاكل التى تزعجها من معسكر الحمائم . وإذا أقدم ديان على إحداث بلبلة فى معسكر الصقور فسيبدو الحزب منقسم ومتشرذم . بخلاف ذلك ، فهناك دائما خطر أن يصل جنون ديان الى حد أن يقرر الاستقالة وتشكيل حزب صغير يجذب عدة أصوات من الحزب الحاكم ثم ينضم الى الليكود ، ذلك اذا لم يقبلوا شروطه . باللكابوس .

ماذا أراد ديان ؟ بخلاف الاعلان عن إنشاء ميناء ياميت ،لقد أراد أن يدعو الحزب فى برنامج الانتخابات أن إسرائيل ستواصل إنشاء مستوطنات فى كل مكان تجده مناسبا ، وستسمح بشراء اراضى فى الضفة الغربية عن طريق سماسرة خصوصيين .

لقد بدأت الآن قصة طويلة ومنهكة من المداولات اللانهائية حول شروط ديان . واجتمعت لجان صياغة لتجد حلا وسطا بين ديان والباقين . ثار ألون ، وتبنى الاقتراح بالاستيطان فى الخفاء ، وبالتأكيد هوجمت خطة ألون التى تقيد حرية تحديد مواقع الاستيطان . أما جاليلى الذى أعتبر من ناحية ما عبقرى الصياغة ، أعلن بعد عدة أسابيع من المفاوضات ، وثيقة جاليلى " الذى سرب اليها بطريقة ما شروط ديان الى برنامج الحزب .

وبينما كانت كل القيادة السياسية فى الدولة مشغولة بهذا الأمر ، كان الجنود المصريون والسوريون يتدربون بهمة ، والضباط منكبون على الخرائط والسياسيون يدبرون للحرب التى ستبدأ بعد قليل ، والعميان يغنون بصوت مرتفع عند قدمى تمثال جولدا مائير .

الصورة السابعة :

رؤى يوم القيامة التى رأتها سيدة انجليزية :

فى صباح أحد أيام أخريات سبتمبر جلست سيدة وكتبت خطابا الى جولدا مائير . فى مدينة صغيرة هادئة فى انجلترا كتبت إنها حلمت فى الليلة السابقة . وهى لم تكن يهودية ولا علاقة لها بإسرائيل ، ولكنها شعرت بضرورة الاسراع بالكتابة شخصيا الى رئيس حكومة اسرائيل . كتبت تقول إنه صادفها حلم غريب ، فيه رجال بملابس عسكرية يُنزلون قوارب مطاطية الى المياه ويتسللون فى هدوء فى جنح الظلام الى الجانب الآخر . كانوا يتحدثون العربية . لم أكن أفهم هذه اللغة ، لكننى مقتنعة أنهم تحدثوا بها . كان فى الحلم أمر ما يثير الخوف ، جعلنى اشعر بضرورة أن اكتب لك ياسيدتى .

أرسل هذا الخطاب قبل اندلاع الحرب ، لكنه انفتح وقرأ بعدها ، ولكن من الصعب أن نفترض أيضا أن جولدا كانت ستتأثر من حلم سيدة إنجليزية وتأمر بالاستعداد وتعبئة قوات الاحتياط . إن الرجال الذين كان عليهم أن يحذروها ويحذروا الدولة كلها مازالوا يلتقون بأحد المطاعم . بعض علامات الاستفهام التى قامرت بمصير الدولة تجلس هناك .

لقد رأوا الدلائل وسمعوا الأصوات ، لكن جميعهم لم يفهموا ماذا يحدث . حتى الذين فهموا وحاولوا أن يفعلوا شيئا ما جرى تقريعهم . مثل الرجل ذى الاسم المهجرى ، رائد زوسيا كينجر ، رئيس شعبة الاردن بالاستخبارات العسكرية . فقد جلس يوما مع فى حجرة الضيافة التابعة للموساد ، وشاهد رئيسة الحكومة جولدا مائير تتباحث مع ضيف وصل بصورة مفاجئة بالهليكوبتر عبر الحدود . كان الملك حسين الذى وصل ليحذر جولدا أن حربا تلوح فى الافق . وانصب كلام حسين على حرب مع سوريا. ارتعد كينجر وأورد تقريرا عن ذلك تليفونيا لزميله وصديقه أفيك يعرى رئيس شعبة سوريا ، وهو رجل ضئيل الحجم له حاجبين كثيفين ، وابن زعيم المابام مائير يعرى .

وبعد أن استمع الى كينجر اتصل يعرى بضابط استخبارات قيادة المنطقة الشمالية ، الذى وضع بدوره كل الخط الشمالى المواجه لسوريا فى حالة استعداد . وفى اليوم التالى ، اثناء جلسة رؤساء الشعب مع رئيس قسم التحرى إريا شليف ، جرى توبيخ الاثنين ، شليف الذى كان لطيفا هادئ الطباع بدا هذه المرة ثائرا عدوانيا ، وهزأ من كينجر لأنه كسر قواعد التسلسل العسكرى ونقل الى يعرى معلومات حساسة . كما غضب من يعرى لأنه أمر بالاستعداد من تلقاء نفسه . وقد علمهم هذا عدم إثارة الزوابع . وكان إريا شليف ومعه رئيس الاستخبارات العسكرية إيلى زعيرا يؤيديان بحماس ما قاله يونيه بندمان ، لا حرب ، ولن تكون هناك حرب ولا داعى لربكة الدماغ .

لدغة الموت من العميل المزدوج :

وبعد الحرب تكرر دفاعها عن نفسها : ماذا تريدون منى ؟ كل هؤلاء الجنرالات ، بدءا من وزير الدفاع قالوا إن كل شئ تمام ، إذن لماذا يجب أن أفهم أنا بالذات شيئا آخر . ماذا أكون ؟ رجل حرب محترف ؟ ولو فرضنا ، لكنه سيكون الى نقطة محدودة .

إننا نختار سياسيينا للمهام الكبار وليس لكى يأخذوا برأى الخبراء دون اعتراض . ولو كان الأمر كذلك لاكتفينا بحكومة خبراء . السياسى يجب أن يكون لديه إدراك وفهم سياسى ، وجهة نظر استراتيجية ومشاعر حادة . ليس هناك كالسياسى مؤهلا لفهم السياسيين المواجهين على الجانب الآخر من الحدود .

إن قرار الحرب لم يتخذه الخبراء فى مصر وسوريا ، بل اتخذه السياسيون . لقد واجهوا وضعا تمسك فيه الطرف الآخر بالوضع القائم وكرسوا له ، فلم يمكنهم الصبر على ذلك . الحرب إذن ، كانت واضحة كالشمس . هذا الفهم كان بالضرورة مطلوبا من جولدا . لكن سياسيين وأيضا إناسا عاديين يجدون صعوبة للتسليم بالنتائج السيئة لأفعالهم وقراراتهم . عندما قررت جولدا أن الوضع القائم هو أروع ما يمكن ، كان عليها ان تلتفت الى حقيقة ان نتيجة ذلك ستنتهى الى الحرب . لقد كانت حماقة وفقدان بصيرة من جولدا . إنها الدرجة العقلانية التى لم تكن لتستطيع الوصول اليها . وهذا هو اعتقادها وهذا الاعتقاد تسرب الى قادة الجيش ، ولقادة الاستخبارات ، وللشعب كله . وماذا عن "المصدر" المحترم الذى نقل لنا الوثائق والبروتوكولات والمعلومات المدهشة عن توجه معنويات القيادة العسكرية والسياسية فى مصر ؟ لقد سكت وذهب قبل الحرب بيوم واحد الى مدينة اوروبية كبيرة ليزف الينا البشرى : هناك حرب .

ورغم الأخطاء المتناقضة لرئيس الموساد تسافى زمير ، الذى سافر مسرعا لمقابلة المصدر ، تسربت أخبار أن المصدر كان عميلا مزدوجا أتخمنا بالكثير من المواد المعلوماتية الجيدة ، ولكن دس فيها السكر المسموم الذى أدى الى التصور الكارثة ، والآن استيقظ فجأة لينزل بنا الضربة الاخيرة . ومن ناحية أخرى ، يمكن أن يلدغنا لدغة أخيرة وتضليلهم بالنسبة للتوقيت الذى ستندلع فيه الحرب . وقد أورد زمير تقريرا فى يوم الغفران فجرا بأنه سمع من المصدر أن الحرب ستكون فى الساعات الاولى من المساء. هنا كان الخطأ الأخير .

لقد نشبت الحرب فى الظهيرة ، وكان الاسرائيليون يتوهمون أنه ماتزال أمامهم أربع ساعات . هل وضحت الصورة أمامكم حكومة اسرائيل تجتمع لكى تناقش الحرب التى ستقع بعد عدة ساعات ، بمجرد أن بدأت الجلسة ، سمع الوزراء المدهوشون عويل صفارات الانذار ، وتنكر كل منهم للآخر .

الصورة الأخيرة :

زيارة الرجل الذى دعاها السيدة العجوز :

فى نوفمبر ١٩٧٧ ، بعد لقاءات قمة هامة له فى اسرائيل ، توجه الرئيس المصرى أنور السادات للقاء كتلة حزب العمل بالكنيست . فالعمل الآن كان يمثل المعارضة الرئيسية . كان مناحم بيجين هو الذى صنع السلام مع مصر وهو الذى لعب مع السادات اللعبة الكبرى أمام وسائل الاعلام الدولية كما لو كانوا ممثلين محترفين وبارعين . وفيما بعد تتهاوى جولدا مائير العجوز وتكاد تموت من الحسرة والمرارة ، عندما تسمع أن كليهما قد فازا بجائزة نوبل للسلام ، حصلا على نوبل ؟ كان لابد أن يحصلا على الاوسكار ، ياللحسرة - هكذا كان يقول لسان حالها . والآن تجلس هناك ، فى حجرة تكتل العمل بالقرب من الرئيس المصرى ، وتبادل الاثنان كلمات لطيفة . وأمام كاميرات التلفزيون قدمت جولدا للسادات هدية وقالت : هذه لحفيدتك التى ولدت مؤخرا ، وأنا الآن يمكن ايضا أن أتحدث معك كجدة الى جد .

وضحك السادات ضحكة عالية . قالت لقد اعتدت دائما أن تسمينى السيدة العجوز . فانفجر السادات فى الضحك - صحيح ، دعوتك بذلك ، صحيح ؟ وانضمت جولدا اليه فى الضحك .

ترى ما الذى كان يعتمل داخلها من مشاعر فى هذه اللحظات لا يمكن ان نعرف . هل ينتابها شعور كبير بالندامة ؟ كان يمكن ان تبرم هى السلام مع السادات . الاتفاق على انسحاب جزئى من منطقة القناة كان من الممكن أن يصبح بداية عملية تؤدى الى سلام بين الدولتين ، لكنها رفضت ، والآن قطف بيجين رئيس الحكومة كل الثمار .

ولكن اذا كان ذلك ما تشعر به ، فقد أخطأت . فلا هى ولا حزبها كانوا مهيئين للقيام بهذه القفزة الذهنية : التنازل بسخاء عن أراضى حتى السنتيمتر الاخير وإخلاء المستوطنات. جاليلى وألون كانا يعارضان ، وجولدا نفسها كانت ترتجف من الفكرة . لا . لم يكن ليحدث. كان يجب ان يأتى بيجين ، رجل حركة جيبوتنيسكى ذات المبدأ المستقر. دونم آخر ، وجراه آخرى، حتى يقوم بما يفعل بضربة واحدة.

ولكن هل هى تعتقد انها أخطأت ؟ بالقطع لا. لقد واصلت الشعور بأنها على حق عقلية فذة تتهاوى من حولها المبادئ والمخاوف القليلة. لقد كانت على حق تماما ، آنذاك ، هكذا تستشعر وهكذا قالت أمام الصحفيين : لقد كنت على حق تماما . إنها لم تنهار فى الحرب، لقد كانت قوية كعهدها . لقد أرادت من قلبها أن تبكى ، لكن لم تسمح لنفسها بذلك . لم تعتذر ابدا ، ولم تعرب عن أى ندم، ولم تتعرف على جهلها وحماقتها . أقصى ما كان يمكن ان تفعله هو الرثاء والحسرة لأنها لم تسمع لنداء قلبها الذى حذرها بأن هناك شيئا خطيرا سيحدث ، وأنها استسلمت للآراء المتصلبة لرجال الجيش والاستخبارات. ما الذى قالته عن ذلك حقا ؟ قالت إن الاحاسيس الصحيحة والصائبة كانت لديها ، لقد عرفت بقلبها ما سيحدث ، لكن الآخرين هم الذين دفعوها للخطأ . فهى فى حد ذاتها برئية طبعا وعلى حق ، وربما قد ولدت كذلك.

٢ التسوية السلمية

هل نحن حقا نريد سلاماً ؟

ملحق يديعوت احرونوت
٢٠ / ٩ / ١٩٩٨
بقلم : شولاميت ألونى

إذا سألنا آباء ايضربون أبناءهم هل هم يكرهون أولادهم ، فسوف يخجلون . فمن المفهوم أنهم يحبونهم . كذلك الآباء الذين يعذبون بناتهم ويغتصبونهم فهم يحكون دائما وللأبد عن حبهم لهن . إذن لماذا يفعلون ذلك ؟ والاجابة فى معظم الاحيان ستكون أنهم أنفسهم كانوا أبناء مضطهدين وكذلك تم تعذيبهم ولهذا فهم لا يستطيعون عمل غير ذلك.

فلتسألوا من فضلكم من يشتهون الأراضى المحتلة ، رجال تل رميدة وقبر يوسف ، رجال حانان بورات وليفنجر وباقى من يقسمون على قبر باروخ جولدشتاين وعلى كامل الأرض أرض اسرائيل) هل هم يريدون السلام ؟ بالتأكيد هم يريدون السلام! إنهم حتى يعلمون كيفية استياق مقدمات من التوارة والتى تنعش حب السلام لديهم ، ومع ذلك فهم هادمو السلام وأعداء المصالحة . إنهم فقط يطلقون على ذلك رسالة : إن شهوتهم لا تعرف الشبع .

إن سحر الآيات ورهبة الحاخامات تؤثر على الناس للقيام بأفعال لا تفعل ، مثل إيجال عامير ، قاتل رابين ، مثل السفاح المغتصب للنساء من الجنوب والذى قال : " لقد وضعت زوجتى طفلا مؤخرا وحسب التقاليد الدينية محظور علىَّ أن أقيم معها علاقات جنسية خلال ثلاثة أشهر . لقد كنت مضغوطا ولم أستطع الانتظار " . إن الحفاظ على التوراه يسبق أى شئ . بالطبع إنها توراة حسب مزاجك .

وبذلك ، فإنهم أيضا ودائما مضغوطون ودائما هم يستحقون كل شئ وماذا فعلوا لنا ، لسلامتنا ولأمننا ، إن كل شئ مبنى على آيات من التوراة وأوامر من الربانيين . وباسم الأمر الأعلى فقد قاموا ب : اغتصاب الجيش والشرطة والحكومة وتدمير وضربات ، وكل ذلك دائما بأمر حاخامى ، عن دراية وإرتفاع للروح .

وعن ما تم فعله فى المناطق بإسمنا وبأموالنا وبجيشنا قيل الكثير بمبررات من التوارة.. وفقط مجتمع مضطهد والذى جمع القوة يمكن أن يكون شهوانى بهذا الشكل ، وينقصه العقل ويؤمن بالقوة بلا حدود. فقط نحن نتشجع ، بعد فظائع القرن الحالى ، فى سلب أراضى غيرنا ، ونستغل حكمنا العسكرى ، بمساعدة تعديلات قانون الطوارئ الحقيرة من أيام الانتداب البريطانى ، وذلك للقيام بالعقاب الجماعى، وأعمال التعذيب ، والسجن بدون محاكمة، وهدم البيوت ، واستغلال واسع للظروف لسلطتنا ، وذلك من خلال خرق للمعاهدات الدولية، من خلال اغتصاب أخلاقى للعدل، وتنمية للعنصرية الحقيرة ، وكل ذلك بإسم اسطورة تاريخية ، باسم الدين والوعد الإلهى والوعد المسيحانى . ونحن الذين اعتقدنا قبل خمسة أعوام وآمنا بمنظر مصافحة الأيدى على نجيل البيت الأبيض، أنه قد حان الوقت أخيرا، مع المصالحة والاتفاق ، والحياة وليس الموت سوف يملأون حياتنا ، أمن وليس رعب، إنتعاش الروح وليس تطرف الرأى ، رفاهية وسعادة وليس ضائقة . وكان هناك منا من آمن بأن جنازات المستقبل سوف يدفن فيها الأحفاد آباء آبائهم ، وليس الآباء هم الذين سيدفنون الأبناء .

نحن الذين آمنا بالغد ، نستمع الى رئيس وزرائنا وأصدقائه ومبعوثيه فى الأراضى المحتلة ونحن نعلم أن وقت السلام يبتعد وأن الشهوانية تتزايد وتتزايد معها الكراهية للآخر ، ومعهم العنصرية والاستغلال والعنف والخروج على المنطق والعقل. ولكن هذا الوضع لن يستمر طويلا .

إن أى ديكتاتورية قوة وابتزاز لا تستطيع أن تستمر طويلا وكذلك الحال بالنسبة للمستوطنين ومؤيديهم ، أو تلك التى تتمتع بائتلاف سياسى فاسد فى الكنيست . إن روح الزمن تتغير - هكذا قال الفيلسوف هيجل - بواسطة الرجال والنساء الموجودين فى الساحة فى أوساط الشعب ، وسوف تجيئ وتطهرنا من الشهوانية ومن التعالى ومن الظلم الواقع باسم الله ومسيحه .

إن السلام آت بالتأكيد حتى ولو تباطأ وتعثر . ليس سلام الطرد والسلب ، بل السلام النابع من ضرورة الوجود والأخلاقيات ، من خلال إحلال الصدق والعدل مع الآخرين ومن خلال المصالحة والحلول الوسط . صحيح أن الطريق مازال طويلا وهناك الكثير من العمل الذى يجب القيام به وأنا مؤمنة أن الخالق سوف يجلب الروح القوية التى ستظهر،وتنشر الصلح والتى تبنى السلام . سنة سعيدة وسنة سلام .

القدريون والمتفائلون

معاريف
٢٣ / ٩ / ١٩٩٨
بقلم : حسامى شليف

يعتقد رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو أن إسرائيل تواجه الآن خطرين استراتيجيين أساسيين . فى الأحاديث الصحفية الكثيرة التى أدلى بها بمناسبة رأس السنة العبرية قال نتنياهو أن الخطر الاول هو الارهاب والثانى هو تسلح بعض الدول مثل ايران والعراق بصواريخ باليستية قادرة على حمل أسلحة غير تقليدية . وأضاف نتنياهو : إنه فى عهده اتخذت اسرائيل اجراءات هامة من أجل درء الخطرين ، وفى كلتا الحالتين فإن الرد يتكون من الاجهاض والردع . تحبط اسرائيل عمليات فدائية لا حصر لها ، وفى نفس الوقت تردع السلطة الفلسطينية من إعطاء (ضوء أخضر) للمنظمات الارهابية على كافة أنواعها . تقوم اسرائيل بتطوير قدرة دفاعية ورادعة ضد الخطر غير التقليدى ، وفى الوقت نفسه تبعث برسائل رادعة للدول التى توشك من الحصول على مثل هذه الوسائل .

طبقا لمنظور نتنياهو لا يوجد حل سوى السياسة التى تسلكها حكومة اسرائيل الحالية . لا يوجد حل طويل المدى للارهاب ، مثلما لا توجد طريقة لاجتثاث الخطر غير التقليدى من جذوره . لن تفيد العملية السياسية فى تقليل الارهاب ، مثلما لن ينجح فى إحداث تغيير أساسى للواقع الشرق اوسطى . ولأسباب تتعلق بالتربح السياسى ، لا يقول نتنياهو ذلك صراحة ، ولكن جوهر كلامه الوحيد هو أننا سنظل الى الأبد شاهرين السيوف .

ويمكن ان نجد اللبنات الاساسية لفكر نتنياهو فى ذلك الحديث غير العادى الذى أدلى به والده ، بن تسيون نتنياهو لصحيفة هاآرتس . فقد غرس الأب فى إبنه رؤية قدرية، لخصها سلف نتنياهو ، اسحاق شامير فى جملة خالدة (العرب هم نفس العرب والبحر هو نفس البحر) . إن رغبة العرب فى تدمير اسرائيل هى صفة يولدون بها ولا سبيل لاستئصالها . لا تستطيع اسرائيل أن تتوصل الى مصالحة حقيقية ومستقرة مع العرب ، ولن تفلح أى تنازلات ، وعلى ذلك فقد حكم على اسرائيل الى الأبد أن تعيش حياة الدفاع والردع حتى يوم الدين. وطبقا لاستطلاع للرأى قام به معهد جالوب ونشر عشية رأس السنة، أن لهذه النظرية أتباعا كثيرين داخل الجماهير . أكثر من نصف الجماهير فى اسرائيل على قناعة بأن العرب لن يتخلوا أبدا عن تطلعهم الى تدمير اسرائيل . هذا الموقف الأساسى المتشائم ، من جانب نتنياهو ومن جانب الجماهير ، يمثل نقطة ارتكاز فى الاعتراض على التنازلات التى يرى المجتمع الدولى أنها ستحقق السلام - اى - اعادة هضبة الجولان وإقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية .

إن نتنياهو وكثيرين على قناعة بأن هذه المناطق سوف تستخدم فى نهاية الأمر لتحقيق الهدف الحقيقى للعرب - وهو إضعاف اسرائيل حتى تدميرها نهائيا ، وهذا هو النقيض تماما للرؤية التى حفزت اسحاق رابين الراحل وشمعون بيريز للتوقيع على اتفاقيات أوسلو والسعى الى تحقيق اتفاق شامل مع سوريا . لم يسلم رابين وبيريز بحكم القدر مثلما يفعل نتنياهو واليمين ، ولم يفقدا الأمل بأنه فى مقدورهما تغيير الواقع الذى تعيشه دولة اسرائيل . لم يتجاهل رابين وبيريز هذين الخطرين الاستراتيجيين اللذين يتكلم نتنياهو عنهما ، وإنما على عكسه ، أعتقدا أنه فى مقدور العملية السياسية أن توفر حل طويل الأمد لهذه الأخطار .لقد آمن الاثنان فعلا أنه لا حل آخر سوى العملية السياسية . ومثل رابين وبيريز من قبله ، يتكلم نتنياهو باسم الواقعية اليقظة . وهو معتاد على السخرية من إيمانهم بالحلول التى يصنعها البشر ويطلق على هذا الاعتقاد (دين)

ولكن فى حقيقة الأمر فإن معتقدات نتنياهو لا تقل (دينية) عن تلك التى لدى زعماء حزب العمل ، إن ديانة رابين وبيريز هى ديانة متفائلة تتيح لليائسين أن يغيروا مصيرهم ، أما ديانة نتنياهو فإنها مبنية علي أسس قدرية على غرار (ما كان هو ما سيكون) ولن يفلح أى شئ . لقد آمن رابين وبيريز بالنهاية التى يمكن تغييرها أما بالنسبة لنتنياهو فالنهاية معروفة مسبقا ، لن تنجح إسرائيل الى الأبد فى سد جميع الثقوب التى تظهر من خلالها الخطر الدائم . ومثلما لا يضمن نتنياهو الحصانة التامة أمام الارهاب ، هكذا لا يستطيع أن يتعهد بالتصدى التام لهجوم غير تقليدى . عند نتنياهو ، وعلى النقيض من رابين وبيريز، فإن سقوط الصاروخ الذى يحمل رأسا متفجرة حقيقية غير قابل للجدل . إنها مسألة وقت فقط .

تصور للسلام الشامل

هآرتس
٢٠ / ٩ / ١٩٩٨
بقلم : ابراهام تامــيــر

لقد بدأت عملية السلام فى عام ١٩٧٤ بعد حرب عيد الغفران تحت رعاية مؤتمر جنيف ، وعلى أساس قرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢، ٣٣٨ . وساعدت هذه العملية على التحرك نحو حل الصراع العربى الاسرائيلى بواسطة السلام والأمن الوطيدين .

وفى إسرائيل بعث الأمل من جديد فى السلام والذى لم يتحقق بعد اتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٩ لأن بعض الدول العربية الرئيسية (مثل مصر وسوريا والأردن) قد فضلت حل الصراع بالطرق السياسية . وكان هناك عنصر رئيسى آخر فى عملية السلام ألا وهو الحكومة الامريكية التى طلبت دفع عملية السلام من أجل الحفاظ على المصالح فى الشرق الاوسط ، وأقصد المصالح الحيوية للأمن القومى الأمريكى وللسلام العالمى مثل مصادر البترول فى الخليج العربى ووسائل الحصول عليه .

ولاعتبارات تتعلق بالأمن القومى كانت إسرائيل فى حاجة الى عملية سلام شامل وكان لذلك عدة أسباب :

– الخطر المتمثل فى هجوم عربى شامل والذى من الممكن أن يستخدم فيه أسلحة الدمار الشامل (الكيماوية والبيولوجية ومن الممكن أيضا استخدام أسلحة نووية فى المستقبل) .

– عدم استقرار السلام المنفرد ، طالما وأنه ليس هناك أى تحرك نحو السلام الشامل (وقد تعلمنا ذلك من خلال عملية السلام مع مصر) .

– العلاقات المتبادلة بين السلام المنفرد والذى ستقيمه اسرائيل مع كل واحدة من جيرانها (والآن أيضا السلطة الفلسطينية فى المناطق) وبين اتفاقيات السلام الشامل فى مجالات الحدود الدائمة ، ونزع السلاح والرقابة عليه والعلاقات الاستراتيجية والعلاقات الاقتصادية .

ولكن عملية السلام لم تعتمد حتى الآن على أساس الاستراتيجية الاسرائيلية للسلام الشامل بسبب عنصرين أساسيين ، الاول ، سياسة حكومة الولايات المتحدة الأمريكية التى تحرص على إغلاق الباب أمام مشاركة الاتحاد السوفيتى الفعالة فى عملية السلام حتى لا يستطيع استغلال ذلك فى توسيع مجال نفوذه فى الشرق الاوسط . وأما العنصر الثانى ، فهى الخلافات بين الأحزاب السياسية فى إسرائيل حول أهداف السلام التى استوجبت تشكيل حكومة ائتلافية تحظى بأغلبية فى الكنيست من خلال تفضيل "قاسم مشترك " لاتفاقيات منفردة أو جزئية مع اى دولة عربية متاخمة لاسرائيل ، وعدم القدرة على سد الفجوات من أجل خلق قاسم مشترك يؤدى الى تحقيق السلام الشامل ، وخاصة فيما يتصل بتحديد حدود اسرائيل والتوصل الى حل للمشكلة الفلسطينية. ويجب أن نضع فى الاعتبار بأنه يجب على إسرائيل أن تواجه الاستراتيجية العربية التى تشترط وجود علاقة بين السلام المنفرد والسلام الشامل الذى يعتمد على حدود الرابع من يونية ١٩٦٧، وإقامة دولة فلسطينية عاصمتها القدس ، وقد برزت الاستراتيجية العربية بواسطة الضغط على اسرائيل وتحديد مستوى تطبيع العلاقات التى أقرتها الاتفاقيات المنفردة من أجل إجبار إسرائيل على التقدم نحو اتفاقيات السلام حسب شروط الطرف العربى . إن سياسات حكومات اسرائيل التى تؤكد أن أى عملية تعتمد علي اتفاقيات سلام منفرد يجب أن توفر لاسرائيل الأمن فى مواجهة أخطار جبهة الرفض العربية للسلام المنفرد (مثلما حدث مع جبهة الرفض بزعامة سوريا والعراق ومنظمة التحرير الفلسطينية والتى سعت الى إفشال وإجهاض إتفاقية السلام المنفرد بين مصر وإسرائيل) ومن ناحية أخرى ضمان القدرة على حماية اتفاقيات السلام المنفرد.

هذا وكان هناك تأثير لهذه السياسة على مواقف اسرائيل فى عدة مجالات :

– الحدود الدائمة للسلام المنفرد وذلك لاعتبارات تتعلق بالأمن القومى .

– ترتيبات أمنية وسياسية وعسكرية واقتصادية للسلام المنفرد ، ومن أجل تحديد هذه الترتيبات فإنه يجب أن نضع فى الاعتبار الانتهاكات السابقة للاتفاقيات المنفردة (التى تسببت فى عام ١٩٥٦ فى التدهور نحو حرب سيناء وتسببت فى عام ١٩٦٧ فى نشوب حرب الأيام الستة . وكذلك نضع فى الاعتبار الاتفاقيات الدولية الأخرى التى استهدفت الانتقال من الحرب للسلام.

– المراحل الانتقالية لتنفيذ اتفاقيات السلام المنفرد والتى تساعد على معرفة مدى تنفيذ الالتزامات التى تحددت فى كل مرحلة قبل الانتقال الى المرحلة التالية، وكذلك مدى استقرار هذه الالتزامات فى حالة وجود أخطار نابعة من جبهة الرفض العربية.

– العلاقة بين أمن السلام المنفرد وبين أمن السلام الشامل.

– تفضيل عملية السلام بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية ، ويبرز ذلك فى الوساطة والضمانات الأمنية والمشاركة فى وضع الترتيبات الأمنية (بما فى ذلك المشاركة فى القوات المتعددة الجنسيات) والتعاون الاستراتيجى مع إسرائيل .

– قدرة اسرائيل على الدفاع عن نفسها ضد الاخطار الكامنة فى الشرق الأوسط وخارجه طالما وأن هذه الأخطار مازالت قائمة .

إن النظرة الى حدود السلام من خلال اعتبارات الأمن القومي يجب أن تضع في الاعتبار أن تكون هذه الحدود مقبولة لدى الأطراف المعنية مباشرة باتفاقيات السلام ، وذلك لأنه من المستحيل أن يفرض أي طرف شروطه على الطرف الآخر خاصة وأن الطرف العربي فشل في فرض شروطه على إسرائيل بواسطة الحرب والارهاب . وقد ساهمت في ذلك انتصارات جيش الدفاع الاسرائيلي في الحروب وأسلوب التعمية الذي تتبعه إسرائيل فيما يتصل بقدرتها النووية . وأما الجانب الاسرائيلي فقد فشل هو الآخر في فرض شروطه على الرغم من انتصاراته في الحروب والمعارك، وعلى الرغم من قدرته على الردع ، وذلك بسبب إصرار الدول العظمى على وقف الحروب الاقليمية والتي يمكن أن تتسبب في نشوب حرب بينها . ولذلك فقد عملت الدول العظمى بواسطة قرارات مجلس الأمن على وقف إطلاق النار وعلى التوصل الى تسويات سياسية وأمنية في ٥٦ ، ٦٧ ، ١٩٧٣ .

إن إسرائيل قوية بفضل قدرتها على الردع وقدرة جيش الدفاع الاسرائيلي على الحسم العسكري في الحرب اذا فرضت عليه . وإسرائيل قادرة على التوصل الى حل وسط مع أي طرف عربي على أساس تفضيل حدود متفق عليها مع وجود عمق استراتيجي أمامها بواسطة الجمع بين الترتيبات الأمنية وقدرة جيش الدفاع الاسرائيلي على الدفاع عن إسرائيل بداية من المدى الاستراتيجي ، بدلا من الحدود غير المتفق عليها ولها عمق استراتيجي من ورائها حيث أن الاحتفاظ بمثل هذه الحدود يؤدي الى إطالة أمد الحرب .

ولذلك ، فإنه من أجل السلام مع مصر والاردن وافقنا على الحدود التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني، وأما مع سوريا فسوف نضطر الى مواجهة السلام في الحدود التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني . وأما من أجل السلام مع الاردن فقد وافقنا على حدود فترة الانتداب البريطاني . وأما في مناطق يهودا والسامرا وغزة فإننا في حاجة الى شئ جديد يمنح اسرائيل حدودا مختلفة عن حدود الهدنة منذ عام ١٩٤٩ من أجل أن تتمكن من مواجهة الأخطار التي تكمن في الدولة الفلسطينية وخارجها . وتشمل هذه الحدود معظم المستوطنات الاسرائيلية التي أقيمت من اجل تغيير الحدود لاعتبارات أمنية. وتشمل أيضا القدس الموحدة لاعتبارات قومية . وأما مصير المستوطنات الاسرائيلية في مناطق يهودا والسامرا وغزة والتي لن تندرج في نطاق حدود اسرائيل ، فسوف يتحدد على أساس التبادلية (في مجالات الحقوق الوطنية والأمن والقانون) مع المستوطنات الفلسطينية التي ستدخل في نطاق الحدود الاسرائيلية . ومن ناحية اخرى فإنه في مقابل السلام مع سوريا سيكون من الضروري إتخاذ قرار بشأن إخلاء بعض المستوطنات أو تركها تحت السيادة السورية.

وبالاضافة الى ذلك يجب التأكيد على أنه من أجل المحافظة على مصادر المياه الحيوية لاسرائيل في الجولان أو مناطق يهودا والسامرا وغزة، فإنه يجب تفضيل التعاون من أجل تقسيمها وتطويرها على استمرار احتلالها بواسطة الجيش .

وتجدر الاشارة الى أن تحديد الترتيبات الأمنية للسلام المنفرد مشروط بوضع حدود دائمة وتفضيل الأطراف الحفاظ على هذه الترتيبات كما هي نصا وروحا على التدهور نحو الحرب والارهاب نتيجة انتهاك هذه الترتيبات . وفيما يتصل بالحدود المتفق عليها وماهية الترتيبات الأمنية ، فإن هناك فرق بين اتفاقيات السلام الموقعة مع الدول العربية المتاخمة لاسرائيل والتي لها حدود دولية تتفق عليها قبل قيام اسرائيل (منذ فترة الانتداب البريطاني) وبين الاتفاقيات حول الحدود المتفق عليها في مناطق يهودا والسامرا وغزة، مع وجود دولة فلسطينية تدعى حقها في أن ترث حدود الهدنة منذ عام ١٩٤٩ مع الأردن في مناطق يهودا والسامرا أو القدس (مع مصر في منطقة غزة) .

وبسبب الاعتقاد بأنه من الممكن التوصل الى اتفاق حول وضع سياسي في مناطق يهودا والسامرا وغزة يشمل دولة فلسطينية والدمج بين الحدود الدائمة وحدود الفترة الانتقالية ،فإنه يجب أن نضع في الاعتبار أن الترتيبات الأمنية التي ستتحدد بين اسرائيل وبين الدولة الفلسطينية سوف تشمل بنية أساسية وقوات أمن داخلي فقط للدولة الفلسطينية وغطاء أمن لجيش الدفاع الاسرائيلي في حدود الاردن وسماء يهودا والسامرا وغزة . ويهدف هذا الغطاء الى مواجهة الأخطار التي تحدق بالشرق الاوسط الى أن يتم إعادة النظر من جديد في نطاق منظمة للتعاون والأمن تتكون من دول المنطقة .

وفيما يتصل بالدول التي لها حدود سلام متفق عليها مع اسرائيل فقد جاء :

- إن الترتيبات الأمنية تستهدف إبعاد خطر الهجوم المباغت أو وقوع أعمال ارهابية بواسطة إبعاد القوات العسكرية عن الحدود. فقد أكدت الترتيبات الأمنية مع مصر على وجود عمق يصل الى حوالي ٨٠ أو ١٠٠ كيلو متر من الحدود ، ويتم نزع السلاح فيها وتقليل عدد القوات . وبالاضافة الى ذلك يتم إبعاد الصواريخ والطائرات الهجومية لمسافة تصل الى مئات الكيلومترات بعيدا عن الحدود . ويجب أن تكون لبنان منزوعة السلاح السوري ولا يوجد فيها قوات عسكرية سورية . وأما الدولة الفلسطينية فيجب أن تكون خالية كلية من قواعد الحرب والارهاب .

- يجب أن تكون هناك التزامات سياسية بضمان الولايات المتحدة الأمريكية من أجل منع حدوث أي تكتل استراتيجي لشن حرب ضد اسرائيل .

- يجب أن تكون التبادلية حافزا لتطوير أمن السلام المنفصل للانتقال الى أمن السلام الشامل . وهذه التبادلية تشمل نزع الأسلحة وتقليل القوات حتى في مناطق اسرائيل (بعمق رمزي) والتزامات سياسية من جانب الأطراف لمنع إعادة انتشار القوات أو انتقال قوات أجنبية

غير متفق عليها أو رعاية الارهاب الدولى . وبالاضافة الى ذلك يتم تمويل القوات الدولية المتفق عليها بين الاطراف من أجل المراقبة والاشراف . ويتم تشكيل لجان برئاسة وزراء الدفاع وكبار الضباط لتنفيذ الترتيبات الأمنية والتعاون من أجل مكافحة الارهاب بواسطة المخابرات والتنسيق وفتح أجهزة الدفاع أمام الزيارات وإمكانية التعاون .
إن العلاقة بين أمن السلام المنفرد وبين أمن السلام الشامل تستلزم ، بالاضافة الى الحركة السياسية نحو السلام الشامل، أن نضع فى الاعتبار أنه فى الوقت الذى تعتبر فيه مصر قلب "الجبهة الغربية" لمحاربة اسرائيل ، فإن سوريا ليست إلا مجرد عنصر رئيسى واحد فى "الجبهة الشرقية" وأن أى تحالف استراتيجى بينها وبين العراق أو إيران أو كلاهما ، سوف يتسبب فى خلق أخطار عظيمة للغاية يهدد كيان إسرائيل ووجودها بواسطة استخدام أسلحة الدمار الشامل . ولذلك فإن مراحل تنفيذ الانسحاب من هضبة الجولان ووضع الترتيبات الأمنية للسلام المنفرد مع سوريا يجب أن تشمل أيضا ترتيبات بضمان الولايات المتحدة الأمريكية لمنع أى أحلاف استراتيجية بين سوريا والعراق وإيران. وفيما يتصل بمراحل تنفيذ الاتفاق المنفرد فمن الضرورى أن نؤكد ، على ضوء دروس عدم تنفيذ الالتزامات النابعة من اتفاقيات أوسلو ، ضرورة إعطاء أولوية للتسوية الدائمة الناجمة عن السلام المرحلى وتفضيل هذه التسويات على الاتفاقيات المرحلية والتى لا تؤدى الى تسويات سلمية دائمة .
وفيما يتصل بالتزامات الولايات المتحدة الامريكية فإنه من الضرورى أن نضع فى الاعتبار أنه لولا تدخل الولايات المتحدة وزعامتها لعملية السلام لما تم التوصل الى الاتفاقيات التى تعتمد على إعادة الأراضى من أجل ضمان قدرة إسرائيل للدفاع عن وجودها وسلامتها فى نطاق حدود معترف بها . كذلك فإن بناء جيش الدفاع الاسرائيلى فى عام ٢٠٠٠ مرهون بحجم المساعدات العسكرية التى تمنحها الولايات المتحدة الامريكية لاسرائيل وذلك اعتمادا على عناصر الردع فى الوقت الحقيقى وأقصد الردع الاستراتيجى لحماية الوجود والكيان وزرع استراتيجية طويلة المدى بواسطة طائرات هجومية وقوات برية وجوية وبحرية، وضمان أمن السكان فى مواجهة الارهاب من البر والبحر والجو فى مواجهة اسلحة الدمار الشامل . إن قدرة إسرائيل على مواجهة الأخطار التى تحدق بكيانها والقضاء عليها ، مرهونة بالتعاون مع الولايات المتحدة الامريكية فى إقامة منظمة للتعاون والأمن لدول الشرق الأوسط - والعلاقات المتبادلة بين هذه المنظمة وبين الأنظمة المتعددة الجنسيات التى تهدف الى الحفاظ على الأمن العالمى والاقليمى .
وفى هذه النطاقات سيكون من الممكن تنمية السلام والأمن عبر الأجيال اعتمادا على إبعاد أخطار التسلح بأسلحة الدمار الشامل .

---

* الكاتب لواء احتياط ولعب دورا رئيسيا فى بلورة السياسة الأمنية لإسرائيل وبلورة الترتيبات الأمنية فى معاهدة السلام مع مصر والاتفاقيات مع سوريا ولبنان وذلك عندما كان يشغل منصب رئيس شعبة التخطيط فى قيادة الأركان العامة ورئيس وحدة الأمن القومى فى وزارة الدفاع ومدير عام مكتب رئيس الوزراء ، ثم مدير عام وزارة الخارجية .

لم يعد عدواً بل عائقاً

هآرتس
٢٠ / ٩ / ١٩٩٨
بقلم : تسيفى برئيل

قال هنرى كيسنجر (إن الأمن المتكامل لطرف يعنى عدم الأمن المتكامل للأطراف الأخرى) . ولكن مثل أقوال كثيرة صدرت عن هذا القاموس السياسى الذى أثر على العالم ، فإنه من الصعوبة توفير ظروف واقعية لهذه المقولة . فلا يوجد أمن متكامل ، ويبدو أنه لا يوجد زعيم يستطيع الإقناع بأنه قادر على توفير مثل هذا الأمن، وبالأحرى ليس فى الشرق الاوسط. فقد قال أمين هويدى الذى كان وزيرا للحربية فى مصر فى مقال له بجريدة الأهرام (إذا اتفقنا على أن الأمن هو موضوع نسبى ، فينبغى علينا أن نسأل أنفسنا أولا : لماذا الأمن والأمن من ماذا ؟
لو طلب من إسرائيلى أن يجيب على هذه التساؤلات باسم العرب ، لجاء الرد قاطعا : أمن السيادة القومية فى مواجهة المضطهد الاسرائيلى . لأن هذه - بشكل عكسى - نظرية الأمن الاسرائيلى ، ولها بالضرورة نظرية مماثلة لدى العالم العربى. العرب فى العيون الاسرائيلية هم أمة واحدة إسلامية وموحدة ، كل هدفها هو تدمير دولة اسرائيل.
وكم كانت الدهشة الاسرائيلية كبيرة لأن عملية السلام بالذات هى التى أثبتت أن العالم العربى مكون من دول مختلفة ، لكل واحدة مصالحها الخاصة، وأن قصص التنسيق الاستراتيجى بينها ليست إلا أساطير ، وأن اسرائيل تمثل أحد اهتماماتهم ، إن لم تكن اهمها دائما .
قال لى طالب مصرى يدرس العلوم السياسية بجامعة القاهرة عندما سئل من هو عدو مصر : (لو كنت سألتنى هذا السؤال قبل عملية السلام ، لقلت لك على الفور

إسرائيل وليس إلا إسرائيل واليوم بعدما بدأت عملية السلام ، ولا أقصد السلام بين اسرائيل ومصر ، وإنما الواقع الجديد المسمى بعملية السلام الشامل ، فإننى مستعد لأن أعترف بأن هناك أعداء اكثر كراهية الى نفسى من اسرائيل . هناك المتعصبون الدينيون، والسودان ، وأيضا عدم تأكدى من الحصول على وظيفة فى المستقبل ، هؤلاء هم اعدائى الحاليين . فى نظرى ، أزيحت اسرائيل الى ركن الجار الذى يهدد ، ولكنه مازال جارا) .
فى الاردن كانت الاجابة مختلفة بعض الشئ، حيث قيل (بعد توقيع إتفاق السلام مع اسرائيل ، لم يعد لدينا أعداء ، وإنما جيران أشرار فقط) .
ذات مرة سأل شمعون بيريز عصمت عبد المجيد أمين جامعة الدول العربية فى مؤتمر الدار البيضاء : متى تستطيع إسرائيل الانضمام الى الجامعة كعضو ؟ أجاب عليه عبد المجيد (عندما تتكلمون العربية) ، ولكن أيضا بدون العضوية الرسمية فى الجامعة ، يبدو أن وصف (الجار الشرير) يجعل اسرائيل متساوية فى الوضع مع أغلب الدول العربية . فالجيرة السيئة تسود مثلا بين مصر والسودان ، وقطر والبحرين ، وبين السعودية واليمن أو بين الجزائر والمغرب. وقد حدث هذا الانقلاب الكبير فى وضع اسرائيل من عدو الى جار شرير ، ليس بواسطتها هى ، وإنما فى أعقاب الغزو العراقى للكويت عام ١٩٩٠ . لقد اتضح فجأة للدول العربية أن نظرية القومية العربية التى اعتمدت على نظرية عدم اعتداء دولة عربية على دولة عربية أخرى كانت وهما . ربما كانت هذه الحقيقة معروفة قبل ذلك ، ولكنها لم تحظ بالتصديق على ساحة القتال حتى ذلك الحين .
بعد ذلك بعام ، فى مؤتمر مدريد، ظهر الحوار العربى - الاسرائيلى السياسى العلنى الأول من نوعه والذى نقل اسرائيل من دولة عدو الى دولة مرشحة لتكون حليفا وعضوا فى اللجان الاقليمية المتعددة الأطراف والثنائية .
بعد ذلك بعامين ، عندما تم توقيع إتفاق المبادئ مع الفلسطينيين واتفاق السلام مع الاردن تقدمت إسرائيل خطوة للأمام ، ولم تعد (عدو الأمة العربية) وإنما - على أقصى حد - عدو بعض الدول العربية . والمشكلة العربية التى ظهرت آنذاك لم تكن تتعلق بالمواجهة العسكرية مع اسرائيل، وإنما بشروط قبولها فى الشرق الاوسط .
ومازلنا نتذكر تلك الايام الخوالى التى دار خلالها جدل حماسى حول قضية هل تقام سوق شرق أوسطية أم سوق عربية ، وقد شاركت اسرائيل فى المناقشة الأولى ، ولكنها قوطعت فى الثانية . وقتها قام المثقفون العرب - وبخاصة المصريون - بتوجيه هذا الجدل فى اتجاه التهديد الاسرائيلى وللثقافة العربية والاقتصاد العربى وحسن النوايا . لقد حل إذن تهديد جديد بدلا من التهديد العسكرى التقليدى ، تهديد لبقايا (الأمة العربية الموحدة) .كل من تربى فى أحضان القومية العربية الناصرية ما كان ليستطيع أن يستوعب إمكانية أن تتحول إسرائيل الى جزء من الامة الاسلامية التى تتكلم العربية .
آنذاك اخترع هؤلاء المثقفين تعبير (سلام بين حكومات مقابل سلام بين شعوب). فى رأيهم ، أن الحكومات تعمل من خلال مصالح سياسية وعسكرية ، ولكن يجب على المثقفين المحافظة على نقاء الأمة العربية . وسرعان ما وقع هؤلاء المثقفون - الذين رأوا فى أنفسهم مسئولين عن صياغة مفهوم العدو - فى تناقضات داخلية وتعبيرات مضحكة . قال لى محاضر مصرى فى الأدب العربى (لايدرك الفلسطينيون الذى يسببوه لأنفسهم وللعالم العربى عندما يوقعون على سلام مع إسرائيل . غير مسموح لهم بالعمل على النقيض من روح الأمة العربية ، وليسوا مفوضين فى أن يحددوا لمئات الملايين من العرب من الذى لم يعد عدوا ومن لايزال عدوا . إن مصلحتهم الحالية - حتى لو ستؤدى الى اقامة دولة فلسطينية - لا تتوازن مع الوحدة العربية) .
وقد أظهر أحد معارضى اتفاقيات السلام فطنة أكبر من ذلك عندما أكد أن هذا العمل السياسى ، أى عقد السلام مع اسرائيل ، يسحب البساط من أسفل سبب وجودنا نحن المثقفون . لم يعد فى مقدورنا أن نصبح روادا عندما يضع السياسيون أمامنا حقائق نهائية ، يتبقى لنا فقط حق الرد ، وهو لايساوى الكثير) .
كل هذا كان سيصح لو انطلقت عملية السلام الى الامام و"هددت " بجرف أغلب الدول العربية . لم تكن الاردن وفلسطين ومصر ودول المواجهة التقليدية هى التى وقعت سلاما مع اسرائيل ، بل ودول بالمنطقة أيضا تبنت السلام مع اسرائيل كموقف استراتيجى جديد . فقد أقامت المغرب وتونس وقطر وعمان مكاتب اتصال فى اسرائيل وسمحوا لها بأن تقيم مندوبيات فى بلادهن . ولكن ليسوا هؤلاء فقط . فالسعودية -مثلا - رغم انها لم تفتح مندوبية فى إسرائيل ، فقد كانت القوة المحركة وراء إلغاء المقاطعة الثانوية لاسرائيل . وأصبح التعبير الاسرائيلى - نافذة الفرص - سائدا فى الدول العربية أيضا .
كانت هذه المرحلة التى نجحت فيها عملية السلام فى عزل سوريا التى رأت كيف خانتها شقيقاتها العربيات - وليست هذه المرة الاولى - ودخلن فى قصة غرام حادة مع اسرائيل . اضطرت سوريا لأن تتنازل عن مبدأ العملية الشاملة وأن تبدأ فى اجراء مفاوضات مع اسرائيل بإسم نفسها ومن أجل نفسها ، وليس كجزء من العالم العربى.
وهكذا ، اذا كانت حرب الخليج قد أحدثت أقوى هزة فى مجال العلاقات العربية ، فقد جاءت عملية السلام السريعة لتكمل هذه الهزة . وقد أوضح هذان الأمران للدول العربية جيدا ، أن المفهوم (أمة عربية) هو تعبير يناسب الأشعار والأدب ، ولكن بالفعل ، يجب أن تهتم كل دولة بنفسها .
وذهبت النظرة الى اسرائيل كعدو مشترك يوحد حوله كل العالم العربى ، إن لم تكن قد تبخرت . وقد اتهم المثقفون العرب اسرائيل أن عملية السلام هذه لاتهدف إلا الى إضعاف العالم العربى ، ولكنهم لم يستطيعوا أيضا أن

يتنكروا لحقيقة أنه قد أصبح للعرب أعداء جدد . هناك العراق الذى غزا دولة عربية شقيقة ، وإيران التى لا تزال تهدد سلام الخليج واحتلت ثلاث جزر عربية ، ربما تكونان العدو الظاهر - ولكن الأهم منهما تلك الأخطار الداخلية والدولية الجديدة - أى التصاعد الكبير فى قوة الحركات الاسلامية المتطرفة ، من الجزائر مرورا بمصر والسودان حتى الحركة الاسلامية فى الاردن وحماس فى المناطق، الى جانب انخفاض اسعار البترول والذى وضع الدول الغنية العربية فى وضع خوف وتوجس ألا تستطيع أن تفى بوعدها الكبير لمواطنيها وفى النهاية إختفاء الاتحاد السوفيتى عن الساحة الدولية كحليف هام جدا لأغلب الدول العربية .

ولم يكن من الممكن إتهام اسرائيل بالسكون العادى إزاء كل ذلك . بالعكس فى الأيام الطيبة للعملية السياسية ، قوبلت إسرائيل فى أغلب الدول العربية كجزء من الحل وليس كجزء من المشكلة . عن طريق اسرائيل اعتقدوا فى الاردن وفى دول الخليج ، أنه سيمكن جلب المستثمرين الامريكيين الأغنياء الى المنطقة الذين سيمكنهم تنويع مصادر الدخل والتخلى بعض الشئ عن التبعية والارتباط بالنفط. لقد جلبت عملية السلام مليارات الدولارات لمصر ، وألغت جزءا من الديون الخارجية للأردن وأتاحت لدول الخليج التمتع بشروط شرائية جيدة جدا من الولايات المتحدة . وقد تجول مندوبو شركات يابانية وأوروبية فى شوارع الأردن ، وعمان وقطر حاملين كتيبات ملونة تضمنت تفاصيل فنية لمشروعات هامة فى كافة المجالات ، من مشروعات بترولية جديدة وحتى إقامة فنادق ومصانع أدوية . وتحول الشرق الأوسط المترنح فى لحظة الى منطقة استقرار وصنعت الفائدة المنتظرة من عملية السلام شراكة فى المصالح تغلبت - على الأقل على الصعيد السياسى الرسمى - على عمق العداء تجاه اسرائيل .

فى مقال نشره قبل ثلاث سنوات خبير اجتماعى سعودى يقول فيه : (هل سنترك لحفنة دولارات ان تمحو التاريخ الدموى لعلاقاتنا مع اسرائيل ؟ هل سنسمح للأموال الامريكية ورسلها اليهود أن يدوسوا قيمنا العربية ؟) - ولكن ظهرت إجابات جديدة على هذا النداء . بعضها جاء من مسئولين عرب وكذلك من خبراء فى الاجتماع مثل : (هل ثقافتنا ضعيفة للغاية ، وهل قيمنا واهية للغاية حتى يمكن أن تدوسها الأقدام بمثل هذه السهولة ؟ علينا أن نتعلم كيف نأخذ من السلام مع اسرائيل ماهو جيد ومفيد لنا وأن نرفض ماليس مرغوب ومناسب).

لقد تحول السلام رويدا رويدا الى مكسب جديد بدراسة فائدته واستغلالها ، وليس مجرد صنع مقيت من قبل الاستعماريين الصهاينة يهدف الي استغلال الدول العربية.

وكان لهذا التفاؤل أثر أيضا على نظرية الأمن الاقليمية لدى الدول العربية . إن التعلق الدفاعى بالولايات المتحدة ، مثلما وضح فى حرب الخليج ، الى جانب تطور العملية السياسية ، أديا الى تسليم الدول العربية ، ومن بينها سوريا ، بأن السلام ليس فقط خيارا استراتيجيا اقتصاديا ، بل وأيضا أساسا أمنيا . من يطلب التقارب مع الولايات المتحدة لا يمكن أن يصبح عدوا لاسرائيل . فجأة وجدت دول الخليج قوائم مشترواتها العسكرية لم تعد تصطدم باعتراض اللوبى اليهودى بواشنطن ، الاردن تتلقى طائرات مقاتلة حديثة مع مباركة من اسرائيل ، والسعودية تجدد اسطول مقاتلاتها بدون أى صراع فى الكونجرس ، حقا انها ليست معادلة عادية يعنى فيها السلام مع اسرائيل الحصول على سلاح أمريكى لأن للولايات المتحدة والدول العربية مصالح متوازية وليس متلامسة بالضرورة مثل تلك التى لدى الولايات المتحدة مع اسرائيل . ولكن عملية السلام خلقت التقاءاً جديدا من المصالح أصبحت فيه اسرائيل والولايات المتحدة وأغلب الدول العربية شركاء .

ويمكن أن نرى ذروة هذه الشراكة فى مؤتمر الارهاب الذى عقد فى شرم الشيخ فى مارس ١٩٩٦ ، حيث كانت اسرائيل شريكا متساويا فى مؤتمر هدفه غير المعلن هو مكافحة عدو عربى ، أى الارهاب الاسلامى ، قال لى باحث بمركز الدراسات الاستراتيجية لجريدة الأهرام بمصر (لقد حصلت اسرائيل فى هذا المؤتمر على أهم شهادة صلاحية . نحن العرب قد نضجنا بما فيه الكفاية حتى نشير الى الارهاب الاسلامى على أنه مشكلة عربية داخلية وليس كنتاج لوجود اسرائيل ، ووافقنا على اشتراك اسرائيل فى مثل هذا المؤتمر المتعلق بأمور داخلية تتعلق بنا) . وقد حلت مسألة التنافس على الهيمنة محل مشكلة المواجهة العسكرية اليومية مع اسرائيل . ولكن هنا أيضا لم تقلق هذه المسألة كافة الدول العربية وإنما أقلقت مصر فى الأساس ، قال لى المحلل السياسى المصرى محمد سيد أحمد عندما كانت العملية السياسية على قيد الحياة (مشكلتنا الآن هى من الذى سيتزعم الشرق الاوسط ، فإن اسرائيل هى جزء منه ولهذا فهى تشارك فى هذه المنافسة . فى حالة قيام الاردن والفلسطينيين بعقد سلام منفرد مع اسرائيل ، ومصر لا تسيطر على الأمور ، فإنها تصاب بالفزع لئلا يسحب منها لجام القيادة. طبعا هذا تخوف لا أساس له لأن إسرائيل لا تستطيع ابدا أن تصبح زعيمة منطقة ذات أغلبية عربية مسلمة، ولكن مجرد قبولها فى هذه المنطقة ، عن طريق اتفاقيات سلام ، يعنى خرق الوحدة العربية بشكل يجعل أى دولة عربية تستطيع أن تتصرف بلا تنسيق مع شقيقاتها . وهكذا نجد أن مصر التى تعد أول من عقدت سلاما مع اسرائيل والتى تشاوروا معها فى أى موضوع مرتبط بالعلاقات مع اسرائيل ، تصبح دولة عربية عادية لدرجة أن حكاما هامشيين مثل الملك حسين أو أمير قطر لا يشعرون بأى التزام للاستماع لنصائحها) .

وقد بثت مسألة الهيمنة روح الحياة من جديد فى قضية الخطر النووى الاسرائيلى . وقد تقبلت الدول العربية بلاشك حقيقة أن لاسرائيل سلاحا نوويا إلا أن التعامل مع السلاح النووى الاسرائيلى يتم من خلال منظور يستبعد إمكانية استخدام إسرائيل لهذا السلاح . فالمساحة الجغرافية

الضيقة، والخريطة المناخية بالمنطقة ، وسيطرة الولايات المتحدة على اسرائيل ، كلها عوامل جعلت الزعماء العرب يستبعدون إمكانية استخدام اسرائيل للسلاح النووى . المشكلة الحقيقية من جانب الدول العربية هى الوصاية التى يمنحها هذا السلاح لاسرائيل ، ويجب ان تعمل ضد هذه الوصاية .

ولكن حتى فى هذا الشأن فقد وقعوا - وخاصة مصر - فى مشكلة وهى هل يجب أن تحصل الدول العربية بنفسها على سلاح نووى من أجل توازن قدرة الردع والتهديد الاسرائيلية ، أم العمل بالطرق الدبلوماسية من أجل القضاء على هذا السلاح الاسرائيلى. وقد حلت حرب الخليج جزءا من هذه المشكلة التى علمت الدول العربية أنه من الأفضل ألا تمتلك إحداها سلاحا للدمار الشامل . كان سقوط صواريخ سكاد العراقية على السعودية كافيا حتى يتأكد أن هذا السلاح لا يعمل فى مسار باليستى ضد اسرائيل فقط . والطريقة الثانية - الدبلوماسية - هى إذن الحل ، وتلك هذه أيضا مبادرة الرئيس مبارك التى تطرح فى كل مناسبة أن أى وصاية اسرائيلية فى المنطقة ، فى أى مجال ، تعتبر أولا مساسا بالشرف ثم بعد ذلك خطرا . الحقيقة هى أن السلاح النووى الاسرائيلى ، مع كل ما يحمل من قدرة على الردع ، لم يمنع الدول العربية من مهاجمة اسرائيل فى حرب عيد الغفران ، ولم يمنع حروب محلية مثل تلك التى فى جنوب لبنان من أن تستمر وكأن هذا السلاح غير موجود . مثل هذا السلاح غير فعال بالطبع ضد عمليات إرهابية ولا حتى ضد صواريخ تقليدية . فى هذه المنطقة السلاح النووى هو سلاح سياسى .

لقد أدركت مصر أن معالجة هذا المجال قد يمنحها نقاط زعامة إقليمية ، ولهذا فهى متمسكة بنضالها لتصفية أسلحة الدمار الشامل فى المنطقة كلها ، مع انتظار أن تنضم اسرائيل فى مرحلة ما للعملية . هكذا تستطيع مصر أن تعرض نفسها مرة أخرى كمن يتكلم بإسم العرب جميعا ضد خطر مشترك لهم جميعا ، والاكثر من هذا ، مصر هى الوحيدة من كافة دول المنطقة القادرة على الحوار والجدل مع إسرائيل على الصعيد الاستراتيجى ، دولة كبرى أمام دولة كبرى .

وربما يكون طابع الجدل الاسرائيلى - المصرى حول قضية السلاح النووى هو أفضل برهان على الوضع الجديد لاسرائيل فى الشرق الاوسط فى عهد السلام . فهو يشبه فى أغلبه ذلك النقاش الذى خاضته الولايات المتحدة مع روسيا ، الصديقة الجديدة ، وليس مع الاتحاد السوفيتى القديم.

ثم جاء عهد الجليد . الجمود المستمر منذ عامين فى عملية السلام لم يتسبب بعد فى حدوث انقلاب فى النظرية الاستراتيجية الأساسية للدول العربية . لم تعلن دولة منهن إنها قد عادت الى الخيار العسكرى، ولم تتكون أحلاف عسكرية جديدة من شأنها تهديد إسرائيل بعدما استردت مصر والأردن أراضيهما وبعدما اعتبر الفلسطينيون أنهم يديرون بأنفسهم شئونهم مع اسرائيل ، والحرب العربية ضد اسرائيل ستكون من أجل سوريا ، وسوريا ليست بالضبط الدولة العربية التى يمكنها الآن أن تسحب خلفها الدول العربية الى عمل عسكرى . يبدو أن الاعتراف الذى يميز هذا العهد ، هو أنه إذا كان من المستحيل تحقيق السلام ، من الأفضل التمسك باللاسلام عن التمسك بالحرب . لقد عادت اسرائيل حقا لتصبح عدوا ، ولكن عدوا ذا توصيف جديد على حد قول د . أسامة الباز مستشار الرئيس المصرى (إسرائيل هى عدو عملية السلام، وهى تعتدى بذلك علي المصلحة الاستراتيجية للدول العربية).

إنه تغيير جوهرى فى النظرية ، لأنه من الواجب الآن ضرب اسرائيل ولىّ يدها ليس لأنها خطر عسكرى ، وإنما لأنها على غير استعداد للانضمام الى الدرب الاستراتيجى للدول العربية التى ترى فى السلام مكسبا حيويا لاستقرارهن .

إن الاحباط فى الاردن من الوعد الكبير بالرفاهية ، والمياه والاستثمارات ، وصيحة النصر للمعارضة فى مصر التى تحارب بلا هوادة ضد التطبيع مع إسرائيل، وترعرع الحركات الأصولية فى البحرين والسعودية، والمحور السياسى - العسكرى الذى شكلته إسرائيل وتركيا والذى يثير حنق سوريا للغاية هذه الأمور ليس لها أى ثقل مقابل فى شكل انتظار لمستقبل أفضل .

هذا الانتظار ليس اسلوب بلاغة لأدباء، بدونه ليس لدى الأنظمة العربية ما تقدمه لمواطنيها . وهكذا عندما تضطر الاردن ومصر الى رفع ثمن الخبز، وتلزم دول الخليج مواطنيها ترحيل العمال الاجانب ، وقيام السلطات السعودية بتحصيل رسوم مقابل الخدمات الصحية ، ويعانى الفلسطينيون من نقص فى مياه الشرب ولا يوجد المال الكافى لبناء مدارس جديدة ، يقع الذنب على اسرائيل التي تعرقل عملية السلام، وبهذا تخلق جبهة خطيرة بين الحكومات العربية وبين المواطنين .

وحتى من ناحية الحقائق يمكن التشكيك فى صحة هذه النظرية، حيث أن إسرائيل ليست مذنبة بانخفاض أسعار النفط أو الطابع الفاسد للحكم فى السعودية والذى ولد المعارضة السعودية - مثلما إنها غير مسئولة عن سياسة الرفاهية المصرية التي تعتبر ذخيرة الحركات الاسلامية . كل ذلك لا يمثل عزاءا كبيرا . إن نظرية الأمن وتحديد الخطر لا يعتمدان فقط علي إحصاء عدد طلقات البنادق أو الجنود وإنما أيضا على الأحاسيس والقوالب والحالة المزاجية التى تحدد من هو العدو ومن هو ليس عدو .

من هنا يأتى الوصف الجديد لاسرائيل كعدو مثلما لخصه أسامة الباز . ليس عدوا شخصيا لدولة معينة، وإنما مرة أخرى عدوا للامة العربية ، وليس خطرا على حياة وسيادة دولة، وإنما على فكرة أن السلام هو الأمن. أمن الانظمة العتيقة والمستقرة فى الدول العربية .

مسافة جيل

معاريف
١٧ / ٩ / ١٩٩٨
بقلم : أورى دان

يفصل عمر جيل كامل بين المعاهدتين اللتين وقعتهما دولة إسرائيل مع الجانب العربى فى حديقة البيت الابيض . فقبل عشرين عاما وقعت على إتفاقية كامب ديفيد مع مصر، وقبل خمس سنوات وقعت على اتفاق أوسلو مع الفلسطينيين . لكن الفرق والاختلاف بين الحدثين أكثر بكثير من عدد السنين التى تفصل بينهما . فالأول كان ضامنا لسلام هش وبارد أيا ما كان مع مصر . والثانى كان ضامنا لارهاب يتزايد ويهدد الجميع حتى يومنا هذا ، طالما مازالت حماس والجهاد ترعيان وتعدان لعمليات انتحارية قادمة، فربما يؤدى الارهاب الى تعريض حتى الاتفاق الاول للخطر .

فى سبتمبر ١٩٧٨ اجتمع رئيس الحكومة مناحم بيجين ، وموشيه ديان وعيزرا فايتسمان وعضو استشارى فى كامب ديفيد فى جولة مفاوضات مضنية مع الرئيس المصرى أنور السادات . وبعد حوالى عشرة شهور من التفاوض ، قلص مساعدو ومستشارو بيجين من مواقفه بعض الشئ ، وكان فى مقدمتهم فايتسمان ، حتى تنازل للسادات ليس فقط بالموافقة على إزالة المستوطنات الاسرائيلية من سيناء ، بل - وهو خطأه التاريخى - بالاعتراف بحقوق "عرب أرض إسرائيل".

ومع كل ذلك ، فإن ترتيبات الأمن والمبادئ الأخرى التى تحددت على ضوء هذا الاتفاق ، وبعيدا عن حقيقة أن صحراء سيناء تفصل بين مصر وإسرائيل ، قد مهدت الطريق لحالة السلم السائدة بين الدولتين بعد ٣٠ عاما من الحروب . إن تسلح مصر بسلاح أمريكى حديث بفضل هذا الاتفاق ، ومناوراتها فى قناة السويس تذكر بأن هذا السلام يعد كافيا بشرط أن يجرى تدعيمه وصيانته طالما ترى إسرائيل فى ذلك حماية لها

وفيما يتصل بكامب ديفيد ، عندما كان الامريكيون يستمعون لكل المناقشات ، اتصل مناحم بيجين تليفونيا ، لانهاء المفاوضات بمنزل وزير الزراعة أيريل شارون . وطلب بيجين تأييد شارون للاتفاق مع مصر ، ورد شارون باختصار ، إنه سيقبل ذلك بشرط واحد : أن يلغى رئيس الحكومة أى حدود للاستيطان فى الضفة الغربية ويقوم فور عودته بتوسيع الاستيطان اليهودى هناك . وهذا ماحدث .

وخلال هذه الأيام ، اعترف شارون بأنه أخطأ عندما وافق وسمح باقتلاع المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء ، وأوضح أنه لن يسمح بإزالة اى مستوطنات فى الضفة الغربية . وبالرغم من العراقيل من جانب وزراء الليكود أنفسهم ، أقام شارون هناك معظم المستوطنات ودعمها . وكانت خريطة الاستيطان التى قدمها شارون للحكومة فى نهاية عام ١٩٧٧ ، تكتسى بجلد مرقط ، ليس فقط لتجسيد الحقوق التاريخية لليهود فى قلب أرض اسرائيل ، بل كخط دفاع لها .

أما الموقعون على اتفاق أوسلو فقد رفعوا فأس تصفية وإزالة هذه المستوطنات وسكانها . ومن وراء ظهر يتسحاق رابين رحمه الله بعث يوسى بيلين نائب وزير الخارجية ، فى أواخر ١٩٩٢ ، بكل من رون فوندك ويائير هيرشفيلد ، لاجراء مفاوضات حول مصير أرض اسرائيل ، بينما كانت الاتصالات مع منظمة التحرير الفلسطينية مازالت سرية . وهكذا ولدت اتفاقية أوسلو بين الكذب والخفاء .

وكان هذا هو بيلين الذى بادر وقال فى عدة مقابلات بكل وضوح ، إنه يجب العودة الى حدود ١٩٦٧ ودافع فوندك هذا الاسبوع (على موجات جيش الدفاع) عن اتفاق أوسلو بقوله: "أنا مؤرخ" . إن المولود الذى ولد لأب فوندكائى كهذا ، قد ولد ميتا من البداية . وفى الوقت الذى أبعدت فيه كامب ديفيد جيوش مصر وإسرائيل بوجود صحراء سيناء ، فإن أوسلو قربت مستودعات المواد المتفجرة وأسلحة المخربين من الضفة الغربية وقطاع غزة الى مراكز المدن اليهودية . لقد جمع الاتفاق الاول الشعب وأبقى الليكود فى الحكم سنوات عديدة، أما الاتفاق الثانى فقد فرق وشق الصف بين أفراد الشعب وأطاح بزبانيته من الحكم الى جزيرة المعارضة المعزولة .

مصر صعدت إلى طريق الحرب

ملحق جريدة هاتسوفيه الاسبوعى
٢٥ / ٩ / ١٩٩٨
المحرر

بعض من عناصر التقييم فى اسرائيل قلقون فى الآونة الأخيرة على وجه الخصوص ليس بسبب أن المعطيات الموجودة أمامهم سرية بشكل ما ، ولكن حسب أقوالهم لأن هناك جوا عاما تولد ويصعب عليهم الانذار من وقوع الخطر ، والاكثر من ذلك يخلق مناخا من عدم الاكتراث والذى يسهل ظهور نظرية أو فكرة خاطئة . إن هذه الكلمات تثير الخوف فى أوساط عناصر مسئولة بجهاز المخابرات منذ تلك الفكرة أو النظرية التى تبلورت عشية حرب يوم كيبوريم والتى انتهت بثلاثة آلاف قتيل من الجنود . إن هؤلاء العناصر للتقييم يزعمون أنه تحت غطاء (فى حماية) المناخ لدينا ، والرامى بأن "ذلك ليس هو الوقت المناسب للانشغال بهذا الأمر " وأنه ليس من المفروض تعريض انجازات السلام للخطر " - أنه فى ظل ذلك فإن جيش مصر يستعد لحرب مع اسرائيل .

وتعتقد المصادر الغربية التى تحدثنا معها أنه من واقع

المعطيات التى فى أيديهم يتضح أن مصر لا تستعد لمجرد حرب . أى، أن الاستعدادات العسكرية لمصر موجهة لحرب واحدة ووحيدة ضد اسرائيل . فكل ثقل الخطط المصرية - التهديدات والعتاد - موجه لاسرائيل ويوجد لهذه الاستعدادات أيضا موعد نهائى ، وهو عام ٢٠٠٠ . فحتى ذلك الحين سوف تنتهى التجهيزات وسوف يمكن البدء فى حرب .
ومن المهم ،هكذا يقولون ، أن هذا الموضوع يكون جزءا من شبكة المعرفة لدى متخذى القرار فى القدس . لقد أثبت المصريون بالفعل فى الماضى انهم مؤهلون للقيام بالمفاجأة وهذه المرة فرصتهم فى التفوق أكبر بكثير .

مناورة بدر :

فى سبتمبر ١٩٩٦ أجرى الجيش المصرى مناورة أطلق عليها " بدر ١٩٩٦ " وكانت هذه اكبر مناورة فى تاريخ الجيش المصرى . وقد اشتركت فيها كل أفرع الجيش ، بما فى ذلك قوات من الاحتياط ، حيث وصل عدد الجنود الذين شاركوا فيها ٣٥ ألفا ، وهو عدد كبير جدا ايضا بالنسبة لمعايير الجيش الأمريكى.
وقد تناولت الخطة الرئيسية للمناورة "عدو على الحدود يوجد بحوزته أسلحة نووية" ومن أجل الوصول لهذا العدو فقد عبرت قواته قناة ، ولمن لم تتضح له هوية هذا العدو حتى ذلك ،فقد أوضح خلال تلك المناورة وزير الدفاع المصرى محمد طنطاوى " أن الجيش بالطبع يستعد لمواجهة مع اسرائيل". وفى حالة ما اذا كان ذلك التصريح أيضا غير كاف بوضوح فقد صرح مرة أخرى طنطاوى بعد ذلك بعدة أيام بأن "الجيش يتدرب لخوض حرب مع إسرائيل ".
وفى نهاية ١٩٩٦ نشر فرع المخابرات فى هيئة الاركان العامة بأن مصر مازالت ملتزمة بالسلام مع اسرائيل . وذلك من منطلق الرغبة فى الحفاظ على العلاقات الاستراتيجية مع الولايات المتحدة ، وعلى تيار الدولارات الذى يصل من هناك . وفى اللحظة التى لن يكون هناك فيها نقود أمريكية ، فسوف يلغى الدافع لاستمرار علاقات السلام مع اسرائيل . أو كبديل - فى اللحظة التى ستقرر فيها مصر أن النقود الامريكية أوصلتها بالفعل الى الاهداف التى تسعى اليها - فسوف تنتهى ايضا الحاجة المصرية للسلام . وحتى ذلك الحين فإن الهدف للأموال الأمريكية واضح تماما ، وهو تحصين قوة الجيش المصرى للأبعاد التى تتيح له توجيه ضربة قاسية لاسرائيل.

لم تحدث استثمارات كهذه من قبل :

على ضوء ما سبق ، كان من المفروض على مصر أن تكون اليوم دولة لا تنفق تقريبا على جيشها فمنذ وقعت مصر على اتفاقية سلام مع اسرائيل لا يوجه اليها أى تهديد عسكرى ، حيث أنها لا تهددها أية دولة من الدول المجاورة لها فى الحدود . ومن ناحية أخرى فإن مشاكلها الاقتصادية صعبة للغاية. والمسيرة الطبيعية كانت من المفروض أن تعرض نقل ميزانيات من الجهد العسكرى الى التنمية الاقتصادية .
إن كل من تجول قليلا فى القاهرة يعرف جيدا صور الفقر القاسى . و"مدينة الموتى" هى إحدى النماذج البارزة لصعوبات مصر ، حيث يوجد عشرات المقابر والتى يعيش بين جنباتها عشرات من معدومى الملاذ والمنازل فهناك ملايين المصريين يعيشون فى حالة من الفقر . والسلام كان من المفترض أن يمثل طوق النجاه لهم . إلا أنه فى الواقع وعلى الرغم من الواقع الاقتصادى الصعب ، فإن مصر تخصص مبالغ ضخمة - أكثر بكثير من اسرائيل المهددة حتى الآن فى وجودها - للتزود بعتاد عسكرى متقدم جزء منه كما يؤكد خبراء مخابرات غربية- بأنه اكثر تقدما من ذلك الذى فى حوزة اسرائيل . وحقيقة أخرى هامة وهى التزود كذلك بسلاح غير تقليدى.
وهناك معلومة هامة أخرى : إن مصر تقوم بإعداد بنية أساسية والتى ستتيح لقوات مصرية كبيرة عبور قناة السويس الى سيناء والتواجد بها خلال وقت قصير جداً وبدون انذار مسبق .
إن مصر تمتلك اليوم بالفعل جيشا ترتيبه الثالث عشر من حيث الحجم بين جيوش العالم. فمصر أكبر مستورد للسلاح فى الشرق الاوسط الى جانب السعودية ، وهى الدولة الوحيدة فى العالم التى زودت العتاد العسكرى لها بشكل دائم منذ عام ١٩٩٠.

الجهود غير التقليدية :

فى هدوء تقيم مصر اليوم مفاعلا نوويا . وقد تم حيازة المفاعل قبل أكثر من عام من الأرجنتين ولا نعرف عنه شيئا تقريبا. وكما هو مذكور فإن ذلك ليس أول تعاون ذو مشاكل بين مصر والأرجنتين . فالدولتين تعاونتا فى الماضى من أجل تنمية وتطوير الصاروخ "كوندور" والذى كان يهدف لإصابة أهداف أرضية على مدى بعيد.
وبالاضافة لذلك فإن مصر اليوم هى واحدة من أكبر الدول المنتجة للسلاح الكيماوى فى العالم . وعلى عكس ما يحدث فى العراق ، فإنه لا يعرف أحد فى العالم تقريبا شيئا عن الجهود المصرية فى هذا الشأن . نحن نعلم الكثير عن العراق ولكن ما هو اصح أن العراق طورت سلاحها الكيماوى بمساعدة الخبرة التى حصلت عليها مصر .
وكانت مصر هى الدولة العربية الأولى التى تزودت واستخدمت السلاح الكيماوى (كانت اليمن فى الستينات) ومن المعروف ايضا انه عشية حرب يوم الغفران (أكتوبر) زودت مصر سوريا بالسلاح الكيماوى. وعام ١٩٩٠ قبل اندلاع حرب الخليج بدأت كل من مصر والعراق فى التعاون من أجل التطوير الباليستى والكيماوى . بل ودافع سياسيون مصريون فى الماضى وبشكل واضح عن الجهود المشتركة للبلدين فى هذا الإطار . وكان واحد منهم على سبيل المثال هو أنور السادات .
وبعد حرب الخليج بعدة سنوات فى عام ١٩٩٥ ، وصل فى سرية الى مصر وفدا من قبل الامم المتحدة فى محاولة لكشف حجم التعاون بين مصر والعراق فى مجال تطوير السلاح الكيماوى . وكانت هذه الزيارة ، زيارة لم يعلن عنها . فقد اعتقد رجال الأمم المتحدة أنهم بشكل سرى سينجحون فى

جمع المعلومات بعد أن تجلى فى أعقاب الاختبارات التى أجروها فى العراق أن المصدر يوجد فى مصر . وقد تبين لرجال الأمم المتحدة فى هذه الزيارة أن التعاون المصرى فى تلك المجالات تضمن أيضا ليبيا وسوريا
وإسم الكود المصرى فى الوثائق العسكرية التى تتناول السلاح الكيماوى هو (إيزلس).
وخريطة مراكز تنمية وتطوير السلاح الكيماوى فى مصر مصورة هكذا:
* مركز تطوير السلاح الكيماوى المصرى يوجد فى مركز تنمية البحوث القومى فى الدقى .
* مصانع انتاج السلاح الكيماوى المصرى توجد فى المواقع التالية : المصنع الرئيسى فى أبو زعبل . وهذا المصنع يحصل على المساعدة من مصانع مجاورة والتى تنتج مواد الإبادة . وهذا المصنع يطلق عليه "مصانع ٨٠١"، والمصانع المدنية التى تخدم المصنع العسكرى وملاصقة له هى "شركة أبو زعبل للكيماويات والمواد للإبادة" ، وشركة النصر للكيماويات الطبية والمضادات الحيوية، وهذا المصنع الأخير من المحتمل ارتباطه ايضا بانتاج سلاح بيولوجى .
* مصانع أخرى لانتاج سلاح كيماوى : مصنع يوجد فى أبو رواش (وهو مصنع لتعبئة مواد رش) وواحد فى بنى سويف (ملاصق لقاعدة السلاح الجوى المصرى هناك).
وأنواع السلاح الكيماوى المنتجة بواسطة مصر تتضمن غاز الخردل والفوسجان (غاز خانق) - وتلك المواد إستخدمت بالفعل فى الستينات بواسطة الجيش المصرى وقت الحرب فى اليمن .وينتج المصريون ايضا غاز الاعصاب (فى - إكس) وتلك المواد مشحونة داخل الغام ، وقذائف مدفعية ، وقنابل عنقودية ، وقذائف صاروخية ، وقذائف جو - أرض ورؤوس صواريخ . وفى الماضى كان الحديث أيضا عن رأس لصواريخ "الكوندور" واليوم على مايبدو يقصد برؤوس لصواريخ "سكاد - سى" .
فى سبتمبر ٩٣ نشرت "التايمز" البريطانية تقريرا عن صفقة فى اطارها اشترت مصر من الهند "كميات كبيرة" من مواد الحرب الكيماوية . وكان الحديث من بين عدة أمور عن مادة إسمها : تريماتيل فوسفات والتى تستخدم فى انتاج غاز الخردل (وبالمناسبة فإن ناحوم منبر ماثل أمام المحاكمة لبيعه مادة شبيهة لإيران) . وحسب تقرير التايمز أنه خلال عام واحد فقط زودت الهند مصر بحوالى ٩٠ طنا من تلك المادة.
وبالمناسبة ، فى العام نفسه أيضا إشترت سوريا من الهند كميات كبيرة من تلك المادة. وسوريا على مايبدو حاليا هى صاحبة أكبر مخزون فى العالم العربى للسلاح الكيماوى .
وبالمناسبة ، فإن مصر التى تدير صراعا دوليا ضد المفاعل النووى فى ديمونة ترفض منذ سنوات التوقيع على ميثاق منع انتشار السلاح الكيماوى فى العالم والذى وقعت عليه كل دول العالم تقريبا (وللأمانة فإن مصر ليست هى الوحيدة فمعظم الدول العربية لم توقع على ذلك الميثاق . ولكن ذلك الخط، كسياسة معظم الدول العربية، تزعمته مصر عام ١٩٩٣).
وحسب رأى عناصر مخابرات غربية فإنه ليس من المستبعد إحتمال أن الجهد الكبير الذى تبذله مصر ضد المفاعل الاسرائيلى ، يهدف فى الواقع لخلق تغطية للتطوير النووى والكيماوى لمصر نفسها . وبالاضافة الى ذلك توجد براهين أيضا على إنتاج سلاح بيولوجى فى مصر . ويصنع أساسا فى مصنع "النصر" الذى ذكر سلفا والموجود فى أبى زعبل . وفى هذا الصدد من الجدير بالذكر الاشارة لتقرير المجلة الألمانية "فوكوس" فى أبريل ١٩٩٣ والذى جاء فيه أن تطوير السلاح البيولوجى المصرى يتم تنفيذه بمعرفة الحكومة الأمريكية .
وحسب الخبر الذى جاء فى المجلة الألمانية الاسبوعية فقد تمت تجارب على الجراثيم بإشراف علماء أمريكان ، وأن الولايات المتحدة الامريكية كان لها فى ذلك الوقت فى مصر معمل لاختبارات التطعيمات ضد تلك الجراثيم .
وبالمناسبة قبل اكثر من ٢٠ عاما ، أى فى عام ١٩٧٠، صرح الرئيس المصرى آنذاك أنور السادات بوضوح بأن "مصر تمتلك سلاحا بيولوجيا والمحفوظ فى ثلاجات ويمكن استخدامه ضد التعداد السكانى المزدحم لاسرائيل .
وحسب تقديرات عناصر مخابرات غربية، فإن حجم القوة البيولوجية التنفيذية التى بأيدى مصر ، ما يزال متحفظاً به حتى اليوم ، وحسب تقدير تلك العناصر الغربية فإن السلاح البيولوجى المصرى يتضمن اليوم جراثيم إبادة ، وسم بوطولينوم، وجرثومة حمى المخ.

تلال صواريخ :

لاشك فى أن القاهرة أدركت جيدا وتبينت الهيستيريا التى إجتاحت اسرائيل أيام حرب الخليج ، وذلك حينما حولت دفعة صواريخ سكاد - والتى لم يكن لها أى قدرة على اخضاع اسرائيل أو التأثير على نسب القوى فى القتال - حولت الدولة لفوضى كبيرة. ويتضح أن المصريين قد ادركوا نقطة الضعف هذه قبل العراقيين بكثير .
ومستودع الأسلحة المصرى فى مجال الصواريخ يتضمن صاروخ "الحسين" المعروف لنا ، ونعنى به تحسين وتطوير عراقى لـ (سكاد بى) السوفيتى . والمدى الذى أزيد للصاروخ (والذى جاء على حساب وزن الرأس القتالى له) يصل لـ ٦٠٠ كيلو متر . ومع مدى كهذا من الممكن نصب بطاريات صواريخ غرب القاهرة "وتغطية" كل منطقة جوش دان (بالقرب من تل أبيب) . واذا ما نصبت بطاريات صواريخ من هذا النوع فى الدلتا وفى اتجاه القناة ، من الممكن "تغطية" كل مساحة دولة اسرائيل .
قبل حوالى ثمانى سنوات وقعت مصر على اتفاقيات مع الصين ومع كوريا الشمالية (والتى جربت قبل ثلاثة اسابيع فقط صاروخ بمدى ٢٠٠٠ كيلو متر فى موضوعات تطوير الصواريخ . ومن بين الأمور التى تناولتها تلك الاتفاقيات إقامة خطوط انتاج فى مصر لصواريخ (سكاد بى) فى منطقة تبعد حوالى ١٠٠ كيلو متر غرب القاهرة.
وقد قام المصريون بتطوير الصاروخ "سكاد سى" فى وزن الرأس القتالى ، وفى دقة الاصابة وفى معدل الإطلاق. فمعدل الإطلاق بالقاذفات المتحركة تحسن الى صاروخ فى كل نصف ساعة لكل منصة إطلاق . ولتلك المنصات أهمية كبرى

. ففى حرب الخليج نفذ طيارو جيش الولايات المتحدة ٣٥٠٠ طلعة جوية كانت كل أهدافها تدمير المنصات ولكنهم لم ينجحوا فى تدمير ولا منصة واحدة فقط ! . وحسب النظرية الأصلية للمنتج فإن كل منصة من الممكن أن تطلق حوالى ١٥ صاروخا قبل أن يتم تدميرها بواسطة الطرف الثانى . والمغزى هو انه حتى قبل التحسين المصرى فإن فى استطاعة الجيوش المصرية والسورية ان تطلق ما يقرب من ١٠٠٠ صاروخ اثناء يوم واحد للقتال .
ومن المقبول افتراض أن الحرب القادمة سوف تنشب بواسطة دفعات صواريخ أرض - أرض على جوش دان (قلب إسرائيل) خليج حيفا ، المطارات ووحدات المخازن للطوارئ لجيش الدفاع الاسرائيلى .
والسوريون بالمناسبة يستطيعون بواسطة الصواريخ التى فى حوزتهم ان يغطوا كل مساحة دولة اسرائيل من مناطق بعيدة عن الحدود . ومن الممكن افتراض ان هجوما مزدوجا كهذا سوف يخلف وراءه دولة اسرائيل فى هستيريا كاملة وقليلة الحيلة وهى العبرة المنطقية من حرب الخليج . هذا ولم نتطرق بعد الى ما يمكن حدوثه اذا اطلق جزء فقط من هذه الصواريخ وهى تحمل رؤوس ذات مواد كيماوية .
وحسب تقديرات السى . إى . إيه الأمريكية أنه فى عام ٢٠٠٠ سوف يكون فى حوزة الدول التى تحيط بإسرائيل حوالى ٢٠٠٠ صاروخ أرض - أرض ، أغلبها من طراز (سكاد سى) بمدى فعال ٦٠٠ كم .
وفى بداية التسعينات اشترى المصريون من كوريا الشمالية خطوط إنتاج لتركيب الصواريخ والمنصات . وبالمناسبة فإن شراء خط الانتاج هذا من كوريا يمثل خرقا بارزا لاتفاقية التعاون الاستراتيجى بين مصر والولايات المتحدة والذى من خلاله تتلقى مصر ١,٣ مليار دولار فى السنة كمساعدة عسكرية ، من خلال معونة شاملة بقيمة ٢,٢ مليار دولار .
ان صناعة الصواريخ المصرية تهتم فى السنوات الاخيرة بتطوير صواريخ الى مدى حوالى ١٥٠٠ كم (يقابل تقريبا حسب تقديرات تقارير أجنبية مدى صواريخ "أريحا") وهذه الخطة مبنية على عمليات التحسين فى الماضى لصاروخ "الكوندور" والذى يتم تمويله بواسطة العراق .

الاتجاه غربيا :

فى مجال التسليح التقليدى فإن الجهود الاساسية للجيش المصرى هى فى إتجاه جعل الجيش "غربيا" اى تحويل الجيش المبنى على هيكل ونظريات ، وعتاد سوفيتى الى جيش غربى فى كل شئ . إنه جهد كبير للغاية والذى من المفترض أن ينتهى عام ٢٠٠٠ ، وحينذاك أيضا سيتم غلق ما تبقى من الفجوة الكيفية مع اسرائيل . ففى سلاح البحر ، مثلا يوجد اليوم الجيش المصرى بالفعل فى موقف ميزة كيفية ذات مغزى . وفى نهاية هذه المسيرة سوف تجد اسرائيل نفسها فى مواجهة جيش مصرى مختلف تماما عن الذى عرفته فى الماضى .
فى السنوات الأخيرة تنفق مصر على تسليحها ما يقرب من ٢٠٪ من اجمالى الناتج القومى - وهى نسبة عالية جدا - أى ضعف المبلغ الذى تنفقه اسرائيل. وحوالى ٨٠٪ من الانفاق المصرى يذهب للسلاح الجوى . والهدف هو بناء قوة جوية غربية ذات قدرة على توجيه صدمة قاسية وسريعة . صدمة حاسمة . ومن الجدير ايضا الانتباه للحجم الهائل للقوة المصرية العسكرية : ٤٤٠ ألف فرد يخدمون فى الجيش المصرى (حسب تقدير منتصف ١٩٩٨) بالاضافة لحوالى ٢٠٠ ألف شخص فى قوات الاحتياط .

السلاح الجوى الجديد :

إن سلاح الطيران المصرى هو نموذج جيد لمسيرة التحديث فى اتجاه الغرب . وعندما تنتهى المرحلة الحالية من الاحلال الغربى لسلاح الطيران المصرى ، ومع استيعاب الموجة القادمة لطائرات إف ١٦ الأمريكية فسوف يكون فى حوزة مصر حوالى ٢٠٠ طائرة من هذا الطراز ، وهو رقم أكبر من تقارير موسوعة جينز عن تلك الطائرات فى السلاح الجوى الاسرائيلى . والاسم الكودى لخطة الاحلال الغربى للسلاح الجوى هو "فيكتور السلام" ويوجد لدى مصر حاليا حوالى ١٦٠ طائرة F - 16 وفى نهاية المرحلة سوف يكون لدى سلاح الطيران المصرى حوالى ٥٧٠ طائرة معظمهم بالفعل من انتاج غربى .
ويجب ان نتذكر أنه مثلما فى سلاح الطيران الاسرائيلى فإن مصر لديها ايضا طائرات "فانتوم" ، ميراج ٢٠٠٠ (والتى لا تملكها اسرائيل) وبعض طائرات الميج ٢١ والتي مازالت فى الخدمة .
واسرائيل تحاول خلق تفوق هجومى بمساعدة طائرات هليوكوبتر مقاتلة ذات كفاءة متطورة - وبالذات الاباتشى . ويوجد فى حوزة مصر سربان من هذا النوع من الطائرات ويتضمن وحدات للقتال الليلى . وكل واحدة من هذه الطائرات مؤهلة لحمل ١٦ صاروخ "هالفاير" و ٣٨ قاذف صواريخ من أنواع مختلفة . ويوجد لديهم مثل مالدينا بسلاح الطيران مثل طائرات كوبرا . وبصفة عامة يوجد لمصر اليوم حوالى ٢٠٠ طائرة هليوكوبتر مقاتلة .
وبمساعدة الولايات المتحدة تقيم مصر نظاما معروفا باسم "سى ٣١٠" والذى يهدف لتجميع المعلومات من مصادر أرضية وجوية فى شبكة واحدة وذلك بغرض توزيع المهام بصورة فعالة بين بطاريات الصواريخ وحاملات الطائرات وقدرة الانذار المبكر لدى مصر تحسنت بصورة بارزة مع استيعابهم لخمسة طائرات "هوك آى" من انتاج جرومان.
وعدد المدافع المضادة للطائرات والتى فى حوزة المصريين زاد فى السنوات الأخيرة من ٣٥٠ لأكثر من ألف . ومن بين هذه القوة توجد صواريخ "هوك" معدلة (١٨٠ صاروخا) كما يوجد لديهم حوالى ١٠٠٠ صاروخ هالفاير فى المخازن. وقبل حوالى ستة أشهر أعلن البنتاجون عن بيع أكثر من ألف صاروخ "ستينجر" - وهو أكثر الأسلحة فعالية فى العالم - للجيش المصرى بحجم صفقة تقدر بـ ٣٠٠ مليون دولار ، وصواريخ من هذا النوع مطلوبة لمصر فقط فى مواجهة مع سلاح طيران واحد فى العالم ، مع سلاح الطيران الاسرائيلى .
إن كفاءة تلك الصواريخ تهدد أى طائرة تظهر على الساحة . والتقييم أو الخلاصة هى أن السلاح الجوى المصرى آخذا أكثر وأكثر فى اتجاهه ليكون شبيها بسلاحنا الجوى، ومع ذلك

يوجد فارق واحد بارز : لهم (للمصريين) توجد أدوات ومعدات أكثر ، قوة اكثر ، ساعات تدريب أكثر ، ومواد أكثر . وهناك لا يوجد أحد يعمل حسابا لعدد ساعات التعليم أو الصحة والتى تساوى ساعة تدريب واحدة بالطيران .

أقوى سلاح مدرعات / مشاة:

منذ توقيع معاهدة السلام والتى كانت من المفروض أن تؤدى الى تقليل القوة المصرية ، ضاعفت مصر من أعداد الدبابات والمركبات المضادة للمدرعات . حوالى ٣٥٠٠ دبابة وكذلك حوالى ٥٠٠٠ مركبة مضادة للمدرعات وسيارات مدرعة أخرى فى حوزة سلاح المشاه . وعدد الصواريخ المضادة للدبابات زاد منذ ذلك الوقت من ألف صاروخ الى أكثر من عشرة آلاف معظمهم من طراز تاو " والذى يشبه ذلك الذى بحوزة جيش الدفاع الاسرائيلى وهو هدية من أمريكا . ولديهم أيضا صواريخ "ساجر" و"فاجوط" الأبسط ، ولكن الحرب فى لبنان أثبتت أنهم ذوى فعالية مع الاستخدام السليم وهى معدة لإحداث خسائر كبيرة لأحدث الدبابات .

فى عام ١٩٧٣ عندما نجح الجيش المصرى فى مفاجأة اسرائيل (وكذلك الحال أيضا بعد ١٠ سنوات من الحرب) تضمن الجيش المصرى ١٠ فرق: خمس لقوات المشاة وخمس مدرعة وآلية . أما اليوم فالجيش المصرى لديه ١٢ فرقة كلها ، باستثناء واحدة ، مدرعة وآلية. وفى عام ٢٠٠٥ سوف تتحول كذلك تلك الفرقة الوحيدة الى مدرعة آلية .

والمعنى فى ذلك ان الجيش المصرى مؤهل لأن يلقى فى الميدان القتالى قوة عملاقة ذات قدرة رهيبة - سريعة .

ولكن التغيير الجوهرى الأكثر من ذلك هو ليس فى حجم تلك القوات بل فى كفاءتها فبدلا من الدبابات السوفيتية من سلسلة الـ "تى" والتى تسيطر ذات يوم على الجيش المصرى ، فنحن نعنى اليوم دبابات M - 60 (والتى تقابل الدبابة الأساسية الخاصة بجيش الدفاع الاسرائيلى) وبالمناسبة فإن المصريين حصلوا على ٧٠٠ دبابة من هذا الطراز من الولايات المتحدة مجانا .

ولكن قمة القوة المدرعة المصرية تتمثل فى الدبابات من طراز "أبراهام" أى - ١ " فتلك الدبابات يقوم بتركيبها المصريون بأنفسهم بترخيص أمريكى . وتلك الدبابات يتم تركيبها فى موقع إسمه (مصنع - ٢٠٠) وهى مزودة بموتور بقوة ١٥٠٠ حصان وبمدفع عيار ١٢٠ مللم . ونحن نتحدث هنا عن أحدث دبابة فى العالم ، والتى يستخدمها الأمريكان أنفسهم فى تشكيلاتهم المتقدمة. وهى دبابة بالطبع تستطيع أن تقف على قدم المساواة أمام دبابة "الميركافاه" الجديدة للغاية الخاصة بنا . واليكم جدول مقارنة صغير : موتور الميركافاه ٣ بقوة ١٢٠٠ حصان فقط وللميركافاه ١ ، ٢ يوجد موتور بقوة ٩٠٠ حصان فقط ومدفع عيار ١٠٥ مللم. واليوم الجيش المصرى من المحتمل ان يملك أكثر من ٥٥٠ دبابة من طراز ابراهامز.

فى نهاية الأمر فإن المصنع من المفترض أن ينتج ١٥٠٠ دبابة من طراز ابراهامز على مدى ستة دورات انتاج ، وتكلفة المشروع تقدر بـ ٣,٢ مليار دولار .

ولكن ذلك لا يكفى ، فبالاضافة لذلك بدأ المصريون فى خطة تحسين دبابات الـ إم - ٦٠ من أجل الوصول بها الى مستوى أفرابامز .

وفى هذا الاطار وكجزء من تركيب الدبابة ابراهامز فإن المصريين سوف يبدأون فى أن ينتجوا بأنفسهم المدفع الـ ١٢٠ مللم للدبابة ، والى جانب ذلك فقد قام المصريون بالفعل بتحسين الدبابات السوفيتية المتطورة والتى كانت بحوزتهم من طراز تى - ٦٢ . وقد تم التحسين بمساعدة غربية (بريطانية).

أما الـ ٤٥٠٠ مركبة المضادة للمدرعات والتى فى حوزة المصريين فإنها تتضمن حوالى ٢٠٠٠ إم - ١١٣ والتى تشبه تلك التى فى حوزة جيش الدفاع الاسرائيلى . ومؤخرا اشترى المصريون حوالى ٧٠٠ مدرعة متقدمة من هولندا من طراز فى - بى - آر ٧٦٥.

أقوى أسطول :

ربما كان السلاح البحرى المصرى هو أبرز مثال على التقدم القتالى للجيش المصرى . ففى أيدى المصريين غواصات وسفن صواريخ سريعة بكفاءة تفوق العتاد الذى فى حوزة جيش الدفاع الاسرائيلى. وامتلك المصريون مؤخرا عشر طائرات هليوكوبتر للقتال ضد الغواصات من طراز " سى - سبرايت" وحصل الاسطول المصرى مؤخرا على ثماني غواصات من الصين وفرقاطتين أمريكيتين من طراز "نوكس" ومن ناحية التدريب فالاسطول المصرى يجرى تدريبات مشتركة مع الاساطيل الأمريكى ، الفرنسي ، البريطانى ، والايطالى . وهذه المناورات تلزمه بالوصول الى المستويات الغربية العليا . وكذلك الذخيرة للسلاح البحرى المصرى هى بكفاءة وجودة أحسن من تلك التى بأيدى جيش الدفاع الاسرائيلى . وأهم ما فى الأمر هو صواريخ الـ "هارفون" والتي لا تستطيع اسرائيل الرد علي قدرتها . وتلك الصواريخ تم نصبها أيضا على الغواصات الصينية التي فى حوزتهم .

وكذلك فإن مستوى التأهب للسلاح البحرى المصرى يعتبر الأعلى . وقد صرح مصدر كبير في السلاح البحرى التركى فى الماضي بأنه يقترح بأن ننتبه لما يحدث فى الاسطول المصرى . وحسب أقواله فإنه لاشك أن السلاح البحرى المصرى يتفوق فى قدراته بصورة بارزة على السلاح البحرى الاسرائيلى ، ومن المحتمل أنه الأقوى فى المنطقة بأسرها وتعتبر ميزة التفوق للسلاح البحرى المصرى واحدة من الدوافع لمعارضة مصر لحلف إسرائيل - تركيا ، حيث أنه يوجد لتركيا فقط سلاح بحرى بحجم وكفاءة تساوى السلاح البحرى المصرى .

هكذا ستبدأ الحرب :

لأجل الدخول فى حرب مع اسرائيل فإن الجيش المصرى عليه أن ينقل قواته الى داخل شبه جزيرة سيناء . فالقوة المصرية الاساسية تتمركز اليوم غرب قناة السويس . وهو التزام من واقع اتفاقيات السلام ويحرص المصريون على الحفاظ على ذلك . وضرورة تنفيذ نقل للقوات هو عنصر هام ، فهو يمنح اسرائيل وقتا للانذار والذى يعتبر كنز غالى جدا لجيش الدفاع

الاسرائيلي . ولكن في السنوات الاخيرة تقلصت بصورة واضحة تلك المساحة للانذار الى ساعات معدودة . وذلك لأنه في تلك السنوات أقام المصريون شبكة من الانفاق تحت قناة السويس ، وبالاضافة لذلك أقيمت أيضا كباري . وتلك الشبكة المعقدة المسارات تتيح حسب رأي عناصر التقدير نقل كل الجيش المصري الى سيناء خلال أقل من يوم واحد.
وحسب هذا السيناريو فإن المصريين يستطيعون في إحدى الأمسيات تحت جناح وستار الصمت وبدون انذار تحريك قواتهم داخل سيناء ، وذلك من خلال امتناعهم عن استعمال وسائل اليكترونية يمكن التقاطها على الطرف الثاني وبذلك تستيقظ اسرائيل ذات صباح على واقع جديد.
وفي هذه الحالة سيكون على متخذي القرار في اسرائيل ان يتخبطوا بين انزال ضربة وقائية وبين التسليم للانتظار لحرب مصرية بمبادرتهم ، حتى لا نتهم بالبدء في الحرب .

خطوة حربية :
وعلى ضوء ذلك وحسب اتفاق السلام ، سيكون لاسرائيل سبب لادخال قواتها الى داخل سيناء . ولكن هناك فرق جوهري : فمن ناحية المصريين ، فإننا سنكون بصدد تحرك قوات داخل أرض مصرية ذات سيادة . نعم هذه حركة تتعارض مع اتفاقيات السلام ولكن من غير الممكن انكار الواقع : تلك أرض مصرية ذات سيادة وفي مقابل ذلك فإن دخول قوات جيش الدفاع الاسرائيلي الى سيناء تمثل غزوا عنيفا لأرض دولة جارة يوجد معها (حسب المفروض) علاقات سلام . وتلك هي عملية حربية بارزة على النقيض من الخطوة المصرية والتي حقا تعتبر خرقا لاتفاقية ، ولكنها ليست عملية عنيفة معادية . ولاشك انه في موقف كهذا سوف تقف اسرائيل أمام تنديد جارف من العالم كله بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية.
والمصريون يستطيعون أيضا استغلال توتر بين اسرائيل وبين سوريا من أجل الإعراب عن انتمائهم مع الاخوة العرب وإدخال قوات لا تزيد عن فرقتين الى سيناء . وفي هذه الحالة سوف تضطر اسرائيل لارسال قوات الى حدودها الجنوبية وهو مكسب مصري بدون اطلاق رصاصة واحدة .
ولكن يبقى التفوق المصري أكبر بكثير . فهم ليسوا في حاجة لادخال جندي واحد داخل سيناء . ويكفي ان يقوموا بتركيز قوات كبيرة ملاصقة للقناة في ضفتها الغربية . فتركيز كهذا بشكل علني من الممكن أن يخلق على اسرائيل ضغطا داخليا لا يطاق لتنفيذ تنازلات. وبعد رفض اسرائيل للخضوع للضغط فإن إدخال قوات المصريين الى سيناء سوف ينظر اليها من قبل عناصر اليسار الداخلية الاسرائيلية كوسيلة شرعية للضغط في مواجهة الرفض الاسرائيلي .
فماذا تستطيع اسرائيل أن تفعل ؟
الأمر مرتبط بعوامل عديدة مثلا ، مدى الضغط الداخلي الذي سيتم من الاتجاه اليساري . ومثلا ماذا سيكون طابع رد الفعل لدى عرب اسرائيل . هل سيغلقون محاور المرور الحيوية الملاصقة للقرى العربية والتي تعتبر حيوية لنقل القوات ؟
ومثلا ماذا سيكون مدى الاستعداد لحكومة اسرائيل في وقت تطور مواجهة للتعامل أيضا أمام ضغط داخلي .

الإعداد النفسي :
من أجل الدخول في حرب ضد اسرائيل ، بعد سنوات من اتفاقية سلام ، فإنه من المطلوب إعداد نفسي . بدون أدنى شك فإن مصر قد بدأت في ذلك بالفعل منذ فترة. قبل اكثر من عام ونصف صرح رئيس مصر علانية أن مصر لن تقف مكتوفة الأيدي في حالة حرب بين اسرائيل وأية دولة عربية.
وبعبارات أخرى يقول حسني مبارك : سنفترض أن العراق سيطلق صدمة صواريخ على اسرائيل - وهذا بالفعل قد حدث - ويقررون في القدس أن هذه المرة سوف نقوم بالرد - فإن مصر توضح أنه في موقف كهذا فإنها ستكون أيضا جزءا من الحرب .
ومصر لا تحب " نبوءة الشرق الاوسط الجديد" لشيمون بيريز ، فمن ناحيتها فإن هذا الحلم سيمنح اسرائيل موقف قوة لا تريده مصر .ولذلك السبب فإن التدهور في العلاقات الاسرائيلية المصرية كانت ملازمة لتوقيع الاتفاقيات مع الفلسطينيين . ولهذا السبب ولأكثر من مرة كان الفلسطينيون مستعدون للتوقيع على اتفاقيات مع اسرائيل في الوقت الذي دفعهم المصريون للامتناع عن ذلك . ويذكرون أن مبارك اليوم يميل لاتهام نتنياهو بأي عمل سيئ بالشرق الاوسط ، ولكن الحقيقة هي أنه حتى في عصر الإزدهار أيام رابين/بيريز وفي قمة العلاقات المزدهرة مع الفلسطينيين فإن رئيس مصر لم يصل أيضا لإسرائيل لزيارتها . ومن أجل الدخول في حرب سيكون من الأسهل العمل على تشويه صورة العدو . وإتفاق السلام حقا يقضي بعدم القيام بدعاية عدائية ولكن المصريين يتعاملون مع هذا البند بفهم آخر غير ملزم.
وقبل حوالي عام أو أكثر أغلقت في مصر الجريدة الوحيدة التي كانت تؤيد السلام مع اسرائيل . ورئيس تحرير جريدة "التحول" شريف كمال مر حينذاك بمحاولتين لإغتياله . لقد كانت جريدة اسبوعية صغيرة (١٢ صفحة فقط) ولكن كتب فيها عدد من أحسن الصحفيين في مصر (واحد منهم كان صلاح بسيوني والذي يقيم تنظيم السلام المصري الحالي) .
وشريف كمال نفسه رجل محترم وراءه حوالي عشرين عاما من الكتابة في أهم صحف العالم العربي "الأهرام" . وقد هاجمت الجريدة أيضا علانية الإسلام الراديكالي . ولكن نهاية الجريدة المصرية الوحيدة التي أبدت علانية السلام : الاغلاق .

***

هل غدا ستنشب حرب مع مصر ؟ من المفترض أنه لا . ولكن حسب تقدير الاشخاص المهتمين بالأمر فإن اللحظة التي ستكون فيها مصر قادرة عمليا ونفسيا - وهما العاملين الهامين لإتخاذ قرار حاسم بالخروج لحرب - فإن هذه اللحظة آخذة في القرب.

يقتلونا من الهلع

هآرتس ٦ / ١٠ / ١٩٩٨
بقلم : يوئيل ماركوس

لقد عقدت قيادتنا الأمنية العزم على قتلنا من الهلع والخوف . فبعد شهر أو شهرين من التحذيرات من الصواريخ طويلة المدى التي تملكها إيران وقدرتها النووية التي تتزايد بدرجة كبيرة ، أصبحت التحذيرات تتركز على احتمال قيام حركة حماس بتنفيذ أعمال إرهابية. ومن المعروف أنها ليست المرة الأولى التي تعلن فيه الأجهزة الأمنية في الدولة حالة التأهب بمناسبة اقتراب الأعياد. وربما تكون كارثة عيد الغفران هي السبب في إعلان حالة التأهب في فترة الأعياد. ولكن تجاربنا في الماضي تشير الى ان الاعمال الارهابية الكبيرة لم تحدث في فترة الأعياد بالذات . ولكنها حدثت عندما قررت المنظمات الارهابية تنفيذها عندما تحين أول فرصة مناسبة. والشئ المختلف هذه المرة هو النغمة التي يتبعها رؤساء أجهزة الأمن والتي تثير الخوف والهلع . والعناوين الكبيرة التي تحذر من قرب حدوث الأعمال الارهابية تتعارض مع تصريحات رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو بأن الارهاب قد استئوصل من جذوره في عهده .

والنغمة التي تثير الخوف بدأت بعيد رأس السنة ووصلت الى ذروتها في عيد المظلات . فقد حذر موردخاي من نية المخربين تنفيذ عمليات لم يسبق لها مثيل من حيث خطورتها . ويقول موفاز أن هناك بنية أساسية للارهاب وأنها تعد لعملية عنيفة لم يسبق لها مثيل . وهذه التقارير الحكومية والتي تحتل مكان الصدارة في نشرات الاخبار تشمل أيضا أخبار عن نية حركة حماس تفجير سيارة مفخخة تحتوي على كمية كبيرة من المواد المتفجرة في إحدى المدن الكبرى . وذكرت صحيفة يديعوت أحرونوت في العدد الذي صدر يوم وقفة العيد (عيد المظلات) أن حركة حماس تستخدم موادا يمكن شرائها من الصيدليات وأن عملية إعداد المواد الناسفة سهلة بدرجة تثير الخوف . وأهم ما جاء في التحقيق الذي نشرته الصحيفة هو تحديد ضابط الشرطة الذي قال : "إنهم قادرون على الاطاحة بنصف دولة إسرائيل في الهواء" . والذي حدث هو أنه في الفترة من عيد رأس السنة وحتى عيد المظلات كان نصف عدد سكان دولة اسرائيل في الهواء . في الطريق الى خارج الدولة .

ولا يستطيع أي شخص ان يدعي أنه ليست هناك أسباب تدعو رؤساء أجهزة الأمن الى القلق ، حيث أن لديهم تقديرات ومعلومات عن نوايا حركة حماس تنفيذ عمليات إرهابية في إسرائيل . ونذكر أن صحيفة هآرتس قد ذكرت في ١٣ سبتمبر أن جهاز الدفاع يعتقد أن حركة حماس تنوي الانتقام لاغتيال "الأخوين عوض الله" . وإذا كان رد الفعل لاغتيالهما قد أدخل جهاز الدفاع في حالة من الضغط وخاصة وأن رئيس الاركان العامة شاءول موفاز قد أبلغ الحكومة أنه ليس لدى جهاز الدفاع معلومات عن ٥٠٪ من البنية الأساسية للارهاب والتي أقيمت مؤخرا في يهودا والسامرا ، فإن السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : لماذا لم يفكر جهاز الدفاع في النتيجة قبل اغتيال الأخوين عوض الله .

وعلى أية حال فإن التحذيرات من احتمال وقوع عمليات إرهابية هي تحذيرات في محلها . فقد رأينا في برنامج "مباط" أن احمد ياسين يؤكد أن الجناح العسكري لحركة حماس ينوي تنفيذ عمليات إرهابية .

هذا بالاضافة الى إلقاء القبض على إثنين من أعضاء حماس عند معبر إريز وهما يحملان أحزمة متفجرة ، وإحباط عمليات أخرى. كل ذلك يثبت أن هناك شيئا ما يلوح في الأفق. ويتحدث الخبراء بصوت خافت عن إمكانية وقوع عمليات إرهابية على غرار انفجار نيروبي . وكان هناك تحذير مشابه قبل حوالي عام عندما وصلت معلومات عن محاولة تفجير "مجدل شالوم" بواسطة سيارة مفخخة .

والدهشة لا تعود الى التأهب أو وسائل الحذر من جانب جهاز الدفاع ولكن الدهشة تعود الى إثارة المخاوف على الملأ بواسطة هذه التصريحات المخيفة . وأريد أن أسأل : ماذا يريدون من المواطنين ؟ أن يحبسوا أنفسهم في بيوتهم ؟ أن يهربوا الى الخارج ؟ أن المواطن الاسرائيلي يقظ بالقدر الكافي وليس في حاجة الى أن يثيروا الخوف في نفسه حتى يكون أكثر يقظة مما هو عليه الآن. وأود أن أوكد إنهم أثاروا الخوف في نفوس السائحين . ولذلك فإن الفنادق أصبحت خاوية بدرجة لم يكن لها مثيل في السنوات السابقة . إذن لماذا يثيرون الخوف؟ اذا وقع شئ لا قدر الله فإننا نعرف مسبقا وإذا لم يحدث شئ فإنهم يكونوا قد نجحوا في منع وقوع عملية إرهابية ، مثلما تباهى نتنياهو في قضية العملية الارهابية التي لم تقع في مجدل شالوم .

ولا يجب أن نستهين بخطورة العمليات الارهابية ولكن تحذيرات جهاز الدفاع تشبه من يصرخ من أجل أن يتغلب على مخاوفه في الظلام ويجب على جهاز الدفاع أن يكون يقظا وأن يعمل على إفشال أي عمليات إرهابية . ولكن يجب أن يركز على إثارة الخوف في حركة حماس نفسها وليس إثارة الخوف في نفوس الجماهير الاسرائيلية .

٣ المسار الفلسطينى

عام الحسومات

يديعوت أحرونوت
٢٠ / ٩ / ١٩٩٨
بقلم : سفر بلوتسكر

لحظة الحقيقة : مايو ١٩٩٩
سيدخل مسار أوسلو ، الذى بدأ فى مؤتمر مدريد وتبلور باتفاقيات أوسلو ، مرحلة الحسم فى عام ٧٥٨ العبرى . ستوضع التسوية النهائية على مائدة المباحثات بين مندوبى اسرائيل والفلسطينيين ، والتى من شأنها إنهاء النزاع . وشهر مايو هو التاريخ المحدد . فقد أعلنت السلطة الفلسطينية أنها سوف تعلن فى هذا الموعد عن إقامة دولة فلسطينية . وستتم المساومة على كل شئ - على الحدود والقدس والمستوطنات والحقوق والواجبات التاريخية ، وعن تحديد السيادة وتوصيف الأمن وفوق كل هذا - عن العدالة القومية . ستطرح حكومة نتنياهو مقترحات ، وستطرح الحكومة الفلسطينية مقترحات ، وسيدخل كل من يستطيع المساهمة الى بوتقة الضغط من أجل أن ينبش وأن يثبت وجوده .

الكثير - وربما كل شئ - سيكون مرتبطا بقدرة الجالسين إلى المائدة على التغلب على مواقفهم التقليدية وآرائهم السابقة . من الصعب للغاية (وليس مستحيلا) أن نرى نتنياهو وعرفات يضيقون من اتساع الفجوة التى ازدادت بينهما ويستأنفان الثقة المتبادلة الحيوية لتحريك الحوار . إن حجم الشك كبير جدا . من السهل أن تجدهما يتمسكان بمواقفهما الايديولوجية . لدى كل منهما معارضة داخلية عالية الصوت ، وإن كان موقف عرفات أكثر تعقيدا ، لأنه فى اى تسوية إسرائيلية - فلسطينية دائما سينظر اليه كزعيم أمة مشتتة يجب أن يهتم بمصالح الفلسطينيين الذين خارج حدود السلطة أو الدولة القادمة. وعلى الجانب الآخر ، لا يوجد منتقدون لاذعون من الاتجاه المعتدل ، كى يطالبونه بالمرونة. أما نتنياهو فلديه .

إن فرص نتنياهو وعرفات للتوصل لبداية اتفاق غير لامعة لسبب آخر وهو - أنهما لم يبذلا الجهد الكبير لتحقيق طفرة على طريق أوسلو . لقد وجد نتنياهو عرفات كحقيقة واقعة رغم أنفه ، أما عرفات فقد جاءه نتنياهو مثل الرعد فى يوم صحو .

سيضطر المفاوضون لأن يواجهوا قضية كيف يتعاملون مع مائة عام من العداء وبالمقدار الذى يقلل من عنصر السم الى أسفل حدود الخطر . ولكن المساومة قد تفلت من تحت سيطرة السياسيين - اسرائيليون وفلسطينيون - والخروج الى الشارع ، حيث النيران . كل هذا بافتراض أن السلطة الفلسطينية لن تتخطى مرحلة المساومة وتعلن عن قيام دولة فلسطينية من جانب واحد ، وهو الاعلان الذى قد ينقل الخلافات الى ساحة النيران مبكرا جدا .

هذا هو الحسم الأول فى العام العبرى الجديد هل نواصل السير فى الطريق الذى يؤدى الى وجود دولتين لشعبين ، أم نتخلى عن هذا الطريق لصالح رؤي أخرى ، وحلول آخرى ، ونبوءات أخرى . هل نتحاور أم نطلق النار .

اما عن المسار الداخلى الاسرائيلى فإنه سيسير فى العام الجديد فى اتجاه المزيد من تحطيم الأطر الحزبية القائمة . فالأحزاب التى حملت فى الماضى وصف (الكبرى) تعمل مثل القشور الخارجية التى بدون جوهر ، أو كمادة بلا مضمون. من الخارج ، مازالت تحتفظ بالعقارات الثابتة - كالمنازل والفروع والمؤسسات وبعض العاملين بالأجر. أما

من الداخل فلا يوجد إلا الفراغ . فى انتخابات الهستدروت تنافست قوائم مكونة من عناصر حزبية متناقضة ، ومن ائتلافات وتحالفات غير ممكنة .وسوف تعجل الانتخابات القريبة للمجالس المحلية بمحو الهوية الحزبية. كل مرشح سيكون من أجل نفسه ، وكل زمرة اصدقاء من أجل أنفسهم .

أن تناثر سوق الاحزاب الاسرائيلية سوف يتيح لعناصر جديدة ، و"تجمعات عقائدية" جديدة الدخول والتمركز على الساحة . بعد التفرق الحزبى فى الانتخابات المحلية سيأتى دور إعادة الانتشار . من المحتمل أن تظهر احزاب وسط ، حزب أو إثنان أو ثلاثة . حزب دان مريدور وحزب رونى ميلو وحزب أمنون شحاك . وسوف ينضم هؤلاء للاحزاب القائمة مثل جشر والطريق الثالث .

ووفقا لاحتمال إجراء انتخابات مبكرة للكنيست من شأن بعض هذه الأحزاب أن تتحد ، أو على الاقل أن تكون تجمعات مثيرة للاهتمام . يمكن أن نرى فى الافق أحياء حزبية جديدة ، يوجد بينهما ما لا يتوافر لديها وهو - الايديولوجية .

لقد برز فى العامين الماضيين التشتت والفرقة فى المجتمع الاسرائيلى . لقد شهدنا مظهر دولة أصبحت مثل الساحة التى تتناثر فيها جماعات ضغط دينية وعلمانية وطائفية وقومية واقتصادية واجتماعية تكشف عن أسنانها ويتعالى زفيرها . لا يوحد بين هذه الجماعات سوى الساحة التى يقفون عليها فقط . وقد بالغ المحللون فى الحديث والكتابة عن ظاهرة أفضل تسميتها (انفصال الشتات) وهى النقيض لنظرية (امتزاج الشتات). لقد اتضح لهم أن هناك وجوها كثيرة "للأسرلة" وبعضهم لا يشبه أبدا ذلك الصابرا الذى تطلعت اليه اعين محققى الحلم الصهيونى . وكان الكنيست وأيضا الحكومة افضل تعبير عن هذه التقسيمات والاختلافات . ولم تكن مصادفة أن اطلقوا عليها - استعارة من أزمة أخرى - إسم ائتلاف الاقليات .

الآن يستطيع البندول أن يتحرك بسرعة وبقوة فى الاتجاه العكسى . إن الشقاق المقصود (وليس العامل بالضرورة) فى المجتمع الاسرائيلى قد ولد رغبة قوية جدا فى الدخول الى الوسط والتجمع معا تحت مظلة العلم الاسرائيلى صاحب الهوامش الواسعة جدا. فى العام القادم قد يصبح الوسط السياسى IN والانفصال السياسى OUT.

إذن الحسم المصيرى الثانى فى العام العبرى الجديد هو : هل نكون مترابطون أم منفصلون .

يحطمون التقشف :

على المسار الاقتصادى سيكون عام (٧٥٨ عبرى) عام (إعمل أو توقف) . منذ عامين وحكومة نتنياهو تستخدم سياسة تقشف الميزانية ويستخدم بنك اسرائيل سياسة التقشف المالى . وهذه جرعة تهدئة مزدوجة ومضروبة فى اثنين ، حيث يمكنها تحذير حصان هائج - وهكذا بالضبط بدا الاقتصاد الاسرائيلى لبنيامين نتنياهو عندما أمسك باللجام . لقد عمل الصد المزدوج كما هو متوقع ، بل وأكثر من المتوقع . يكفى بيان إحصائى واحد كى يبرز القوة الزائدة لسياسة الابطاء الاقتصادى . عشية رأس السنة العبرية ٧٥٨ أصبح الدخل القومى للفرد فى اسرائيل أقل من الدخل القومى للفرد الذى كان بها عشية رأس السنة العبرية ٧٥٧ أى أننا نتقدم الى الوراء .

سيقول الكثير من رجال الاقتصاد ان التقشف جلب الانقاذ. لم تعد ظواهر العجز التى ميزت الاقتصاد الاسرائيلى عام ١٩٩٦ موجودة الآن ، وأصبحنا الآن مثل كوريا الجنوبية . أى أن المسار الاقتصادى لا يمر بحالة تراجع محكومة ، بل فى حالة تحطم.

يستطيع الاقتصاد الاسرائيلى أن ينهض على قدميه العام القادم وأن يرفع أنفه عن الارض، إذا لم ينهض ، فسوف يظل ملتصقا بالأرض حتى نهاية هذا العقد ، وربما بعده وقوى السوق نفسها لن تحدث التحول . بالعكس ، إن البطء المستمر فى نشاط الأعمال يخلق آليات تتسبب فى تعميق وترسيخ هذا البطء . يتخذ المستهلكون والمستثمرون قرارات اقتصادية على أساس الواقع المحيط بهم ، وعندما يبث هذا الواقع اهتزازا ، فإنهم يعملون ماهو منطقى ، أى يشترون أقل ويستثمرون أقل. ان أهمية عام ٧٥٨ العبرى لتحطيم سلسلة سنوات التقشف معروفة جيدا بالنسبة لقطاع الأعمال وبالتأكيد ليست غريبة على الحكومة ، ولو فقط بسبب اقتراب الانتخابات . وهى تظهر فى الميزانية الجديدة ، فهى أكثر مرونة واتساعا . الانفاق العام بها كبير ولا ينطوى على إجراءات ضد التنمية مثلما حدث فى السنوات السابقة .

وقد تصطدم مسيرة الصحوة للاقتصاد الاسرائيلى خلال العام العبرى الجديد بعقبات خارجية . أكثر من عام وهناك أزمة متراكمة وليس لها حل وغير مفهومة فى النظام المالى العالمى ، وسوف يكون اجتماع وزراء المالية ومحافظو البنوك المركزية من اكثر من مائة دولة فى الشهر الاول من العام القادم بواشنطن ، اختبارا لقدرتهم على أن يرسموا معا سياسة اقتصادية ومالية عالمية. سياسة ذات اتجاه تنموى وليست غطية أو فاسدة ، بل فعالة وعادلة وقد تعهدت تسع دول أوروبية منذ فترة فى السير فى هذا الاتجاه - ففى يناير ١٩٩٩ سوف تصبح عملتهم واحدة - اليورو . وستحاول هذه الدول بتلك الطريقة أن تقضى على الضغائن القومية التى تعود الى عدة قرون ، من أجل الرفاهية الاقتصادية المشتركة .

ذلك هو الحسم الاقتصادى المصيرى للعام العبرى ٧٥٨ ، عندنا وعند العالم - إما أن ننمو وإما أن نسقط جميعا الى الهاوية .

الدولة القادمة

هآرتس ٢٠ / ٩ / ١٩٩٨
بقلم : عوزى بنزيمان

الرابع من مايو ١٩٩٩ سيوافق يوم الثلاثاء من آيار عام ١٩٩٩ ، وسيوافق الثالث عشر من شهر عومير ، ولذلك فإنه حسب التقويم العبرى سيكون من الممكن الاحتفال به . وسيجئ الاحتفال بالذكرى الاولى لقيام الدولة الفلسطينية بعد أسبوعين من الاحتفال بعيد الاستقلال الواحد والخمسين لدولة اسرائيل والذى تنتهى فيه احتفالات مرور يوبيل على إقامتها . وتقارب المواعيد يرمز الى اكتمال عملية استمرت مائة عام ، اعترف فيه كل شعب بحق الشعب الآخر فى الوجود .

وهذا هو المغزى الاساسى لاتفاقية أوسلو ألا وهو إعادة تقسيم الدولة وتنازل إسرائيل عن معظم المناطق التى احتلتها فى حرب الأيام الستة والتنازل الفلسطينى عن حلم العودة الى مناطق دولة إسرائيل فى نطاق الخط الاخضر .

إن اتفاقية أوسلو ليست حجر ألقى من مكان ما الى البحيرة وأثارت فيها الأمواج ولكنها نتيجة منطقية لعملية تاريخية . فبعد تحقيق الحلم الصهيونى وبعد ثلاثة أجيال من الحروب وثلاثين عاما من الاحتلال الفاسد ، وبعد السلام الذى وقع مع مصر، وبعد التغييرات الديموغرافية والنفسية التى مرت على دولة إسرائيل والتغييرات والتحولات السياسية والاجتماعية التى تحدث فى بعض الدول العربية المجاورة والتغييرات الجذرية التي حدثت فى علاقات الدول العظمى والتطورات العسكرية والتكنولوجية وانتشار الأسلحة المتقدمة ، توصل زعماء الدولة عام ١٩٩٣ الى نتيجة وهى أن مصلحة ومستقبل ورفاهية إسرائيل تلزمهم بالتوقيع على إتفاقية اعتراف وسلام مع ممثلى الشعب الفلسطينى. وتحرك ياسر عرفات ومستشاروه على أساس اعتبارات ومصالح مشابهة .

وحتى لو كانت هناك نوايا متناقضة لكل طرف من الأطراف وحتى لو كانت النتيجة المتوقعة للاتفاق وهى إقامة دولة فلسطينية لم تذكر صراحة ، فإن هذه هى النتيجة المنطقية والوحيدة المحتملة .

إن الدولة الفلسطينية ، ليست كلمة غليظة وموافقة إسرائيل على إقامتها لا تعنى بالضرورة الغباء أو الحماقة . والاختيار بهذا الاسلوب دليل علي أن هناك اتجاه أخلاقى والتوقف عن حالة الاحتلال البغيض . وهذا الاختيار يدل ايضا على أن هناك نظرية سياسية مشروعة ، واستعداد للمجازفة ولكن بصورة محسوبة ومدروسة ، فيما يتصل بإقامة دولة فلسطينية تشكل خطرا وتهديدا على دولة إسرائيل وعلى سكانها ، ولا يمكن أن ننكر ذلك .

ومن يوافق على إقامة دولة فلسطينية عن قريب فإنه يلقى عبئه على إمكانية أن معظم الشعب الفلسطينى وزعامته يفضلون حالة السلام على استمرار المواجهة المسلحة مع اسرائيل، على اعتبار أن الدولة الجديدة ستكون لها مصالح وأنها سوف توجه طاقتها الأساسية نحو التنمية الداخلية، وأنه فى حالة موافقة اسرائيل على إقامة دولة فلسطينية سيصبح هناك تأييد دولى لاسرائيل، وأن هذا التأييد سوف يجعل أى تهديد ضد سلامتها ، وأن التخلى عن المناطق سوف يعمل فى نسيج الحياة الاسرائيلية مثل المضاد الحيوي المفيد فى الجسد المصاب بالتلوث الخطير .

وهذه أفكار منطقية لا تقل أهمية عن الأفكار العكسية التى يعتنقها المعسكر اليمينى فى إسرائيل . أى أن إقامة الدولة الفلسطينية والانسحاب من المناطق هى نتاج لزيادة الشهوة الفلسطينية (وهو ليس إلا انعكاسا للشهوة العربية الشاملة) لتصفية دولة اسرائيل داخل الخط الأخضر .

إن قيمة السلام التى تتمسك بها دولة إسرائيل منذ إقامتها استوجب التوقيع على إتفاقية أوسلو وتستوجب أيضا إتخاذ الخطوة القادمة التي تنبع منها ألا وهى قبول إقامة الدولة الفلسطينية . ونحن نعلم أن إسرائيل تملك وسائل الردع والحسم من أجل الدفاع عن نفسها حتى داخل الحدود الجغرافية الضيقة وهذا هو السبب وراء استعدادها للمجازفة بمواجهة الأخطار التى تنبع من إقامة الدولة الفلسطينية .

ولكن بنيامين نتنياهو شذ عن هذه القاعدة فهو لا يستغل فرصة السلام التى سنحت له وهو لا يؤمن بالسلام، وليس على استعداد لدفع ثمن المجازفة التى ترتبط بوضع النوايا الفلسطينية فى أنبوب الاختبار . ونظريته مازالت كما هى ولم تتغير ، حيث إنه مازال ينظر الى العالم العربى على إنه حية متوحشة وأن الدولة الفلسطينية ليست إلا رأس هذه الحية التي تتربص بالفريسة الاسرائيلية . وفى ظل هذا الوضع وإذا استمر نتنياهو فى منصب رئيس الوزراء بعد ثمانية أشهر ، أى حتى الرابع من مايو ١٩٩٩، فإن الأيام التالية ستكون صعبة بالنسبة له للغاية .

يوبيل كئيب

ملحق هآرتس
٢٠ / ٩ / ١٩٩٨
بقلم المحرر

سوف تذكر (تسجل) السنة الماضية في التاريخ على أنها السنة التي لم تتقدم فيها اسرائيل إن لم تكن تقهقرت الى الوراء . فعشية رأس السنة العبرية (الموافق ١٩٩٨) تقرر - بوساطة - أمريكية - إستئناف المباحثات الخاصة بلجان المفاوضات الاسرائيلية الفلسطينية ، ولكن الأحداث تتكرر مرة أخرى عشية رأس السنة العبرية (١٩٩٩) حيث نرى دينيس روس يترك المنطقة دون أن ينجح في تحقيق انطلاقة فعلية في المفاوضات ، وسوف تستمر جهود الوساطة الأمريكية في الاسبوع المقبل في نيويورك .
لقد تغير المفهوم قليلا في العام الماضي : فقد أضيف لمصطلح (المرحلة) مفهوم "المناطق الخضراء" وأضاف الأمريكان " اقتراح تقريب وجهات النظر" وتغيرت "خريطة الانسحاب" الى "خريطة المصالح القومية" ، كما ترجمت "النسبة المئوية للانسحاب ذات الرقمين" الى قول أكثر وضوحا . ولكن ملخص القول أن القضية بقيت بعينها : لا يوجد إتفاق والعنصر الاساسي الذى يحدد علاقات الشعبين هو العداء ، بالاضافة الى الريبة ، والعنف مستمر والإحساس بأن هناك ضررا لكلا الطرفين لم يتغير كما يثبت ذلك الحصار المفروض على الأراضي المحتلة ، والحوادث الاخيرة التي وقعت في المنطقة والتحذيرات الأمنية الخطيرة لعناصر الأمن لإحتمال وقوع عمليات تخريبية من قبل حماس.
فإذا كان بنيامين نتنياهو وحكومته قد سعوا منذ اللحظة الأولى لتوليهم المنصب لتدمير مسيرة أوسلو ، فمن حقهم أن يتباهوا بنجاحهم. فمسيرة السلام بالفعل تحتضر ، ورئيس الوزراء بنفسه أعلن عن ذلك في لقاء مع ديبلوماسيين أجانب في مايو الماضي . ولكن هذه ليست الرؤية التى أخذوا على عاتقهم تنفيذها ، فمنذ لحظة انتخابهم زعموا أن ما يحركهم هو أن يحرزوا اتفاقا للسلام والذى يتضمن ايضا أمنا . ففي الأشهر الثلاثة الاخيرة أوجد نتنياهو ووزراؤه المركزيون انطباعا واضحا بأن الختام الناجح للمفاوضات هو مسألة أيام معدودة فقط .

ولكن آخر ما وصل اليه الأمر لا يختلف عن بدايته ، فإن هذه الحكومة لم يكن في نيتها مطلقا تنفيذ إتفاق أوسلو - سواء كان بسبب معارضتها للإتفاق من أساسه (من حيث المبدأ) أو سواء أن التشكيل الداخلي للحكومة لا يمكنها (لا يسمح لها) من التوصل الى اتفاق حول تنفيذه .
وفى أثناء مسيرة تحطيم إتفاقية أوسلو قاد نتنياهو ورفاقه الدولة الى الحضيض . فقد أدوا الى توتر كبير في العلاقات مع رؤساء الإدارة الامريكية، والى قطع العلاقات التي كانت قد بدأت مع بعض دول الخليج والمغرب العربي ، وإلى أزمة جدية في العلاقات مع الأردن ومصر والى صدع وتمزق مع السلطة الفلسطينية ، والى قرار للاتحاد الأوروبي يقضى بتحريم ومقاطعة منتجات إسرائيلية تنتج في المستوطنات ، والى عزلة في الأمم المتحدة والتى واكبها تحسن في موقف التمثيل للسلطة الفلسطينية في هذه المنظمة ، وإلى انخفاض كبير في إعداد السائحين والمستثمرين الأجانب ، والذى يعتبر أحد نتائجه هو الأبعاد الكبيرة للبطالة في الاقتصاد الاسرائيلي .
وحتى الجهود المعلنة لتغيير الوضع من أساسه في جنوب لبنان والعلاقات مع سوريا فقد عانوا من مناخ الدسائس والذى أحاط بالمفاوضات مع الفلسطينيين . إنه يوبيل كئيب لدولة تحتفل اليوم بيوبيلها .
ولكن ليست النتائج الملموسة فقط ، والتى يمكننا قياسها في نهاية العام ، هي التى تنتصب على رقبة حكومة نتنياهو ، فيجب الأخذ في الاعتبار أيضا النتائج بعيدة المدى لسياسة تلك الحكومة. فهي تتصور بوضوح كحكومة على النقيض من الحكومات التى سبقتها تضيع - عن علم - الفرصة لإرساء سلام ، مع أحد الأعداء العرب . وفى سعيها لتحقيق هدفها فإنها تدمر وتفسد قواعد اللعبة السياسية وكذا معايير الصدق وذلك بتحويلها للتضليل ولفت الانظار الى وسيلة سلطة تقليدية .

جيش الدفاع بين الموارد القليلة وبين الأخطاء المتزايدة

هاتسوفيه
٢٠ / ٩ / ١٩٩٨
بقلم : دانى شالوم

من القضايا الرئيسية التي لا تزال معلقة منذ فترة طويلة ، قضية ماذا سيحدث بعد مايو ١٩٩٩.
فى ذلك الشهر سوف ينتهى مفعول إتفاق أوسلو . وقد أعلن الفلسطينيون أنهم لن يتركوا أى فراغ ، وأنهم يتأهبون لإعلان دولة فلسطينية كما لو كانوا يتأهبون لعمل عسكرى . وقد ذكرت وكالات الأنباء الأجنبية الاسبوع

الماضى أنهم قد شكلوا ثلاث لجان خاصة تتولى مسألة إقامة دولة فلسطينية (عاصمتها القدس).
كيف سيكون رد فعل اسرائيل ؟ هل سيفلح الجهاز السياسى في العثور على حل لقضايا الانسحاب الثانى والثالث قبل إعلان الدولة، أم أن الشئ الوحيد الذى سيتحرك في هذه الفترة هى الاوراق التى ستنزع من

التقويم السياسي ؟

العدو من الشمال "بدر ٩٦" :
بالنسبة للجيش ستكون هذه الفترة التي تقف فعلا على أعتابنا ، فترة متوترة بشكل خاص . يبدو أن مشاهد سبتمبر ١٩٩٦ سوف تتكرر بشكل أكبر بالقرب من المدن الفلسطينية الرئيسية ، وفى المناطق المختلطة والتى تقع على الحدود.
إذا نجح الفلسطينيون فى دمج إعلان الدولة بعمل سياسى مبكر من أجل الفوز باعتراف دول أخرى ، فمن المعتقد أن التوتر سوف يزداد بين إسرائيل وبين مصر والاردن . مبارك - الذى لم يخف أبدا رأيه بضرورة تقليل قوة الدولة اليهودية الى الحد الادنى - سوف يعترف بلا شك على الفور بهذه الدولة ، وسوف يرد بشكل حاد على أى عملية عسكرية من جانب اسرائيل . كذلك لن تتأخر الإدانة الاردنية وربما تعليق العلاقات بشكل أو بآخر .
سيضطر جيش الدفاع لأن يرد - فى كافة هذه المجالات - فى مواجهة تحرك محتمل أو التهديد بتحريك القوات المصرية فى سيناء أو ظهور توتر فى الجنوب ، وأمام تحرشات أيضا من جانب فلسطينيين مسلحين فى نقاط الاحتكاك .
تعتبر لبنان الحجر العثرة الكبير الذى يواجه رئيس الأركان الجديد . فى غياب أى رغبة اسرائيلية للدخول فى مواجهة مع سوريا وإيران ، سوف تستمر حرب الاستنزاف الدموية مع المخربين وتستطيع اسرائيل أن تعزز مواقعها وأن تحصن جنودها وأن تدرع مركباتها .
ولكن للأسف سوف يستمر القتل . فكما لن يتخذ قرار واضح بالدخول فى حرب ضد حزب الله ومن يدعمه سوف نواصل استنزاف قدرتنا العسكرية أمام شرذمة من المخربين الذين يقدسون الموت ، ويرونه على أنه عمل بطولى .
وبالنسبة لمصر - طبقا لكم الاسلحة التى بحوزتها ، والتى تتفوق فى نوعيتها فى مجالات كثيرة عن تلك التى لدى جيش الدفاع، والمتعددة المصادر .(من الولايات المتحدة وفرنسا والصين وإيطاليا وروسيا وهى بعض الدول التى تورد اليها هذه الاسلحة) ، فلا شك أن مصر تعد نفسها للحرب ضد (عدو الشمال) . مثلما صرح فى مناورة (بدر ٩٦) أحد قادة الجيش المصرى . وليس هناك حاجة الى تخيل من هو هذا العدو - ففى هذه المناورة تدرب المصريون على عبور القناة وسرعة احتلال مواقع دفاعية اقاموها فى سيناء ، مع معاونة سريعة من قوات الإبرار والمدرعات وسلاح الطيران . كل هذا تحت مظلة صواريخ أرض - جو . يجب أن تتعامل اسرائيل مع مصر على أنها عدو قوى يمكن أن ينضم الى أعدائنا فى حال حدوث أى توتر أو أحداث عسكرية .

حسين الغاضب والأسد الذى يهدد :
رغم إتفاقية السلام فمن المنتظر ألا تقف الأردن موقف المتفرج فى حالة وقوع صدام بعد الاعلان عن إقامة دولة فلسطينية . المعتقد أن حسين ، الذى كان مستعدا فى حركة استعراضية للتخلى عن الضفة الغربية لصالح الشعب الفلسطينى وأحضانه مع الرئيس التى أصبحت عادة دائمة بين هذين الرجلين سوف ينضم لكل من يدين أى عمل اسرائيلى ، ويغضب من نتنياهو وأيضا المزيد من علامات الغضب الملكى . وتعتبر سوريا بمثابة دولة المواجهة الرئيسية أمام إسرائيل ، وأهم عنصر يقف على حدود الدولة ، والجيش السورى مسلح بكافة العناصر التكتيكية والاستراتيجية المطلوبة من أجل دخول الحرب : صواريخ طويلة المدى تغطى كل الاراضى الاسرائيلية ، والصواريخ التكتيكية القادرة على ضرب شمال البلاد كله وآلاف المدرعات وصواريخ أرض - جو . ويواصل سلاح الطيران السورى المحافظة على وحداته القتالية رغم إنه يجد صعوبة فى دفع ثمن الطائرات الجديدة .
وأخطر تهديد من جانب سوريا هو حظر الاسلحة غير التقليدية : الأسلحة الكيماوية والبيولوجية . لو حكمنا بناء على الماضى ، فقد لا يستخدم لو هددته اسرائيل بالرد بسلاح من نوع مماثل . ولكن من الناحية الاستراتيجية فإن هذا السلاح المرعب موجود ويؤدى دوره : أى تهديد المؤخرة الاسرائيلية .

المخابئ العراقية والايرانية الحصينة :
تمثل الدول الاسلامية المتطرفة - إيران والعراق - الدائرة البعيدة للتهديدات التى تواجه اسرائيل . إن الدول الغربية، وعلى رأسها روسيا ، وبدون عواطف كثيرة، على إستعداد للوفاء بكل مطالب تطوير الصواريخ الايرانية - من محركات ، وأجهزة ملاحية والمعادن المطلوبة لإنتاجها بثمن باهظ وبدون وخز الضمير .
إزاء هذه التهديدات البعيدة والقريبة ، تبدى المؤسسة العسكرية إحساسا شديدا بنقص الموارد ،وتراجع حجم الميزانية .
إن تطوير منظومة عسكرية ، من مرحلة الموافقة على التطوير وحتى دخولها الخدمة ، يمتد من خمس الى سبع سنوات على الاقل . لقد توقفت مشروعات كثيرة فى عهد حكومة حزب العمل عندما كان هناك إحساس بعدم التخوف وأن السلام مع الفلسطينيين بات على الأبواب .
مع ذلك تظهر الآن الضرورة لهذه المنظومة بشكل كبير .
إن الجدل الطويل حول ميزانية الدفاع لا يشجع تحريك المشروعات ، ولن يمكن الحصول على هذه الطلبات من مصادر اجنبية .

الطائرات منهكة :
كل من يتابع حالة سلاح الطيران سيرى الضرورة الملحة لتجديد وجهه. يستخدم سلاح الطيران حاليا طائرات سكاى هوك التى دخلت الخدمة عام ١٩٦٧ ، وأحدث طرازاتها وصلت الى إسرائيل فى منتصف السبعينات .

قريبا سوف تحتفل أسراب الطائرات التي من طراز (كورنس ٢٠٠٠) - وهي طائرات فانتوم معدلة - ببداية العقد الثالث لاستخدامها العملي .
تم الحصول على أول طائرات F . 15 في عام ١٩٧٦، والطائرات F . 16 ، والتي تمثل العامود الفقري الهجومي لسلاح الطيران ، وصلت الى البلاد عام ١٩٨٠ ، وتلك التي حصلنا عليها كفائض من سلاح الطيران الامريكي ، تعدت العمر الافتراضي لها . يستخدم طيارونا طائرات منهكة . لو حدث عطل حرج في مجنزرة ، فأنت تقف جانبا لاستبدال هذا الجزء . أما الطائرة فإنها تتحطم في هذه الحالة ، مثلما حدث في حالتين مؤخرا .
إن حاجة المخابرات العسكرية الى وسائل لمتابعة ما يحدث في الدول العربية في الوقت المناسب هي ضرورة ملحة وحرجة . منذ عدة شهور فشل اطلاق القمر الصناعي (أوفيك ٤) بسبب خطأ فني . ذكر لنا ضابط كبير بالمخابرات العسكرية أن الأمر "ليس حرجا" . رغم ذلك يبدو أنه توجد الآن أفكار مختلفة حول ضرورة الحصول على معلومات يمكن أن يلتقطها مثل هذا القمر .
قال رئيس هيئة الاركان "إنني أعرف ما الذى نريده . ينقصنا المال . وعندما يتم الاتفاق عليه يمكن ان ننطلق. بدون إضافة في السنوات القادمة لن نستطيع توفير المستوى الأمني الذى يجب . هذا الاطار سيؤثر على المستوى الذى يستطيع جيش الدفاع توفيره لدولة اسرائيل" في عامها الخمسين تقف إسرائيل وجيش الدفاع أمام مرحلة لن نخطئ لو وصفناها بأنها حرجة جدا لتحديد طابع وشكل حدود ومستقبل الدولة . وبدون رؤية للمستقبل الواقع خارج مجال السنوات الخمس القادمة، سيفزع الشعب .

دولة الكومنولث الإسرائيلية

هآرتس
٢٥ / ٩ / ١٩٩٨
بقلم : تسيفي برئيل

هناك خطر يتهدد الامبراطورية الاسرائيلية: الشعب الفلسطيني ينوى أن يصبح أمة ، وأن يعلن استقلاله السياسي ، والتحرر من الادارة الاسرائيلية ، وأن يجعل إسرائيل بذلك دولة تحتل دولة أخرى . هذا ما حدث للبرتغال وهولندا والامبراطورية العثمانية وبريطانيا العظمى والاتحاد السوفيتي ، ويحدث لاسرائيل أيضا .
لحسن حظنا ، يعتقد نتنياهو أن لديه سحرا مضادا يقضى على خطر الدولة الفلسطينية . وقد حذر من أنه لو قامت دولة كهذه ، لن يضار التقدم في العملية السياسية فقط ، بل إنه سيقوم بضم أراضي الضفة الغربية الى إسرائيل .
وهكذا ، في الوقت الذى سيضاء على اللوحة الالكترونية عدد وأسماء الدول التى تؤيد قيام الدولة الجديدة، بستطيع نتنياهو أن يتلو على الجمهور الاسرائيلي أسماء المدن الفلسطينية التي ستنضم الى قائمة المدن التى تتمتع بالتأمين القومي الاسرائيلي .
لا يخفى عرفات نية الإعلان عن دولة فلسطينية، بل وحدد التاريخ الرابع من مايو ١٩٩٩ ، أى بعد خمس سنوات بالضبط بعد التوقيع في القاهرة على اتفاق الانسحاب من غزة وأريحا . وبما أن إسرائيل لا تظهر أى نية للوفاء ببنود إتفاق أوسلو ، يبقى زمن كاف حتى نتحرى ما اذا كانت مستعدة فعلا لضم المناطق ، أم أنها تخادع مرة أخرى.
إن هذا الضم يعني بلا شك حرب مع الدولة الفلسطينية المستقلة ، حيث لا يقف وراءها هذه المرة شباب قاذفي الحجارة ورجال شرطة مسلحون برشاشات فقط، وإنما تأييدا دوليا موسعا جدا ، سيشمل أيضا دولا صديقة لاسرائيل مثل فرنسا وربما بريطانيا وإيطاليا وربما ألمانيا وروسيا وربما هولندا والاردن ومصر .
وكما كانت اسرائيل، ليس الفلسطينيون في حاجة الى كل الأرض الفلسطينية من أجل الاعلان عن دولتهم . فالاراضى التى لن يحصلوا عليها في اطار الاتفاق ، وربما مناطق الانسحاب ، سوف تتحول ، مثلما حدث عندنا ، الى "مناطق طموح" ، وحلم المستقبل . حتى ذلك الحين يمكن مواصلة الحرب مع إسرائيل وجيوبها في المناطق ، وإقامة حياة شبه طبيعية لدولة مستقلة . لقد فعلت اسرائيل ذلك ، ولبنان تفعل ذلك بنجاح ، وحتى العراق المحاصرة لم تنهار بعد.
تستطيع فلسطين المستقلة الحياة، حتى داخل أدنى حد من الأراضي ، يمكن أن تستدعى قوة متعددة الجنسيات حسب رغبتها ، والحصول على مقعد في الأمم المتحدة والمبادرة بقرارات ستعترف بها أغلب دول العالم ، بما في ذلك قرار يعترف بحدود الدولة . آنذاك سيتم استبدال لفظ الارهاب بلفظ أكثر عاطفية ، مثل حرب الاستقلال ، وتتحول حركة الأمهات الأربع الى حركة الألف أم .
الحقيقة هي ، أنه حتى لو أوفت اسرائيل بكافة بنود اتفاق أوسلو ، فلابد ان تقوم دولة فلسطينية في النهاية . إلا أن مثل هذا التطور تراه حكومة اسرائيل كنوع من الخيال الجامح . إن الحكومة تعلم أن الحرب هي شرط لأى سلام ، وفقا لنتنياهو ، لو كان الفلسطينيون يريدون دولة ، سنضطر لأن نحتلها من جديد حتى نخوض ضدهم - كالعادة - حرب استقلال مناسبة . آنذاك فقط ، يمكن التوقيع على إتفاق سلام .
يمكن أن نفترض ، أو نأمل على الاقل ، ألا يكون هذا

المنطق هو الذى يقود نتنياهو حقا وأن الكلام عن الضم ليس إلا خداعا لا ضرورة له . لذلك ، بدلا من هذا الدجل الفارغ ، من الافضل التأهب لإقامة دولة فلسطينية ، والتوقيع مع زعمائها على كافة الاتفاقيات الممكنة حتى تظل فى المستقبل عضوا فى دول الكومنولث الاسرائيلى الصغير . ويمكن أيضا تنفيذ إتفاق أوسلو الآن بشروط مريحة نسبيا لإسرائيل ، ولكن لن تحدث كارثة لو تحقق عن طريق المفاوضات .

بعد كل شئ ، كانت إسرائيل تتطلع دائما لأن يكون أمامها مسئول ذو صلاحيات ، دولة مثلا ، وليس منظمة أو سلطة وفرصة ذلك تنتظر فى شهر مايو .

الطوق الأمنى يكلف الاقتصاد الفلسطينى ٤ - ٥ ملايين دولار يوميا

هآرتس ١٥ / ٩ / ١٩٩٨
بقلم : عاميرا هيس

كل يوم من الإغلاق الشامل لمناطق السلطة الفلسطينية يعنى منع دخول العمال الفلسطينيين للعمل فى إسرائيل ، وفرض قيود على نقل البضائع يكلف الاقتصاد الفلسطينى خسائر مباشرة تتراوح ما بين ٤ - ٥ ملايين دولار . وأما الخسائر غير المباشرة نتيجة لهذا الإغلاق فإنها تصل الى ضعف هذا المبلغ . وأما الخسائر على المدى الطويل فإنه من الصعب تقديرها . هذا ما ذكره الدكتور نبيل شعث وزير التخطيط والتعاون الدولى فى السلطة الفلسطينية لدى خروجه من الجلسة الشهرية لممثلى الدول المانحة للسلطة الفلسطينية . وبسبب الطوق الأمنى لن يتمكن أى من المسؤولين فى وزارتى التخطيط الدولى والاقتصاد فى السلطة الفلسطينية من الخروج من قطاع غزة من أجل المشاركة فى الجلسة التى عقدت فى رام الله .

وقد نفى شعث الادعاء الفلسطينى بأنه تم التوصل الى إتفاق حول افتتاح المنطقة الصناعية فى قطاع غزة إلا أن الفلسطينيين تراجعوا عن موافقتهم لأسباب سياسية . وأضاف شعث أن إسرائيل مستمرة فى رفض المطلب الفلسطينى وهو ألا ينطبق الإغلاق على المنطقة الصناعية .. أى القيود على عبور البضائع والتى تفرض أثناء الحصار الشامل ، لا تفرض على المنطقة الصناعية إلا إذا كانت هناك مشكلة أمنية تتعلق مباشرة بالمكان .

وأضاف أن إسرائيل مستمرة فى المطالبة بأن يتم تفتيش كل شاحنة على الطريق مرتين وثلاث مرات مع تفريغ الحمولة . ورفضت أيضا الاقتراح الفلسطينى بأن يقوم مراقبون اسرائيليون وآخرون بفحص حمولات الشاحنات التى تخرج من المنطقة مرة واحدة ويتم ختمها بخاتم يؤكد تفتيشها . كذلك طلبت إسرائيل أن يدفع الفلسطينيون مابين خمسة وسبعة دولارات عن كل طن من البضائع التى يتم تفتيشها الأمر الذى يرفع تكلفة البضائع على التجار الفلسطينيين وأضاف أنه على طول الطريق يرفض الجانب الفلسطينى هذه المطالب ويدعى أنها غير منطقية إذا كانت هناك رغبة فى أن يكون هناك نشاط حقيقى صناعى وتجارى فى هذه المنطقة الصناعية . وتجدر الاشارة الى أنه فى جلسة ممثلى الدول المانحة التى تناقش وضع الاقتصاد الفلسطينى ومدى إحراز تقدم فى مشروعات التنمية والمشروعات المستقبلية، هذه الجلسة تضم أيضا ممثلين عن البنك الدولى وصندوق النقد الدولى ووزارة الخارجية الاسرائيلية ومكتب منسق الأعمال فى المناطق . ويقول مصدر تابع لجهاز الدول المانحة أن الممثلين قد أعربوا فى جلستهم عن أملهم فى أن يتم رفع الحظر المفروض على المناطق فى أسرع وقت ممكن. ويقول شعث أن ممثلى الدول المانحة أعربوا عن مخاوفهم من أن يؤدى الحصار المفروض على المناطق الى زيادة العجز فى ميزانية السلطة الفلسطينية . وقال شعث إنه من الصعب تقدير الخسائر على المدى البعيد لأن إعادة إغلاق المناطق من جديد ، خاصة بعد فترة طويلة من الانتعاش الاقتصادى سوف يؤثر سلبا على خطط استثمار القطاع الخاص.

وتجدر الاشارة الى أنه فى عام الانتفاضة وكما يؤكد شعث استثمر القطاع الخاص فى المناطق حوالى ٥ ,١ مليار دولار فى هذا العام. ولكن بسبب القيود على الحركة منذ عام ١٩٩٣ انخفض حجم الاستثمارات وفى عام ١٩٩٧ ، وهو العام الهادئ نسبيا من الناحية الأمنية وبدون أيام طويلة من الاغلاق والحصار ، استثمر القطاع الخاص حوالى ٢٥٠ مليون دولار فقط ، وهذا دليل على مخاوف شعث . ومن ناحية أخرى فإن الخسائر الناجمة عن فقدان أجور العاملين فى اسرائيل وتراجع الانتاج الزراعى قد أثر على باقى القطاعات الاخرى . وعلى سبيل المثال تراجع النشاط الاقتصادى وتم إلغاء بعض الصفقات ودفع غرامات على تأخر تنفيذ واحترام الالتزامات . وأكد شعث على أنه ليس هناك أى مغزى للطوق الأمنى الذى يفرض على المناطق . وأضاف أن ممثل إسرائيل الذى حاول أن يقلل من تأثير الطوق الأمنى قال صراحة أن الإغلاق ليس شاملا واستشهد على ذلك بأن ٥٠ ألف عامل من الضفة لا يحملون

تصاريح، مستمرين فى التوجه الى أعمالهم فى اسرائيل .
وفى هذا الصدد يرى شعث أن المضارين هم الذين يحملون تصاريح عمل من سكان قطاع غزة.
ويعتقد المسؤولون فى مكتب منسق الأعمال فى المناطق أن حوالى ١٢٠ ألف عامل يتوجهون الى أعمالهم فى إسرائيل كالمعتاد منهم حوالى ٧٠ ألف يحملون تصاريح عمل وحوالي ٥٠ ألف من سكان الضفة لا يحملون تصاريح .
وأما الفلسطينيون فإنهم يتحدثون عن أعداد أقل بكثير من العاملين الذين يحملون تصاريح عمل والذين يتوجهون بالفعل الى إسرائيل للعمل .

مصير حق العودة

هآرتس
٩ / ٩ / ١٩٩٨
ديفيد مكوفسكى

يرى كثير من المختصين أن قضية اللاجئين تعد إحدى القضايا بالغة التعقيد التى يصعب حلها ، وتكمن صعوبتها فى حجمها ، وتبعاتها ، وأبعادها الشعورية، ومن ثم فإن هذه القضية تعيد كلا من الاسرائيليين والفلسطينيين الى جذور الصراع. وبطبيعة الحال تؤثر الخلافات فى الآراء فى كل ما يتعلق بما حدث خلال عام ١٩٤٨ على مناقشة قضية اللاجئين .
وقد طرح عدد من الأكاديميين الإسرائيليين والفلسطينيين خلال الآونة الأخيرة عدة حلول لقضية اللاجئين ، بل وأعدوا تقريرا مشتركا يعد الأول من نوعه ، وسيصدر هذا التقرير فى غضون بضعة أيام . وقد تمكنت صحيفة " هآرتس " من الحصول على هذا التقرير الذى يعد فى حقيقته محصلة عدة محادثات عقدت بين الطرفين الفلسطيني والاسرائيلى ، تلك المحادثات التى بدأت فى عام ١٩٩٥ ، والتى انتهت منذ فترة قصيرة. وجرت هذه المحادثات تحت رعاية معهد "فيترهار" للعلاقات الدولية التابعة لجامعة هارفارد الأمريكية . ومن المعروف أن هذا المعهد معنى بطرح حلول لكل الاشكاليات المتعلقة بسبل التوصل الى تسوية نهائية.
وتعد قضية اللاجئين من أولى القضايا التى عنى المركز بمناقشتها .
وتعد الوثيقة الصادرة عن هذه المحادثات مشجعة ، إذ إنها تعطى للجانبين الفلسطيني والاسرائيلى فرصة التوصل الى تسوية تساعد بدورها على فك حالة الجدل العارم المثار منذ أمد بعيد . وإذا كان الفلسطينيون يزعمون أن من حقهم العودة الى ديارهم الواقعة فى داخل حدود ١٩٦٧ ، فيزعم الاسرائيليون فى المقابل أن قضية اللاجئين ليست من اختصاصهم . وإذا كانت الوثيقة الجديدة تتضمن الكثير من نقاط التفاهم المشتركة إلا أنه مازالت توجد الكثير من النقاط المعلقة ، ومع هذا يرى من شاركوا فى هذه المحادثات أنه من الممكن التغلب على القضايا المتبقية فى إطار مفاوضات التسوية النهائية ، تلك المفاوضات التى ستتطرق الى قضايا ترسيم الحدود، والمستوطنات وغيرها .
وضم الوفد الاسرائيلى الذى صاغ الوثيقة" شمعون شامير" سفير اسرائيل السابق فى مصر والأردن ، والمستشرق "موشيه ماعوز" ، ومحلل الشؤون العسكرية بصحيفة هآرتس "زئيف شيف"، ورئيس جامعة حيفا السابق "جبريئيل بن درور" ، وعضو حزب العمل بالكنيست " يوسى كاتس" ، والمدير الاسرائيلى للجنة اليهودية الأمريكية "يوسى البير" .
أما الطرف الفلسطيني فقد مثله فى هذه المحادثات د . "يزيد صايغ" الاستاذ بجامعة كمبريدج ، والسيد "ابراهيم دقاق "رئيس وحدة "الفكر " بالقدس الشرقية ، و"حسن حطيب" المحلل السياسى . و"خليل شقاقى" المحاضر بجامعة " النجاح "بنابلس ، وخبير الرأى العام الفلسطيني.
وكانت هذه المحادثات قد عقدت بدعوة من "هربيرت كيلمان" الاستاذ بجامعة هارفارد الذى يحاول منذ عدة سنوات أن يعقد لقاءً يضم فلسطينيين وإسرائيلين ، وقد انضم الى هذه المحادثات أيضا "نديم روهانيه " الاستاذ بالمركز سالف الذكر .
وقد أوضح "البير" الذى صاغ التقرير بالاشتراك مع "شقاقى" أن القضية التى هى محل للدراسة تعد قضية بالغة التعقيد بسبب ملابسات الماضى، وليس فقط بسبب الوضع الراهن أو المستقبلى ، وذكر "البير" "لقد قررت الأطراف التى شاركت فى اوسلو عدم الالتفات الى الماضى والتركيز على المستقبل ، ومع هذا فإنه ليس من الممكن التصرف على هذا النحو عند دراسة قضية اللاجئين .
وكان من الواجب ان يستمع كل طرف لتفسير الطرف الآخر لما حدث فى الماضى خاصة أن التوصل الى أى حل يستلزم ضمان الحصول على إجماع شعبى من قبل الطرفين الفلسطيني والإسرائيلى لحل قضية اللاجئين".
وترتبط قضية اللاجئين ارتباط وثيقا بقضية تعداد اللاجئين فبينما يرى البعض ان اللاجئين هم من خرجوا من ديارهم فى عام ١٩٤٨ ، وأن تعدادهم فى ذلك الحين قدر بسبعمائة ألف، فإننا نشهد حاليا خلافات حادة فى الآراء بشأن عددهم .

ويصر الفلسطينيون على ضرورة وضع الأجيال التالية للاجئين فى الحسبان ، الأمر الذى يعنى بالتالى أن عدد اللاجئين يقدر بـ ٤,٥ مليون لاجئ . وترى وكالة " الأونروا" التابعة للأمم المتحدة أن عددهم يقدر حاليا بـ ٣,٥ مليون نسمة ، وأنهم موزعون على الأراضى ، والضفة الغربية ، وقطاع غزة.

وتزعم اسرائيل فى المقابل أن هذه الأرقام مغالى فيها خاصة أن بعض هؤلاء اللاجئين قد وافته المنية، غير أنه ليست لدى اسرائيل أية أرقام بخصوص هذا الشأن، ومع هذا ترى أن عدد اللاجئين الفلسطينيين أقل بكثير من تلك الأرقام التى تطرحها الأمم المتحدة . وفيما يتعلق بعدد اللاجئين الفلسطينيين المقيمين فى الدول العربية يرى البعض أنه يوجد حوالى ثلاثمائة ألف لاجئ فى سوريا ، وأنه يوجد ثلاثمائة وخمسين ألف لاجئ فى لبنان ، وحوالى مليون لاجئ فى الأردن .

وقد عرض التقرير فى البداية المواقف المبدئية المتوقعة للفلسطينيين والإسرائيليين ثم انتقل لعرض الحلول التى توصل اليها الطرفان ، تلك الحلول التى تقوم فى جوهرها على إقامة دولة فلسطينية بجوار اسرائيل . وجاء بالتقرير أن الموقف الفلسطينى مفاده "لن يعود كل اللاجئين الي إسرائيل ، غير أنه لكل فلسطينى الحق المعنوى فى العودة الى منزله ، وأن إسرائيل تعترف بهذا الحق ". وتتحمل اسرائيل على هذا النحو مسئولية قضية اللاجئين ، ومع هذا فإن تنفيذ حق العودة يعد قضية أخرى . وكما يبدو فإنه من الممكن فى هذا الاطار أن يعود عدد محدود من اللاجئين الى دياره.

كما جاء بالتقرير " لن يعود اللاجئون الى اسرائيل ، غير أنه سيتم السماح لهم بالعودة الى الدولة الفلسطينية ، وستكون مقدرة الدولة الفلسطينية علي استيعابهم بمثابة المحك الرئيسى الذى سيتحكم فى تحديد عدد من سيعودوا الى ديارهم فى إطار التسوية النهائية. ويستطيع اللاجئون الراغبون فى البقاء فى البلدان العربية الإقامة هناك فى حالة موافقة تلك البلدان على بقائهم ، وسيحصل من لن يعودوا على تعويض شخصى . وسيتم تسديد تعويض جماعى الى الدولة الفلسطينية التى ستقوم بالتالى باستغلاله لاستيعاب العائدين . ومن الوارد أن يسهم المجتمع الدولى فى تسديد قيمة التعويضات الشخصية والجماعية . وكما يبدو فإن بقاء اللاجئين فى البلدان العربية سيستلزم كما يبدو عقد مفاوضات مستقلة مع هذه البلدان وتقديم تبرعات لها من كافة أنحاء العالم . وحتى يتم ضمان جدية هذا الاتفاق فستتم إزالة المخيمات ، وحل وكالة الأمم المتحدة المختصة بشؤون اللاجئين" .

اما رؤية اسرائيل للحل فإنها تتطرق الى أربعة موضوعات هى : تحديد مدى مسئولية كل طرف عن أحداث ١٩٤٨، والتوصل الى اتفاق بشأن عدد الفلسطينيين الذين سيتم السماح لهم بالدخول ، والتعويض المالى ، وتوحيد العائلات . ويتمثل الموقف الاسرائيلى فى التسليم بأن إسرائيل تتحمل قدرا ما من المسئولية لما حدث فى عام ١٩٤٨، غير أنها لا تتحمل أية مسئولية اخلاقية .

وجاء فى الجزء الخاص بإسرائيل فى التقرير:" تعترف اسرائيل بأن المسيرة التاريخية التى وصلت الى ذروتها فى عام ١٩٤٨ أسفرت عن وجود اللاجئين ، وعن التسبب فى معاناة الشعب الفلسطينى ، وتتقاسم كل الأطراف والى حد ما مسئولية معاناة الفلسطينيين . ويتمثل الهدف الرئيسى لمسيرة السلام العربية الاسرائيلية فى تعاون كل الأطراف فى القضاء على هذه المشكلة" .

كما جاء بالتقرير " وتعترف اسرائيل بحق الفلسطينيين فى استقبال اللاجئين بما يتماشى مع قدرتهم على استيعابهم ، وسيتم على ضوء هذا الأمر تحديد الحدود ، وستتنازل اسرائيل فى المقابل عن المطالبة بالاشراف على دخول اللاجئين للدولة الفلسطينية" .

ومع هذا فإذا انتهك الفلسطينيون الحدود من خلال إدخال اعداد من اللاجئين تفوق قدرتهم على الاستيعاب فإنه يحق لاسرائيل وقف المساعدة الجماعية التى ستقدمها للدولة الفلسطينية وللدول العربية ، وكما يبدو فإن هذه المساعدة ستكون محصلة التبرعات اليهودية والدولية .

وترى اسرائيل أن موضوع التعويض سيكون موضوعا متبادلا إذ أن الدول العربية ستسدد لها تعويضا عن ممتلكات اليهود الذين طردوا منها عقب عام ١٩٤٨ . ويتمثل الموقف الاسرائيلى فى أن تسديد التعويضات الشخصية يستلزم التعرف على قيمة كل الممتلكات الاسرائيلية والفلسطينية ، الأمر الذى سيستغرق زمنا طويلا .

وعلاوة على هذا فإن إثارة التعويضات الشخصية سيثير إمكانية مطالبة عرب اسرائيل بالحصول على تعويض أيضا الأمر الذى ستحاول إسرائيل تجنبه .

واذا كانت اسرائيل تصر على تنازل الفلسطينيين عن حق العودة فإنها تعرب فى ذات الحين عن استعدادها لاستيعاب عشرات الآلاف من اللاجئين فى إطار الخطة الرامية الى توحيد بعض العائلات الفلسطينية . وقد رأت كافة الجهات التى شاركت فى هذه المحادثات أن حل قضية اللاجئين يعد أمرا ضروريا لانجاح المفاوضات ، وفى المقابل يدرك الفلسطينيون أن منح حق العودة لمعظم اللاجئين لا يعد أمرا واقعيا ، ومن ثم فستظل أعداد كبيرة منهم فى البلدان العربية .

وتعد المساحة التى ستقام عليها الدولة الفلسطينية إحدى نقاط الخلاف، خاصة أن الفلسطينيين يزعمون أنه كلما اتسعت مساحة دولتهم فإنهم سيتمكنون من استيعاب اعداد أكبر من اللاجئين ، ذلك الزعم الذى يرفضه الطرف الاسرائيلى الذى يرى أن هذا الموضوع من اختصاص المسئولين عن مفاوضات التسوية النهائية، وليس من اختصاص الأكاديميين .

من الذى يستورد الانتفاضة؟

معاريف
٦ / ١٠ / ١٩٩٨
بقلم : رافى مان

لقد اشتعلت النيران فى أم الفحم قبل عدة أيام بصورة مفاجئة ، وتحولت خيمة الاحتجاج الهادئة فى لحظة الى بؤرة لأعمال العنف وإحداث الشغب . وبدون أى إنذار مبكر وجدت إسرائيل نفسها أمام بؤرة من المواجهات العنيفة فى قلب الدولة وفى محور حركة مركزي . ولا يجب أن أكون خبيرا فى شئون القطاع العربى حتى أفهم أن السيطرة على الأراضي تعتبر مسألة حساسة للغاية وأنه يجب التصرف حيالها بحكمة وبحذر. إن المشاهد للمناظر الصعبة كان من الممكن ألا تكون مثيرة الى هذه الدرجة لولا أن مراسل معاريف قد كشف قبل ذلك بأيام معدودة التعليمات الخاصة بالتعامل مع المستوطنين فى المناطق فى حالة انتهاك القانون ، وهى التعليمات التى بلورها المستشار القانونى للحكومة إلياكيم روبينشتين . وكانت التعليمات تتضمن إشراك جهاز "الشين بيت" فى التحقيقات ، ولكن ظهرت بين السطور بنود تسمح بتوفير معاملة خاصة للمستوطنين ، وهم الاسرائيليون الذين يعيشون عبر الخط الاخضر، حتى عندما يشاركون فى أعمال الشغب . ويوصي المستشار القانونى للحكومة على سبيل المثال بأن يتم تقييد أيدى المعتقلين اليهود ليس بقيود بلاستيكية من النوع الذى يستخدم مرة واحدة ولكن بقيود معدنية حقيقية ، حيث أن القيود البلاستيكية والتى يمكن لرجل الشرطة أن يقوم بتضييقها الى اقصى درجة ممكنة مناسبة لمثيرى الشغب من الفلسطينيين .

والقيود تعتبر فقط مثالا لاسلوب التمييز الواضح لمنتهكى القانون من اليهود والعرب فى المناطق . وهناك كثير من البنود التى توضح أن عقاب الفلسطينى الذى يقوم بقلب كشك مملوك لأحد اليهود ليس كعقاب اليهودى الذى يلقى ببضاعة الفلسطينى فى السوق على الارض بشكل أكثر عنفا . وينص أحد البنود فى تعليمات روبينشتين أنه لا يجب استخدام الطلقات المطاطية (الوسيلة التى تستخدم ضد الفلسطينيين) من أجل مواجهة منتهكى النظام من الاسرائيليين . لقد نص على ذلك بوضوح في التعليمات التى وزعت منذ أسابيع معدودة بين أجهزة الأمن فى المناطق . ويمكن أن نقبل ذلك فى المناطق ، ولكن داخل دولة اسرائيل ؟ ففى الطريق المؤدى من حديرا الي عفولا لم يتردد رجال الشرطة فى رفع بنادقهم وإطلاق الطلقات المطاطية مباشرة نحو أجساد مثيرى الشغب من مواطني اسرائيل . وتدعى الشرطة أن مثل هذه الخطوة تتخذ عندما يبدأ المشاغبون فى القاء الزجاجات الحارقة والتى تشكل خطرا على الحياة ، ولكن كل إجراءات الهيئات القانونية في هذه القضية يجب أن يعاد النظر فيها .

وتجدر الاشارة الى أن اللغة الغاضبة التى تحدث بها قائد شرطة القطاع الشمالي اللواء اليك رون والتأييد الذى منحه الوزير كهلانى لرجال الشرطة لا يساعدان على إزالة الشكوك وإبعادها ، لانه لو كانت هناك جماهير يهودية على الجانب الآخر لما سارعت الشرطة بالضغط على الزناد . أو لم يكن هذا هو الوزير كهلانى الذى طلب من شرطة القدس التصرف برباطة جأش بدرجة أدهشت قادة الشرطة فى المنطقة فى التعامل مع أعمال الشغب التى قام بها الحريديون فى شارع بر إيلان والتى شكلت خطرا على حياة الناس حيث ألقوا الحجارة وأغلقوا الطريق بعربات القمامة ؟

إن الخط الأخضر الذى فشل زعماء الليكود فى تحقيق نبوءتهم وإزالته كلية يتلاشى بين الحين والآخر أمام أعيننا وخاصة فى مثل هذه الأحداث الصعبة . وردا على السؤال القائل : هل الشباب الغاضب فى أم الفحم سوف ينقل الانتفاضة الى داخل دولة إسرائيل ، أم أن الهيئات القانونية فى إسرائيل هى التى تستورد أساليب قمع أعمال الشغب من هناك الى هنا ؟ ليس هناك رد قاطع بعد الأحداث المؤسفة التي وقعت فى وادى عارا.

متأخر جدا وقليل جداً

هآرتس ٩ / ١٠ / ١٩٩٨
بقلم : زئيف شيف

لا يعتبر الانسحاب الثانى هاما ، أو لم يعد هاما مثلما يحاولون تصويره . فقد نقص زمنها من عدة نواح ، وأسباب ذلك مختلفة. تماما مثل الانسحاب الاول الذى لم يتم تنفيذه حتى اليوم ، فمازال التسويف يقوض من إتفاق أوسلو . أى خطوة فى تنفيذ الاتفاق مصحوبة بمرارة شديدة الشكوك تزداد عمقا ، وعدم الثقة يتزايد والاتهامات المتبادلة تتزايد . وحتى لو أصبح هناك إتفاق حول تفاصيل الانسحاب الثانى ، لا يوجد فى المعسكرين الاسرائيلى والفلسطينى شعور بأن الانسحاب هو خطوة إيجابية على طريق صنع السلام والتقدم فى إتجاه تسوية موسعة أكثر ، من أجل المصالحة والسلام الحقيقى .

تصدر أصوات من حكومة اسرائيل واليمين تقول إن هدف الفلسطينيين هو الأخذ أكثر وأكثر من إسرائيل وأن هدفهم النهائى ليس السلام بل استمرار النزاع . تقول هذه

الاصوات إنهم يتجاهلون الآن أعمال الارهاب وغدا سننزلق للحرب . المدهش هو أنه لو كان هذا هو تخمينهم فى أحزاب الائتلاف فلماذا نفذوا إتفاق الخليل ، ولماذا يقدمون على تنفيذ انسحاب مقداره ١٣٪ وماذا سيفعلون فيما بعد؟

على الجانب الآخر يقول الفلسطينيون إن الهدف الحقيقى لحكومة نتنياهو هو القضاء على إتفاق أوسلو ، ربما يظل الاطار الشكلى قائما ، ولكن روح الاتفاق ستخترق ولن يتبقى منها ما يتفاوضون بشأنه . لا توجد فرص بأن توافق اسرائيل على قيام دولة فلسطينية ، وأن المساحة المتبقية لمثل هذا الاجراء تتقلص . إن ما تعطيه اسرائيل مرتبط بالمساس بكرامة الفلسطينيين وزعمائهم .

يطالب الاسرائيليون بالتبادلية ، ولكنها ليست تبادلية حقيقية وإنما تنصب فقط على الأمور التى تناسبهم . فالاحتلال الاسرائيلى مستمر فعلا فى أغلب المناطق، مصحوبا بحصار اقتصادى قوى . لقد خلق التسويف فى تنفيذ الاتفاقيات فراغا سياسيا. نظرا لاقتراب نهاية الفترة الانتقالية لاتفاقيات أوسلو - القاهرة ، يجب ملء هذا الفراغ . لقد قام ياسر عرفات بمبادرة ، حيث أعلن أنه مع انتهاء الفترة الانتقالية سيعلن عن قيام دولة فلسطينية لقد أصبح هذا هو الموضوع الأساسي الآن ، وليس مرحلة الانسحاب الثانية . لهذا يجب أن نطلق على مثل هذه الخطوة أنها متأخرة جدا وقليلة جدا .

وليست القضية الأساسية ما اذا كانت المساحة التى ستنسحب منها اسرائيل فى صحراء يهودا مماثلة للمحميات الطبيعية فى جنوب أفريقيا ، أو كيف سيتم تقسيم المسئولية الأمنية فى المنطقة التى تعتبر جزءا من مشروع ألون . القضية الأساسية هى : ما هى الظروف التى ستقوم فيها دولة فلسطينية ، وكيف ستصبح حدودها وأين ستكون عاصمتها . هل ستقوم الدولة الفلسطينية من خلال إعلان من جانب واحد ، ومن خلال مواجهات ومصادمات دموية ، أم باتفاق متبادل ، من جانب إسرائيل ايضا ، وباعتراف دولى جارف . وبالطبع ما هو الثمن الذى سيدفعه الفلسطينيون مقابل هذه الموافقة ؟ من الخطأ الاعتقاد ، بأن موافقة عرفات على صياغة خطابه فى الامم المتحدة باعتدال نسبى وامتناعه عن الالتزام الصريح بإعلان دولة فلسطينية فى الرابع من مايو ١٩٩٩ هى نهاية المطاف . يجب أن نرى فى هذا مجرد تأجيل ، وليس إلغاء الموضوع . نشك كثيرا فى أن يستطيع عرفات التنازل فى هذا الموضوع الذى سيتم طرحه إن آجلا أو عاجلا .

يمكن فقط لإجراء كبير أن يعرقل الاعلان عن دولة فلسطينية . مثلا، اتفاق الاطراف الآن حول حجم الانسحاب الثالث ، أو إعلان جديد للمبادئ ، تكون الولايات المتحدة شريكا فيه ، ويضم الموافقة على التفاوض مستقبلا حول الدولة الفلسطينية وحقوقها والتزاماتها .

لو تمت هذه الخطوة قبل عام أو أكثر ، لحصلت اسرائيل على مقابل مناسب . مما لاشك فيه أن الفلسطينيين كانوا مستعدين آنذاك لأن يدفعوا أكثر مقابل ما يعتقد كثيرون منهم اليوم بأنهم سيحصلون عليه فى جميع الاحوال . دائما تكون هناك أهمية عظيمة للتوقيت فى مثل هذه الأحوال. تختبر حكمة الزعماء بالنظرة الثاقبة للمستقبل ، واختيار البديل المناسب والتوقيت وقدرتهم على قيادة الشعب .

هناك من يعتقدون - حتى بين الامريكيين - أن بنيامين نتنياهو قد يستطيع أن يعيد النظر فى الموضوع مع إجراء تغييرات ائتلافية فى حكومته. ليس من شك فى أن هناك موضعا لهذا التفاؤل . هناك فرصة كبيرة فى أن تنزلق اسرائيل وراء الاحداث التى تؤدى فى النهاية الى قيام دولة فلسطينية ولن يصبح هناك سلام .

ما الذى سيبحثونه ؟

هآرتس
١١ / ١٠ / ١٩٩٨
بقلم : ديفيد مكوفسكى

بعدما أقلعت طائرة وزيرة الخارجية مادلين أولبرايت من مطار بن جوريون وجد رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو وقتا ليلتقى مع أعضاء الكنيست لحزب المفدال . وقد التقى أمس الأول مع الحاخام افراهام شابيرا ، والزعماء الروحيين للحركة . وهذه اللقاءات لم تتحدد مصادفة . فلو توصل هو وعرفات الى اتفاق حول الانسحاب الثانى خلال اللقاء الذى سيتم هذا الاسبوع فى واى بلانتيشن بل ونفذوا ما تم الاتفاق عليه، فقد تصبح النتيجة شديدة الصعوبة لكليهما. بالنسبة لنتنياهو . فالموافقة على أن يسيطر الفلسطينيون جزئيا أو كلياً على ٤٠٪من الضفة سوف تؤدى إلى أزمة بينه وبين بعض ناخبيه فى كتلة اليمين ، منهم الكثير من المستوطنين بدون وجود علاقة مباشرة بمسألة هل ستسقط حكومته أم لا ؟ بالنسبة لرئيس السلطة الفلسطينية - ياسر عرفات - لو وافق على الشروط الأمنية المتعنتة التى تضعها اسرائيل كشرط لأى صفقة حول الانسحاب من المناطق، فإن ذلك الأمر سوف يتسبب فى أزمة بينه وبين حركة حماس .

ستنصب جهود القمة على الأحجار الاساسية للنزاع : أى الارض والأمن . ولكن الى جانب قضية الـ ١٣٪ الشهيرة هناك مسألة واحدة تتعلق بالأرض لم تحظ بعد بالاهتمام العام - إنها مسألة نقل مناطق الى السيطرة الفلسطينية المطلقة . لقد وافقت إسرائيل مبدئيا على المبادرة الأمريكية

فيما يتعلق بحجم هذه المناطق - ٢ , ١٥٪ - ولكن لم يتفق نتنياهو وجيش الدفاع بعد على هذه المناطق . من المعتقد أنها مناطق تقع شمال رام الله في اتجاه جنين وكذلك في منطقة الخليل.
أغلب المناطق التي سيتم نقلها الى السلطة الفلسطينية في إطار الانسحاب الثاني ، ستكون مناطق كانت تحت السيطرة الاسرائيلية الكاملة (المناطق (ج) والتي تمثل حاليا ٧٣٪ من الضفة) الى مناطق ذات سيطرة أمنية اسرائيلية وسيطرة مدينة فلسطينية (المناطق (ب) ، والتي تمثل حاليا ٢٤٪ من اراضي الضفة الغربية). للفلسطينيين حاليا السيطرة الكاملة فقط على المناطق الحضرية في الضفة الغربية (مناطق (أ) ، والتي تشكل ٣٪ من اراضي الضفة) . وفقا للمبادرة الامريكية ، بعد تنفيذ الانسحاب الثاني ، سيزداد حجم المناطق التي ستكون تحت السيطرة الفلسطينية الكاملة بمقدار ستة أضعاف ، أي من ٣٪ الى ٢ , ١٨٪ بينما سيتراجع حجم المناطق التي تحت السيطرة الجزئية من ٢٤٪ الى ٨ , ٢١٪ .واختلافا عن المناطق (ب) ، فإن المناطق (أ) محظور على جيش الدفاع دخولها ، وهي تعتبر إحدى الاسباب الرئيسية التي من أجلها يسعى عرفات الى إنجاح القمة . طبقا للمبادرة ستقوم اسرائيل بتحويل ٢ , ١٤٪ من مناطق (ب) الى مناطق (أ) ، و١٪ من مناطق (ج) الى مناطق (أ) . لسخرية القدر تكلم نتنياهو كثيرا عن الاخطار الأمنية الكامنة في تحويل حوالي ١٣٪ الى مناطق (ب) ، والتي ستكون فيها السيطرة الأمنية لاسرائيل ، ولكنه لم يقل شيئا عن تحويل ٢ , ١٥٪ الي مناطق (أ) التي لن يكون فيها لاسرائيل أي نوع من السيطرة.
بسبب موافقة اسرائيل ، لن يتم بحث هذا الموضوع يوم الخميس في قمة واي بلانتيشن، وسيحاول الأطراف التوصل الى تفاهم حول الخلافات الأخرى . وفيما يلي دليل الحائرين الدبلوماسي حول القضايا التي لم تحل بعد :

*** الانسحاب الثالث** : تريد إسرائيل ألا يكون هذا الانسحاب منفصلا ، بل يمثل جزءا آخر من الصفقة النهائية للتسوية الدائمة ، ولهذا تريد أن تبحثه في اطار لجنة الحدود الخاصة بالتسوية النهائية . أما الفلسطينيون فإنهم يفضلون من جانبهم الاعتماد على خطاب وارين كريستوفر ، المصحوب بإيضاح أمريكي ، ودعا الى تنفيذ انسحاب ثالث حتى نهاية اغسطس ١٩٩٨ . وقد تنازلت اسرائيل بالفعل عن مطلبها بأن تؤكد الولايات المتحدة مسبقا أن حجم الانسحاب سيتراوح بين ١ - ٢ ٪ فقط . وهذا لم يمنع نتنياهو من أن يقول للمفدال يوم الخميس أنه من حق إسرائيل - طبقا لخطاب كريستوفر - أن تحدد بنفسها حجم الانسحاب الثالث وأنها لن تنسحب من أكثر من ٢٪ . وعلى سبيل الذكر فقد قال شيئا مماثلا بالنسبة للانسحاب الثاني ، والواقع كما هو معروف كان شيئا آخر . الآن يوافق نتنياهو بالفعل على بحث حجم الانسحاب الثالث في اللجنة مع الفلسطينيين .

*** المذكرة الأمنية** : تم وضع المذكرة الأمنية الأصلية ، والتي صيغت من خلال وساطة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في ديسمبر ١٩٩٧ ، إلا أن نتنياهو وصفها بأنها غير كافية ، وذلك للمساواة التي وردت في الوثيقة بين الضغط الذي سيمارس علي حركة حماس والضغط الذي سيمارس علي المتطرفين اليهود .
في ربيع نفس العام طلب كل من مستشار رئيس الوزراء لشئون الارهاب ، مائير دجان وداني نافيه وإسحاق مولخو إضافة تفاصيل للمذكرة الأصلية . كذلك الملاحظة الخاصة بالبروتوكول - والتي تمثل ملحقا لاتفاق الخليل - تم التوسع فيها بتفاصيل كثيرة هكذا ، تحول بند عن جمع الاسلحة الى نداء اسرائيلي لاضافة بنود لقانون السلاح الفلسطيني ، والذي يحدد من المسموح له بحمل السلاح في مناطق السلطة . كذلك طلبت اسرائيل أن تشرف السلطة الفلسطينية على المساجد ، وتسعى ألا تمثل هذه المساجد قواعد لعمليات حماس ، كما تسعى الى إغلاق صناديق الزكاة التابعة لحماس والتي تمول الانتحاريين الفلسطينيين ، وأن تتم محاكمة الفلسطينيين الذين قتلوا إسرائيليين بتهمة القتل أمام السلطة الفلسطينية ، وليس بتهمة خرق النظام العام .
قام المنسق الخاص لمحادثات السلام في الشرق الأوسط دينس روس بعرض الوثيقة التي تقع في حوالي عشر صفحات علي وفد المفاوضات الفلسطيني في واشنطن في بداية شهر يوليو . أثناء زيارة روس للمنطقة الشهر الماضي اشتكى الفلسطينيون من أن الوثيقة ليس إلا إملاء اسرائيلي - أمريكي . وقد ظل لمدة اسبوع يبرهن لهم أن الوثيقة مفتوحة أمام التغيرات ، وآنذاك فقط يمكن البدء في المباحثات الحقيقية . وقد حضر الى اسرائيل في الاسبوع الماضي جورج تنت رئيس وكالة المخابرات الامريكية لبحث التفاصيل مع ممثلي إسرائيل والفلسطينيين بهدف توسيع إطار المذكرة الأمنية الأصلية . ولكن وفقا لمصادر سياسية ، لم يتم إحراز تقدم كبير .
يخشى الفلسطينيون من أنهم لو وافقوا علي (حد مرتفع) في شئون الأمن ، مثلما تطلب اسرائيل ، فإن نتنياهو سوف يستغل ذلك في مرحلة التطبيق التي سوف تستمر ١٢ أسبوعا . وهكذا فإن أي خرق يمكن أن يكون سببا في حد ذاته لعدم تنفيذ بقية الانسحاب بنسبة ١٣٪ ، والذي سيتم على ثلاث مراحل في هذه الفترة .

*** المستوطنات** : في خطاب ألقته في القدس في سبتمبر ١٩٩٧ دعت أولبرايت إسرائيل للموافقة علي (توقف مؤقت) عن عمليات إقامة وتوسيع المستوطنات لأن الاجراءات الأحادية الجانب تفسد عملية السلام. وقال وزير التخطيط الفلسطيني نبيل شعث أنه لا يمكن تنفيذ الاتفاق بدون تجميد المستوطنات . في المقابل ، أكد نتنياهو أن

إتفاق أوسلو لا يحظر أي نشاط يتعلق بالمستوطنات . وقال أيضا للولايات المتحدة أنه لا يستطيع الموافقة علي تجميد المستوطنات بسبب الضغوط الائتلافية .
كحل وسط اقترحت الولايات المتحدة أن تتوقف اسرائيل عن مصادرة أراضي فلسطينية ، وهو ما سيؤدى الى الإبطاء ، إن لم يتم تجميد إتساع المستوطنات . تتم الموافقة على مصادرة الاراضي فقط من أجل تمهيد وشق طرق دائرية . وقال مسئول كبير بإدارة كلينتون (فيما يتعلق بالنشاط الخاص بالمستوطنات أنتم تعلمون أن هذا لا يسهل الأمور . يجب توفير مناخ مختلف بشكل أساسى ، حتى يمكن معالجة قضايا التسوية النهائية . إذا كنتم شركاء فعلا ، فهذا يعنى أن للشريك احتياجات يجب وضعها فى الحسبان .. إن المفاوضات تتناول الاعتراف بأن للشريك احتياجات وحدود ومصالح . ويجب أن تدركوا كل هذا عندما تتناولون احتياجاتكم حتى تكون هناك فرصة ما ، وإمكانية حقيقية لنفعل شيئا ما بشأن قضايا التسوية النهائية ، يجب أن نعمل فى مناخ مختلف) .

*** الميثاق الفلسطيني :** وافق الفلسطينيون على المبادرة الأمريكية التى تدعو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير - والتى تضم ١٨ عضوا - الى التصديق علي خطاب بعث به عرفات الى الرئيس كلينتون فى شهر يناير الماضى . يوضح الخطاب بالتفصيل أى الاجزاء بالضبط من الميثاق الفلسطينى الصادر عام ١٩٦٤ - والذى يدعو الى تدمير إسرائيل - سيتم إلغاؤها (لم يحظ خطاب عرفات هذا باهتمام عام كبير لأنه جاء فى أعقاب قضية مونيكا لوينسكى) والمعروف أن نتنياهو قد ضغط حتى يجتمع المجلس الوطنى الفلسطينى - الذى يضم ٧٠٠ عضو - ويصدق على رسالة عرفات . وكانت هناك علامات على أنه قد يوافق على هذا ويكتفى باجتماع هيئة فلسطينية صغيرة جدا ، ولكن بعد عملية الاغتيال التى وقعت فى الخليل تبعثرت الأوراق - أشك فى أنه باستطاعة نتنياهو النزول من فوق الشجرة بعدما أوضح موقفه فى هذا الشأن بشكل صارخ . قال مسئولون أمريكيون هذا الاسبوع إنهم لا ينوون التدخل .

*** الممر الأمن :** تعرقلت المحادثات فى هذا الشأن أساسا بسبب قضية الأمن . يبدو أن اسرائيل على استعداد لأن ينتقل الفلسطينيون بين الضفة والقطاع بأتوبيسات تحمل ترخيصا معينا . فهى تعارض التحرك والانتقال بالسيارات لأنها تتخوف من حدوث انحرافات الى داخل اسرائيل . فى تلك الأثناء ترفض إسرائيل المطلب الفلسطينى بأن كل من سينتقل بين المنطقتين سيكون محصنا أمام القانون الاسرائيلى .
فى المقابل، مسئولون أمريكيون فى أنهم سينجحون فى أن يزيلوا قبل القمة ١٨ مشكلة فنية تحول دون فتح المطار الفلسطينى فى حى الدهينة بقطاع غزة . ومتفق بين الأطراف على أن يكون لاسرائيل مكتب خاص بها لفحص المسافرين والشحنات ، ولكن ظهرت خلافات بشأن المسئولية فى حالة ما اذا رفض المسافرون التفتيش ولجأوا الى الجانب الفلسطينى . بالنسبة لقضية الميناء البحرى ، فإن الاطراف المعنية لا تعتقد أنها سوف تجد حلا فى أثناء القمة .

*** الافراج عن المعتقلين :** يهم الفلسطينيون أن تقوم اسرائيل بالافراج عن المعتقلين . وقد أبدت اسرائيل استعدادا للافراج عن الذين لم يقتلوا يهودا ، أو كانوا متورطين فى أعمال قتل. فى الوقت ذاته تريد اسرائيل أن تضمن عدم الافراج عن الفلسطينيين الذين قتلوا إسرائيليين ومسجونين بالسجون الفلسطينيين ، أو عدم تجنيدهم بقوى الأمن الفلسطينية ، منذ بضعة أشهر قبل نتنياهو الموقف الامريكى والفلسطينى، والذى يقضى بعدم تسليم المطلوبين الفلسطينيين الذين فى السجون الفلسطينية بأى حال من الاحوال .

*** التسوية النهائية :** أعلن نتنياهو الاسبوع الماضى أنه يريد أن تبدأ محادثات التسوية النهائية فى واى بلانتيشن ، بافتراض أن يتحقق اتفاق حول الانسحاب الثانى . يجب على الأطراف أن تبحث الامور الفنية ، وبخاصة مسألة ما اذا كانت المحادثات النهائية ستدار بواسطة لجان منفصلة أم عن طريق مفاوض كبير من كل جانب يمكن أن يقوم بالصفقات الكبيرة . تقول جهات سياسية إنهم ينتظرون إقامة لجان منفصلة لمختلف القضايا: للقدس والمستوطنات واللاجئين وغيرها . بعدما يعلم الطرفان فقط بالضبط ما الذى يتفقان عليه وماهي نقاط الخلاف ، يستطيع كبار المسئولين أداء الصفقات الكبيرة . لقد جاء تعيين إيريل شارون وزير الخارجية - من أجل إرضاء اليمين عشية القمة - فى هذا التوقيت حتي يرأس فريق مفاوضات حول التسوية النهائية .
رغم هذا ، فقد تتوقف محادثات التسوية النهائية بسرعة لو أعلن الفلسطينيون عن إقامة دولة فى الرابع من مايو . القضية الكبرى هى هل سيتحقق فى القمة تفاهم ما يؤجل الاعلان من جانب واحد عن إقامة الدولة الفلسطينية . لا يؤمن مسئولو الادارة الامريكية أنه من الممكن التوصل الى اتفاق فى هذا الموضوع . حسب قولهم ، هذا هدف (طموح جدا) . ولكن اذا لم يتحقق هذا الاتفاق ، سيكون نتنياهو عرضة لانتقاد داخلى عنيف . ويخشى الفلسطينيون من جانبهم التعهد بعدم الاعلان عن دولة فلسطينية حتى قبل أن تبدأ مرحلة التنفيذ ذات الاثنى عشر اسبوعا.
إن روح الأشباح للرابع من مايو ، وسفك الدماء الذى قد يتلوها ، هما بالضبط السبب فى عقد قمة واشنطن . وقد لخص مسئول كبير بإدارة كلينتون ذلك بقوله "يجب أن ندخل مرحلة التسوية النهائية، لأنه من أجل الحقيقة ، توجد كارثة تنتظرنا فى الخارج".

ردود فعل على تعين إيريل شارون وزيرا

هآرتس ١١ / ١٠ / ١٩٩٨
بقلم : يوئيل ماركوس

*** عودة ناحوم - تاقوم :**
إيريل شارون هو ناحوم - تاقوم - تلك الدمية التى كلما أرقدوها على الارض انتصبت مرة أخرى - الدبلوماسية الاسرائيلية . هل نقول سبع مرات ؟ لا بل سبعين مرة نعتقد أنه قد أنهى حياته السياسية ثم يعود مرة أخرى وهو يركل من حوله متجها الى قلب المسرح . منذ عامين ونيف تقريبا أراد بيبى أن يتركه خارج الحكومة ، ثم ضمه اليها بعدما ضغط دافيد ليفى من أجله ، والآن لا يستطيع بيبى المكابرة أو الاستخفاف عندما اكتشف فجأة أن شارون هو (الرجل المبدع المناسب جدا فى دولة إسرائيل لمنصب وزير الخارجية) .
أما الذى يضحك فى داخله ، ومن يضحك أخيرا يضحك كثيرا ، فهو ايريل شارون بالطبع . بعد عامين من التنكيل به ، وإبعاده عن دائرة اتخاذ القرار ، وصل بيبى الى النقطة التى أصبح فيها فى حاجة الى شارون ، رغم الاحتقار والازدراء اللذين أظهرهما شارون علنا وهمسا ضد كفاءة قيادة نتنياهو

إن تعيين شارون - هو مثل أى شئ يفعله نتنياهو - بمثابة اختراع متعدد الاغراض يهدف الى بقائه . اولا ، فهو يلاعب اليمين من اليمين ، قبل ان يثوروا ضده ويسقطوا حكومته . ومن هو القط الذى سيحافظ على اللبن ، إن لم يكن الرجل الذى خلق وضعا ثابتا فى الضفة الغربية بعد انجازاته المتلاحقة فى مجال المستوطنات . ثانيا ، يقوم بتحييده كزعيم محتمل لجبهة أرض اسرائيل الكبرى . ثالثا ، فقد نصب الرجل الذى يعارض الانسحاب للغاية ، والذى قال أن عرفات قاتل ولن يصافحه أبدا ، ولينفذ أصعب جزء فى موضوع الانسحاب، أى الانسحاب بنسبة ١٣٪ الذى يعترض عليه بشدة. ولقد لعب شارون دورا مماثلا من أجل بيجين فى سيناء . رابعا ، وهذا هو الجزء الداعر من الاختراع ، سيجعل من شارون الهدف الذى ستصوب اليه كل الرماح ، بدلا من بيبى . خامسا ، يقزم فى هذه الفرصة من حجم الرجل الذى يهدد وجوده وزعامته فى الليكود ، أى اسحاق موردخاى .
يمكن ان نتجادل حول شخصية شارون ، ولكن مما لاشك أنه الوزير والجندي والسياسى الأكثر حنكة فى هذه الحكومة وهو الذى يلتهم الوزراء . ولكن عامة ، تعتبر هذه الخطوة اعترافا بضعف بيبى كزعيم لا يعرف ما الذى يريده وكيف يخرج سالما من التسوية النهائية .
لمن يتذكر فزع لبنان ، ولمن يتذكره كأحد قيود السلام وكمن نظر الى الاردن وليس الي الضفة الغربية على إنها هى الدولة الفلسطينية ، ومن رأى حماسه الملتهب للمستوطنات بالضفة، سيكون من الصعب هضمه.
إذا كان العالم ينظر الى بيبى الى أنه كاذب فإن شارون ليس حاصلا على جائزة نوبل والافتراض بأن شارون صاحب السبعين عاما ، يريد أن يكفر عن لجنة كاهان ، ويريد أن يذكره التاريخ كمن جلب السلام ، هو افتراض نظرى فى غير مكانه

يجب أن نتذكر أن الفائز من وراء هذا التعيين يجب أن يكون بيبى وأن الناحوم - تاقوم هو فى النهاية مجرد دمية. لحظة أن تنتصب أكثر مما يجب ، فإن بيبى يحتفظ بنفس الخيار الذى لدى كل طفل وهو أن يعيد الدمية الى الدرج .

(*) تعيين شارون مفتاح بقاء نتنياهو ، بقلم يوروسى ورتر
تشبه العلاقات الملتوية والمليئة بالمطبات بين ايريل شارون وبنيامين نتنياهو تلك العلاقات التى ربطت بين شارون وبين رؤساء حكومات سابقين خدم معهم ، مثل مناحم بيجين واسحاق شامير وشمعون بيريز .
لقد عانى كل واحد منهم اكثر من مرة من لسانه السليط وانتقاده اللاذع الجارح ، والذى كان يصدر دائما فى أحرج التوقيتات. لقد تلقى شامير وبيجين مساعدة سياسية هامة منه فى أحرج الاوقات بالنسبة لهما ، وكذلك أيضا نتنياهو ، الذى انقذه شارون من انقلاب فى حزبه بعد اغتيال رابين ، ومن مصير مماثل بعد مؤتمر الليكود فى نوفمبر من العام الماضى .
والعنصر المختلف فى علاقة شارون برئيس الوزراء الحالى هو الاستهانة وعدم التقدير الذى يكنه لنتنياهو . فى عدد لا يحصى من الاحاديث الخاصة أجراها شارون فى العامين الأخيرين مع شخصيات من كافة أرجاء الساحة السياسية ، من شمعون بيريز وايهود باراك وحتى دافيد ليفى وإسحاق موردخاى ، أعرب عن مشاعره هذه بكلمات صريحة لا تقبل التأويل . وقد أعرب فى مناسبات مختلفة عن تخوفه على مصير الدولة تحت قيادة نتنياهو بل وحاول مع بيريز اقامة حكومة وحدة وطنية من أجل تحرير الدولة من خطر انفرادية نتنياهو باتخاذ القرار .وقد تكلم شارون كثيرا عن افتقار نتنياهو للخبرة ، وعن انغماسه فى الخداع الاعلامى ، وعدم قدرته على الحسم.
بعد قضية (التسجيل الساخن) قال شارون عن نتنياهو "هناك إناس يضبطون وسراويلهم الى اسفل" .
(*) الوعد : وزارة الدفاع : عشية الانتخابات ، عندما قام شارون بتجنيد حركة حبر والحاخامات لمساعدة نتنياهو وإعادة دافيد ليفى الى الليكود ، وعده نتنياهو بمنصب وزير الدفاع ، مثلما قدم نفس الوعد لكل من اسحاق موردخاى وإيهود أولمرت . بعد الانتخابات حاول أن يبقيه خارج الحكومة لأنه خاف من فاعليته وتذكر ماذا فعل مع من سبقوه .. وقتها

ويفضل وزير الخارجية دافيد ليفي الذى هدد بأزمة ائتلافية ، تم تفصيل منصب خاص لشارون ، عظيم الشأن أسموه وزارة البنية القومية . انضم الى الحكومة وبعد عام من الاستنزاف البطئ والمفيد من جانبه خضع نتنياهو مرة أخرى وضمه الى المطبخ السياسى ، رغم استياء وزير الدفاع موردخاى .

وعد وزارة المالية : وشهدت علاقات الاثنين مد وجزر بين الحين والحين . فقد وعده نتنياهو بمنصب وزير المالية بعد استقالة دان مريدور ، ووافق شارون ، وفى اللحظة الأخيرة أخرجوا يعقوب نئمان من النفتالين وأصبح شارون كالكوب الفارغ ، ورد شارون على نتنياهو بشكل مهين . ذات مرة استدعى اليه للقاء يستمر ساعة إلا أنه أنهاه بعد دقيقة. منذ عام حاول شارون تجنيد أغلبية فى الكنيست لتغيير قانون الانتخابات المباشر ، بحيث يستطيع ٦١ عضوا بالكنيست عزل رئيس الوزراء ، بدلا من ٨٠ عضوا. وسقطت مبادرة شارون ، إلا أن الخطر ظل يرفرف على رأس نتنياهو ، وهو يحسن رصد الأخطاء .

يدرك رئيس الوزراء أن شارون يحتفظ بمفتاح بقائه ، ليس فقط على المدى الحالى ، بل وأيضا على المدى الطويل . فلو أراد شارو إسقاط الحكومة فى أعقاب الانسحاب فسوف تسقط علي الفور . وإذا أراد شارون أن يرتبط بإيهود باراك فى الانتخابات - أو ان يعلن عن (حياده) - فلن يتم انتخاب نتنياهو مرة أخرى .

الأشهر الاخيرة منذ أن اتضح أن رئيس الوزراء قد وافق على انسحاب بمقدار ١٣٪ ، أعرب وزير البنية القومية ، إيريل شارون، عن اعتراضه الشديد على انسحاب بهذا الحجم . أكد شارون فى كل مناسبة ، أن انسحابا مقداره ١٣٪ يمثل خطرا كبيرا على أمن اسرائيل ، وقد صرح شارون لنا منذ اسبوع بقوله (فى مثل هذه الحالة ستسيطر السلطة الفلسطينية علي ٤٢٪ من أراضى الضفة الغربية ، دون الحصول على أى مقابل من جانب ياسر عرفات . إن تنفيذ الالتزامات الفلسطينية هو أهم شئ؛ حتى لو كان بيننا إناس على استعداد لتسليم كل شئ -فيجب ان يهتموا بأن يفي عرفات بكافة التعهدات التى وقع عليها) . وأوضح شارون أن موقفه لم يتغير حتى عشية تعيينه وزيرا للخارجية .

منذ حوالى اربعة أشهر ، فى اجتماع لمكتب الليكود اقترح نتنياهو وقف المفاوضات بين اسرائيل والفلسطينيين والبحث عن طريق بديل للتوصل الى اتفاق . وقد قدم شارون آنذاك بشكل تفصيلى اقتراحه بالقول: "يتم تسليم ٩٪ من المنطقة وربما أقل من ذلك للفلسطينيين ، إضافة الى تقديم حوافز أخرى مثل امتداد اقليمى وطرق ومحاور خاصة بهم . أى انسحاب اكثر من ٩٪ سيمثل ضررا أمنيا خطيرا لاسرائيل".

* شارون يوسع المستوطنات فى جميع مناصبه :

- ولد إيريل شارون عام ١٩٢٨ بكفار ملال.
- ١٩٤٨ : أصيب بشدة عندما كان ضابطا صغيرا فى معركة اللتيرون .
- ١٩٥٣ : استدعى للعودة الى جيش الدفاع وإقامة وحدة الكوماندوا ١٠١.
- ١٩٥٤ : تولى قيادة كتيبة المظلات التى تم توحيدها مع الوحدة ١٠١ .
- ١٩٥٦ : كقائد لواء المظلات فى حرب سيناء، تورط شارون فى معركة غير ضرورية فى ممر متلا ، حيث لقى٣٨ مقاتلا مقتلهم . بعد ذلك تم تجميد ترقيته لسنوات.
- ١٩٦٧ : أعاد رئيس الأركان إسحاق رابين شارون الى طريق الترقيات .
- ١٩٧٠: فى ذروة حرب الاستنزاف تم تعيين شارون قائدا للمنطقة العسكرية الجنوبية ، رغم انتقاده الشديد لنظرية الدفاع التى يتبناها رئيس الاركان حاييم بارليف فى قناة السويس .
- ١٩٧١ : قاد عملية القضاء على الارهاب فى غزة ، من خلال عدة إجراءات شديدة العنف أثارت خلافات كثيرة .
- ١٩٧٣ : بعدما اتضح له أنه لن يصبح رئيسا للاركان ترك شارون الجيش فى ضجة، وبادر بتشكيل الليكود كقائمة موحدة لأحزاب اليمين .
- ١٩٧٣ : بعد تركه للجيش بثلاثة أشهر عاد شارون لخدمة الاحتياط كقائد فرقة فى سيناء فى حرب عيد الغفران ، وقاد عملية عبور القناة التى أحدثت تحولا فى الحرب ، وفى اثناء الحرب نشبت خلافات بين شارون وقادته .
- ١٩٧٧ : خاض الانتخابات من خلال قائمة مستقلة (شلومتسيون) فازت بمقعدين ، وعاد بعد ذلك الي الليكود كوزير للزراعة فى حكومة بيجين الاولى . فى هذا المنصب عمل على توسيع المستوطنات فى المناطق، وهو المشروع الذى رعاه بحماس فى جميع المناصب الحكومية التى تولاها .
- ١٩٨١ : أصبح وزيرا للدفاع فى حكومة بيجين الثانية.
- ١٩٨١ : كان مسئولا عن هدم ياميت .
- ١٩٨٢ : مهندس حرب لبنان الذى قاد "الخطة الكبرى" للتعاون مع المسيحيين ووصول جيش الدفاع الى بيروت . وقد ألقى دوره المريب فى هذه الحرب بظلال على حياته العملية وبذل شارون جهودا كبيرا حتى يثبت مصداقية أعماله .
- ١٩٨٣ : ألقت لجنة كاهان عليه المسئولية غير المباشرة للمذبحة التى وقعت للفلسطينيين فى معسكرات اللاجئين بصبرا وشاتيلا ببيروت . واضطر شارون لأن يستقيل من منصبه كوزير للدفاع .
- ١٩٨٤ : فى حكومة الوحدة الوطنية حصل شارون على منصب وزير الصناعة والتجارة . بعد اندلاع الانتفاضة انتقد بشدة وزير الدفاع رابين ، وبعد ذلك أصبح أحد وزراء (القيود) .
- ١٩٩٠ : بعد سقوط حكومة الوحدة الوطنية أصبح شارون وزيرا للبناء والاسكان فى حكومة شامير ، كما كان مسئولا عن إدارة الأراضى المملوكة للدولة . فى هذا المنصب قاد حركة الاستيطان فى المناطق ، وإقامة مساكن للمهاجرين من دول الكومنولث .
- ١٩٩٦ : حصل على منصب وزير البنية القومية فى حكومة بنيامين نتنياهو ، وهو المنصب الذى حيك مخصصا له بعد أن هدد دافيد ليفى بأنه لن يدخل الحكومة إذا لم يدخلها إيريل شارون .
- ١٩٩٨ : أصبح وزيرا للخارجية .

فينكلشتاين المستوطنين

هآرتس
١١ / ١٠ / ١٩٩٨
بقلم : تسيفى برئيل

لو كانت واى بلانتيشن مستوطنة ، لكان من الممكن توقيع اتفاق فيها بين الفلسطينيين وإسرائيل . ولكن بما أن المستوطنين أرسلوا مجرد مندوب - حتى لو كان رئيس وزراء - يجب أن يعود الى الوطن ويعرض عليهم الاتفاق ، ويتشاور معهم في كل مرحلة والتأكد من أنهم لن يرفعوا عنه الحصانة أو يسلبونه منصبه ، فإن البشرى المحتمل أن تصدر عن تلك القمة ستكون في الأساس الاعلان عن قمة أخرى .
وأفضل برهان على ذلك موجود أساسا فى الشارع . ليست هناك طريقة أخرى لتفسير الهدوء الغريب الذى يلف المستوطنين وقيادتهم، سوى الثقة التى لديهم بأن بنيامين نتنياهو يعرف حدود صلاحياته . اين المظاهرات الصاخبة ؟ أين اللافتات الصارخة؟ أين اللافتات المصنوعة من القماش والتى تصرخ وتقول إن نتنياهو وإسحاق موردخاى خطران على الأمن ؟ أين المسامير الملقاه على الطريق التى تسير فيه سيارة مادلين أولبرايت ؟
لم يحدث شئ من هذا خلال الاسبوع الأخير . لقد استقبل المستوطنون أولبرايت تماما مثلما يستقبلون وزير خارجية لاتفيا . ليس هاما ما الذى تقوله ومدى التفاؤل الصادر عنها . وكذلك اليد التى صافحت عرفات يمكن غسلها فورا . المهم هو أن المستوطنين نجحوا فى أن يسرقوا رئيس وزراء إسرائيل . وكممثل مخلص لهم ، لم ينتظر نتنياهو حتى ترحل أولبرايت من أجل بناء مساكن جديدة فى تل رميدة - مساكن لا يخترقها الرصاص - وفور رحيلها أقام مدينة جديدة فى الضفة الغربية ، مدينة إريئيل ، ووعد بأن تكون لها جامعة معتمدة وتوسيع رقعة البناء ، بل سيمد بها خط قطار كهذا الذى وعد به مدينة أوفاهيم.
يستطيع نتنياهو أن يسافر فى هدوء الى الولايات المتحدة حاملا مثل هذا الملف ، حيث لا يوجد أى خطر يهدد كرسيه .
أهم رجل فى مؤتمر القمة لن يكون حاضرا فيه . سيظل حنان بورات فى المنزل بجوار التليفون حتى يحافظ على الخطوط الحمراء ويلفت نظر نتنياهو الى البند الذى سيجلب له التأييد فى الانتخابات المبكرة وما المسموح به لرئيس الوزراء للتنازل عنه . إن لبورات نظرية سياسية خاصة به ، وتقول إنه يجب على الفلسطينيين الذين ظلوا خارج المناطق (أ) الاكتفاء بحكم ذاتى محدود ، بدون الطموح لاقامة كيان سياسى. وإذا عرفوا مكانهم جيدا ، فإن بورات على استعداد لأن يعقد معهم علاقات صداقة . ولا دهشة فى أن الوزير اسحاق ليفى لم يتعامل حتى مع انسحاب مقداره ١٣٪ كشرط لاسقاط الحكومة ، فحقيبة الشحنات المتفجرة التى زودوا بها نتنياهو تجعل من الانسحاب أخف التنازلات . قبل ان يقوم الفلسطينيون بتسلم المطلوب ، عليهم أن يصيغوا ميثاقا جديدا ، وأن يعلنوا الحرب الشاملة على حماس ، وأن يضعوا إتفاقا أمنيا ، وقتها فقط يمكنهم الحصول على محمية طبيعية . تلك هى أفضل الضمانات لعدم التوصل الى إتفاق. أقصى شئ هو احتمال الحديث عن اتفاق لتنفيذ الاتفاق، أي لا شئ . يعلم نتنياهو ماهى نظرية بورات وليفى ، وهو فقط الذى يعرف كيف يطرحها جيدا ، بدون وحشيتهم المشهودة. إنه بمثابة فينكلشتاين المستوطنين ، معه لا يكونوا فى حاجة الى اعلانات كبيرة عليها صور تلاميذ من المستوطنات أو ملصقات لامعة للسيارات ، بالفعل ليست هناك أهمية بعد ، حتى للجمهور الذى انتخب نتنياهو . حتى لو كان بينه كثيرون يهمهم التوصل الى تسوية مع الفلسطينيين فإنهم فقدوا القدرة على التأثير . لقد سلب منهم المستوطنون المجال السياسى بعدما أصبحوا هم ممثلوه - بدون وجه حق - فهم المؤلفون الجدد لقاموس الصهيونية والأمن والقومية الاسرائيلية ، وهم الذين يحددون الآن أن تل رميدة هو تل موند ، وهو كريات شمونا وهو تل ابيب . لم يتبق لليمين العاقل ولباقى الجماهير - الذى هو ليس الا يسار متطرف - إلا المساومة مع المستوطنين ، وسيكون بنيامين نتنياهو على استعداد لتمثيل أى حل وسط يتم التوصل إليه

٤ سباق التسلح والرادع النووى

إسرائيل وحدها فى الملعب

هآرتس ٢٠ / ٩ / ١٩٩٨
بقلم : أنتونى هـ . كوردسمان

بمفاهيم كثيرة يميل الميزان العسكرى الآن لصالح اسرائيل عن أى وقت مضى . تعيش اسرائيل فى سلام مع اثنتين من جيرانها المهمين : مصر والاردن. إن كم الاسلحة التى لدى ليبيا يزيد قليلا عن حجم ساحة انتظار ، وأغلب هذه الاسلحة مهملة ، وصيانتها واهية وهى تتدهور من أسوأ الى أسوأ . وإيران فقدت نصف قواتها التقليدية فى ذروة معاركها مع العراق . والعراق فقد ٤٠٪ من المخزون العسكرى فى حرب الخليج . إن تهديدات القومية العربية غير موجودة إلا فى الخيال الجامح للمهوسين فقط. لا يستطيع أى شخص مثلا أن يتعامل بجدية مع السعودية على أنها خطر عسكرى تقليدى يهدد إسرائيل .

إن نهاية الحرب الباردة وحرب الخليج والخلافات الداخلية العربية وسوء الادارة الاقتصادية ، رسموا من جديد أغلب الميزان العسكرى . ويعتبر العراق نموذجا ممتازا . فمازال يمثل القوة العسكرية التقليدية الكبيرة فى الخليج ، حيث لديه حوالى ٢٧٠٠ دبابة . ومع هذا ، فقد حرمته العقوبات التى فرضتها عليه الأمم المتحدة من الحصول على أى معدات عسكرية منذ منتصف التسعينات، ولو ظل العراق يستورد أسلحة بنفس المعدل الذى كان يسير عليه قبل حرب الخليج ، لوصلت قيمة المشتروات حتى اليوم الى ٤٥ مليار دولار . وتشير تقديرات استخبارية أمريكية الى أن العراق فى حاجة الى أسلحة قيمتها ٢٥ مليار دولار على الأقل من أجل إنعاش آلة الحرب التى شاخت ، ومن أجل تطبيق دروس حرب الخليج .

وقد حسنت إيران بشكل ملحوظ بعض قواتها التقليدية ، وبخاصة قدرتها على تهديد حركة السفن وناقلات البترول فى الخليج . ولكن بشكل عام ، لدى جيشها معدات غربية حصلت عليها قبل أكثر من عشرين عاما ، ومعدات آسيوية ذات نوعية منخفضة ، خصصت لتوفر لها الحماية فى الأوقات التى لم يكن فى إمكانها الحصول على أسلحة من الغرب أو من الاتحاد السوفيتى سابقا . وطبقا للتقديرات الاستخبارية الامريكية التى سمح بنشرها ، هبطت النفقات العسكرية الايرانية من ذروة مشترواتها بمقدار ١٥ مليار دولار سنويا اثناء الحرب الايرانية العراقية الى حوالى أربعة مليارات سنويا. انخفضت مشتروات الأسلحة الايرانية من ٢,٧ مليار دولار فى منتصف الثمانينات ، الى حوالى ٢٧٠ مليون دولار فى ١٩٩٥ ، إلا أنها ارتفعت فى عام ١٩٩٧ الى ٧٠٠ مليون . هبطت قيمة اتفاقيات استيراد الأسلحة الجديدة لايران من ٢,٧ مليار الى ١,٦ مليار فى السنوات ١٩٩٤ - ١٩٩٧ . ومن أجل تحديث وإعادة تنظيم القوات المسلحة الايرانية حاليا . مطلوب مشتروات أسلحة قيمتها أكثر من ٢٠ مليار دولار .

هناك مشاكل مماثلة تؤثر على تهديدات محتملة ، قريبة لاسرائيل اكثر من ايران . من الصعب القول - مثلا - أن سوريا تمثل خطرا هامشيا . لدى جيشها ٤٦٠٠ دبابة و ٣٠١٠ مدرعات و ١٥٠٠ مجنزرة و ٤٥٠ مدفعا متحركا ، ١٦٣٠ مدافع ثابتة (يتم جرها) و ٤٠٨ قاذفات صواريخ متعدد الفوهات . هذا مقارنة بإسرائيل التى لديها ٤٣٠٠ دبابة و ٦٤٠٠ مدرعة ومجنزرة و ١١٥٠ مدفعا متحركا و ٤٠٠ مدفع ثابت (يتم جره) و ١٦٠ قاذف صواريخ متعدد الفوهات . ولدى سوريا ٥٨٩ طائرة مقاتلة مقابل ٤٤٨ لاسرائيل ، و٧٢ هليوكبتر مقاتلة مقابل ١٣٠ لاسرائيل . ومن أجل تأكيد مغزى هذه المعلومات ، فى عام ١٩٧٣ كان لدى سوريا حوالى ١٢٠٠ دبابة وارتفع الرقم الى ٢٩٠٠ عام ١٩٨٢ . يضاف الى ذلك ، أن سوريا تواصل

سياسة التحسين التدريجي لقواتها، وهى تتفاوض حاليا من أجل شراء أسلحة كثيرة متطورة من روسيا .
مع هذا جدير بالذكر ، أنه طبقا لبعض التقديرات ، فإن ٢٥٪ من قوة الدبابات السورية فى حالة ركود أو فى المخازن . الاكثر من هذا ، انخفضت واردات سوريا من الاسلحة بشكل كبير منذ نهاية الحرب الباردة. ويتضح من معلومات استخبارية أمريكية ، أن الاستيراد انخفض من ذروة مقدارها ٢,٦ مليار دولار بأسعار ١٩٨٧ الى ما أقل من ٩٠٠ مليون دولار عام ١٩٩١ .
فى كل عام مضى منذ ذلك الحين أنفقت سوريا بمتوسط أقل من ٥٠٠ مليون دولار، وتقدر الولايات المتحدة أن قيمة شحنات الاسلحة التي حصلت عليها سوريا فى السنوات الأربعة ٩٤ - ٩٧ ، لم تزد على ٣٠٠ مليون دولار - مقارنة بـ ٢,٤ مليار دولار فى السنوات الاربع السابقة لها (٩٠ - ١٩٩٣) . وإتفاقات شراء الاسلحة الجديدة لسوريا لن تغير من هذه الاتجاهات. وتتكهن الولايات المتحدة بأن سوريا قد طلبت أسلحة جديدة قيمتها حوالى ٣٠٠ مليون دولار فقط بين السنوات ٩٤ - ١٩٩٧ .
وفى ليبيا رصدت ظاهرة مماثلة . فقد انخفضت مشترواتها من الأسلحة . فى السنوات ٩٤ - ١٩٩٧ اشترت ليبيا أسلحة جديدة قيمتها ١٠٠ مليون دولار فقط . ولبنان ليست بالقوة العسكرية الجادة وفى الأردن تسبب الاقتصاد الضعيف والمشاكل السياسية الى تراجع قيمة المشتروات السنوية من ٨٥٠ مليون دولار عام ١٩٨٥ الى أقل من ١٠٠ مليون دولار بكثير سنويا منذ عام ١٩٩١ . وتخفف المساعدات الأمريكية كثيرا الآن من مشاكل الاردن التى وقعت على اتفاقية سلام مع اسرائيل . ورغم ذلك تلقت شحنات اسلحة قيمتها ٢٠٠ مليون دولار فقط فى الاعوام ٩٤- ١٩٩٧.
على النقيض من ذلك ، تم الحفاظ على التفوق النسبى لاسرائيل عن طريق المساعدات الامريكية المكثفة، والصناعات الحربية الاسرائيلية المتطورة ، والثقافة العسكرية التى ترى فى التدريبات والقوى البشرية رفيعة النوعية وقوة الصمود ، أهمية مماثلة لأهمية نوعية السلاح . وأحيان كثيرة جدا تتأثر مشكلة تخصيص موارد الجيوش العربية بتركيز المشتروات بالذات على كمية الأسلحة أو ذياع صيتها أو شراء معدات جديدة لا تدعم كفاءتها التكنولوجية مقدرة عسكرية مناسبة .
أيا كان الأمر ، هذا لا يعني أنه على المدى المتوسط سيظل الميزان العسكرى مستقرا أو يميل بالضرورة لصالح اسرائيل . إن التوسع السريع للجيوش العربية يعتبر مشكلة . تحصل سوريا وإيران على قدرة ملحوظة على إطلاق صواريخ طويلة المدى وما لا يقل أهمية ، إن لديهما غاز أعصاب فعال وبرامج للحرب البيولوجية ، بل وتبذل إيران جهودا سرية للحصول على سلاح نووى . ولدى ليبيا قدر معين على الأقل فى مجال الأسلحة الكيماوية ، وبمرور الوقت يتضح أنه فى مقدور العراق المحافظة على جزء من قدرتها على انتاج أسلحة كيماوية وبيولوجية وتستطيع التقدم بخطوات واسعة فى هذا المجال فى حال رفع العقوبات عنها .
تكمن ميزة اسلحة الدمار الشامل بالنسبة للدول المعادية لاسرائيل فى أنها لا تتطلب أنظمة إطلاق متطورة ، ويمكن بذلك استخدامها بدون التلميح لإسرائيل ، صاحبة السلاح النووى ، من أين بالضبط سيقع الهجوم . كذلك فى حالة نجاح برنامج الصاروخ حيتس المضاد للصواريخ فستظل اسرائيل فى حاجة الى مواجهة خطر الهجوم المباغت أو هجوم ارهابى بأسلحة الدمار الشامل . إن مشكلة منظومة الدفاع ضد صواريخ ارض - ارض (مثل الجيش) تماثل مشكلة خط ماجينو. هذه المنظومة تعمل فقط فى حالة ما اذا لم يستطع العدو تفاديها. ولكن الارهاب والحرب غير المتبادلة هما طريقتان محتملتان ومأمونتان لتفادى منظومة الدفاع ضد الصواريخ .
إن تأكيد اسرائيل على الأمن ، وعدم المبالاه تجاه الحساسيات العربية ، يخلقان تهديدا من نوع آخر . أحيانا تبدو اسرائيل كمن تدعو الى انتفاضة ثانية ، لأن الطريقة التى تتنكر بها للفلسطينيين ولعرب آخرين ، تدفعهم الى المتطرفين الاسلاميين وتخلق مناخا يرى فيه الشباب العربى أن الارهاب والنضال المسلح هما المخرج الوحيد . يبدو أنه من الصعب على اسرائيليين كثيرين الاستفادة من دروس حرب لبنان ومحاربة حزب الله . الاسوأ من ذلك أن اسرائيليين كثيرين يرون صعوبة فى تفهم الضغط الاقتصادى والسياسى الواقع على شباب فلسطينى وأردنى ، وهى الصعوبة التى تشبه تلك التي لدى الامريكيين البيض الذين لا يفهمون الامريكيين السود .
يعتمد أمن اسرائيل بشكل غير قليل على تمسك مصر بعملية السلام . الى اليوم لم يكن هذا التمسك محل تشكيك ، ولكن مصر تختلف عن دول عربية أخرى فى تفاصيل هامة كثيرة . مشترواتها من الاسلحة تأتى من نفس مصدر المساعدات - أى أمريكا - وقد بلغ متوسطها حوالى ١,٧ مليار دولار سنويا خلال العقد الاخير . نتيجة لذلك ، لدى مصر حاليا ٣٧٠٠ دبابة ١٢٠٢ مدرعة و ٣٧٤٠ مجنزرة و ٢٨٠ مدفعا متحركا و ٩٧٠ مدفعا ثابتا (يتم جره) و ٣٠٠ قاذف صاروخي متعدد الفوهات . وهذه الأحجام قد تبدو متواضعة مقارنة بتلك التى لدى سوريا ، ولكنها تشمل منتجات أمريكية من الطراز الاول . فى عام ١٩٧٣ كان لدى مصر حوالى ١٨٠٠ دبابة فقط . إن التزام مصر بالسلام ليس قويا بالقدر الذى يسمح لاسرائيل أن تتعامل معها بثقة تامة .
كذلك لدى اسرائيل مشكلة متزايدة فى مجال نوعية القوة. رغم المساعدات الامريكية، فقد طورت اسرائيل سلاحا واحدا فقط ، وهو سلاح الطيران . يجب علي جيش الدفاع أن يطور على وجه السرعة سلاح المدرعات والتحول من المجنزرات ونصف الجنزير الذى انقضى عهدها الى المركبات المدرعة الحديثة .

وليس من الواضح بعد ما اذا كان أفراد الاحتياط وجنود الخدمة الالزامية أيضا يستطيعون استخدام المعدات الحديثة بقدر الفعالية التى تحتاجها اسرائيل . تشعر الولايات المتحدة وبريطانيا - على سبيل المثال - بأنهما فى حاجة الى أطقم محترفة وأطقم دعم ذوى خبرة متعددة السنوات . بمعنى خاص ، يبدو أنه انقضى عهد أسلوب تجنيد القوى البشرية فى جيش الدفاع .
يبدو أن اسرائيل تريد تغيير نظريتها العسكرية ، ولكن بدون برنامج واضح لربط هذا التغيير بمجهود استراتيجى لتوسيع وتعزيز السلام وخلق رقابة إقليمية على السلاح .

يبدو أن إحساس النبوءة الاستراتيجية التى صنعها إسحاق رابين فى مجال الميزان العسكرى وفى مجال السلام قد استبدل بمشاجرات حزبية على كافة المستويات ، لدرجة أنه قد يبدو لمن يراقب الأمور أن أكبر خطر عسكرى يهدد اسرائيل هو إسرائيل نفسها .

* كاتب المقال هو البروفيسور كوردسمان وهو من مديرى برنامج الشرق الاوسط للدراسات الاستراتيجية والدولية بواشنطن.

القنبلة

يديعوت احرونوت
٢٠ / ٩ / ١٩٩٨
بقلم : جيى لشيم

بما أنه لم يظهر بعد قانون حصانة ضد التكذيب ، سيجد أيضا هذا العام ٢٧٠٠ من العاملين فى المفاعل النووى فى ديمونا صعوبة فى الاحتفال بعيد ميلاده الاربعين عندما وضع حجر الأساس . بعد أربعة عقود ، وحالة تأهب نووى على الأقل (حسب مصادر أجنبية) ، وتحقيق تفصيلى فى الصنداى تايمز البريطانية وصور واضحة ومتاحة من الأقمار الصناعية ، كل ذلك ومازال زعماء الدولة يصرون على المحافظة على التعتيم الكبير حول القدرة النووية الاسرائيلية .
كل التفاصيل الواردة فى هذا التحقيق الصحفى تعتمد على إصدارات علنية نشرت فى الخارج ، بعيدا عن قبضة سياسة التعتيم. أقل من ٤٥٠ يوما من عام ٢٠٠٠ ، لم يعد هناك حاجة الى زلزال ليحدث ثغرة فى المغارة النووية الاسرائيلية . يكفى تشغيل الكمبيوتر ، والدخول على شبكة الانترنت والغوص الى داخل رؤية بن جوريون حول موضوع المياه الثقيلة . تتيح الكتب والعدد الذى لا يحصى من المقالات التي نشرت فى الخارج (وفى اسرائيل أيضا) رسم صورة غنية جدا عن البرنامج النووى الاسرائيلى . جميع التفاصيل موجودة - بدءا بطراز الاتوبيسات الذى يقل العاملين فى مفاعل ديمونا الى عملهم ، وحتى عدد القنابل النووية التى بحوزة إسرائيل (حوالى ٢٠٠ قنبلة) . حقا إن جزءا من المنشور فى الخارج مفند تماما. ولكننا سعينا لأن نعتمد فقط على الاصدارات التى تعتبر ذات مصداقية .
وإذا كانت هناك ثغرات في الصورة ، فهى نابعة أساسا من أن إسرائيل الرسمية ترفض أن تنفى أو تؤكد أى تفاصيل ترتبط ببرنامجها النووى .
*** المحطة (١) : يوارنيوم فى الميناء** : فى منتصف الستينات ، حسبما جاء فى كتاب "علاقات خطيرة من تأليف أندرو ولسلى كوكفرن ، شعر مسئولو المباحث الفيدرالية الأمريكية أن هناك شيئا غريبا يحدث فى مصنع الدكتور زلمان شبير وفى بنسلفانيا . شبيرو هو عالم ناجح شارك فى مشروع منهاتن لتطوير أول قنبلة ذرية ، أقام فى خلال عام ١٩٥٦ مصنعا لتصنيع اليورانيوم المخصب . وكان لدى شبيرو ، اليهودى الساخن والصهيونى المتحمس ، الكثير من الاصدقاء الاسرائيليين ، وقد اعتادوا التجول فى أرجاء مصنعه فى بتسبرج . وبدأ الامريكيون يتشككون ، ولكن ما أن تذكروا تحرى ما ذا يحدث فى مصنع شبيرو ، كان الوقت قد تأخر : فى عام ١٩٦٧ كشف مفتشون بلجنة الطاقة الذرية الأمريكية أن حوالى ١٠٠ كيلو جرام من اليورانيوم المخصب قد اختفت من المصنع.
ويقول الزوجان كوكفرن ، أراد الامريكيون بشدة أن يعلموا أين اختفى اليورانيوم المخصب ، وهو المادة الحساسة التى يمكن تصنيع قنبلة نووية منها . أصدر رئيس المباحث الفيدرالية آنذاك ، إدجار جى هوفر تعليمات شخصية بالتنصت على أى مكالمة تليفونية يجريها شبيرو . واكتشفوا أن شبيرو اعتاد فعلا أن يتحدث طويلا مع أعضاء وفد المشتروات الاسرائيلى فى نيويورك ولكنهم لم ينجحوا فى فك شفرة الحديث . فقد استخدم شبيرو جهاز شوشرة صوتية وحرم المحققين من أن يتابعوا أحاديثه . وعلى سبيل الذكر ، كان أحد الذين اعتادوا زيارة مصنع شبيرو هو رافى إيتان عميل الموساد آنذاك ، ثم بعد ذلك رئيس مكتب الاتصال العلمى ، وهى الوحدة التى جندت جوناثان بولارد .
مرت سنوات كثيرة منذ ذلك الحين ، ولكن لا يمكن تغيير الافتراض الأساسى وهو أن اسرائيل فى حاجة الى الكثير من اليورانيوم من أجل تنفيذ برنامجها النووى. وحسب الكتاب الذى وضعه الفيزيائى ديفيد أولبرايت ، استخدم المفاعل فى ديمونا خلال الـ ٣٠ عاما الاخير حوالى ١٤٠٠ طن من اليورانيوم الخام . ويجب استيراد هذا اليورانيوم (فى النقب توجد كميات صغيرة من اليورانيوم لا تكفى احتياجات المفاعل) .
وبما أن اليورانيوم هو مادة ثقيلة جدا ولا ينقل الا عن طريق البحر فقط، يمكن الافتراض أن سفن الشحن المليئة باليورانيوم وصلت وتصل الى سواحل اسرائيل . أغلبها من جنوب افريقيا (حوالى ٧٥٪ من اليورانيوم الخام الاسرائيلى جاء من هناك)

كذلك اسهمت النيجر والجابون وجمهورية وسط أفريقيا والأرجنتين فى ذلك المجال حسبما جاء فى كتاب يوئيل كوهين (تعتيم نووى).
إن اليورانيوم هو مادة مشعة ، ويجب الاحتراس فى التعامل معه . يمكن أن يصل الى الميناء فى صورتين : كمادة خام تبدو مثل المسحوق الاصفر موضوع فى اسطوانات كبيرة ، أو كمادة مقطرة ، فى صورة ألواح معدنية دائرية رمادية اللون . وفى جميع الأحوال يتم تفريغه وينقل فى قافلة تحت الحراسة الى مفاعل ديمونا مباشرة . لا يستطيع المسافرون على الطريق أو الذين ينظرون من القطار أن يخمنوا أن أمامهم مادة خام منقولة الى ديمونا ويمكن ان تستخدم فى إنتاج القنابل النووية .
*** المحطة (٢) : أسفل قبة المفاعل** : يستقبل هذه القافلة اكثر المواقع تأمينا فى اسرائيل ، أى المفاعل النووى فى ديمونا ، أو "مجمع الأبحاث النووية" ومن أجل التمويه عليه وإخفائه عن عدسات كاميرات التجسس التى يحملها الملحقون العسكريون الأجانب، تمت إحاطة المفاعل بأشجار عالية ، ومن حوله أقيمت أسوار مكهربة وشق طريق للدوريات . وكل يوم تقوم الجرافات بتسوية الأرض الرملية ، من أجل تسهيل عملية اكتشاف آثار أقدام الزوار غير المرغوب فيهم ، وبطاريات مضادة للطائرات من أجل اعتراض أى أداة طائرة تظهر على شاشة الرادار.
وقيل أنه اثناء حرب الأيام الستة ، تم اسقاط طائرة لسلاح الطيران الاسرائيلى تم توجيهها خطأ فوق المجال الجوى للمفاعل. ورجال الحراسة الذين يحرسون المفاعل من الفضوليين ، أفرغوا ذات مرة خزينة بندقية فى جسد موظف السفارة الأمريكية الذى وجه عدسته فى إتجاه الموقع فى بداية الستينات .
لم تكن ديمونا بالمكان الذى ورد على الخاطر عندما قرر بن جوريون تنفيذ البرنامج النووى الاسرائيلى . فى البداية اقترح معصرة مهجورة فى منطقة ريشون لتسيون ، من أجل المحافظة على الاتصال بمعهد فايتسمان . بعد ذلك طرحت فكرة لانشاء المفاعل بالقرب من البحر، حتى يمكن تبريده بمياه البحر ، ولكن هذه الفكرة استبعدت هى أيضا . فيما بعد فسر شمعون بيريز ، الذى وقع مع الشركة الفرنسية "سانت جوبان" على صفقة شراء المفاعل فى عام ١٩٥٧ أسباب اختيار منطقة ديمونا بقوله (نجحنا فى العثور على موقع واسع وفارغ نسبيا ، بحيث لو تحقق كابوس التسرب المشع ، تكون الكارثة محدودة).
وحسب الاصدارات الاجنبية ، يعمل فى المفاعل تسعة معاهد . كل صباح يصل الى موقع المفاعل عشرات الاتوبيسات الخاصة من كافة الاماكن المحيطة ويهبط منها آلاف العاملين . ويلتحق العاملون بالعمل هناك بعد فحص دقيق . وتقوم لجنة الطاقة الذرية باختيار بعضهم من أقسام الفيزياء والكيمياء النوية فى مختلف الجامعات ، وكذلك الأقسام الهندسية بالمعهد الفنى. ويلتحق البعض الآخر من العاملين بالمفاعل عن طريق إعلانات عمل غامضة فى الصحف مثل (تعرض حكومة اسرائيل وظيفة بحثية فى مشروع كبير بالجنوب) ويجتاز المتقدمون اختبار أمنى وفحوص وبالطبع التوقيع على اتفاقيات للحفاظ على السرية. والعاملون أنفسهم فخورون بالمكان الذى يعملون به . وقد صرح لنا هذا الاسبوع شمعون ملخيئلى رئيس النقابة العامة للعاملين فى مجمع الابحاث النووية والذى يعمل هناك منذ ٣٨ عاما (الظروف هنا جيدة . منذ سنين لم نقم بإضراب وأقصى ما فعلناه هو العمل بنظام الأعياد وأوقفنا العمل فى بعض الاقسام بعد الموافقة . ولكن ما يضايقنا هو هذه الانغلاقية) . وعلى سبيل الذكر فإن هناك تقديرا كبيرا فى العالم للعاملين فى ديمونا ويقول الدكتور فرانك برنبى، أحد مؤسسى البرنامج النووى البريطانى والرجل الذى تحاور مع موردخاى فانونو باسم صحيفة "الصنداى تايمز" (إن علماء الذرة الاسرائيليين من أفضل العلماء فى العالم) .
قال فانونو إن أغلب هؤلاء العاملين يتم تشغيلهم فى أقل الاقسام حساسية بالمفاعل ، مثل تنقية اليورانيوم وتخصيبه ، ومعالجة النفاية النووية وكافة أعمال الصيانة . قلة هم فقط الذين يعملون فى انتاج البلوتونيوم ، وهو المادة الاصطناعية التى تنتج فى المفاعل ، والتى يمكن لأربعة كيلو جرامات منهما نسف تل أبيب . وحسب شهادته ، كان فانونو واحداً من هؤلاء .
فى يونيو ١٩٨١ حسبما جاء فى كتاب سيمورهيرش فى كتابه "الاختيار شمشون" ، وبعد عدة ايام من قصف المفاعل العراقى ، تباهى بيجين أمام الصحفيين بأن طائرات سلاح الطيران قد نجحت فى تدمير منشأة تحت الارض سرية على عمق ٤٠ مترا أسفل المفاعل العراقى . وحسب كلامه ، كانت هذه المنشأة سوف تستخدم فى بناء القنابل الذرية العراقية . وقد اندهش وقتها رؤساء أجهزة المخابرات .
يعتقد سيمور هيرش فى كتابه أن بيجين قد خلط بين التقرير الاستخبارى عن المفاعل العراقى وبين تقرير عن هيكل مفاعل ديمونا . عشية الهجوم كان التقريران على مكتبه . وقتها أعطى رئيس الموساد اسحاق حوفى حديثا للصحافة لم يسبق له مثيل (بصفته فقط) ، حيث قام بتوبيخ بيجين بشكل غير مباشر عندما أعرب عن شكواه من السياسيين الذين يكشفون أسرار الدولة.
لحسن الحظ ، لم ينتبه أحد لما قاله بيجين ، الى أنه جاء موردخاى فانونو وكشف فى اكتوبر ١٩٨٦ على صفحات مجلة الصنداى تايمز عما يدور تحت الارض فى ديمونا . وقد اتاحت الأوصاف الى أعطاها ، الى جانب تحليل ٥٧ صورة قدمها للصحيفة ، الحصول على صورة واضحة أكثر عن السر الدفين جدا لدولة اسرائيل: أى معهد (٢) ، ومركز انتاج البلوتونيوم القاتل.
*** محطة (٣) - ازرار فى المعهد (٢) :**
المعهد (٢) ، أو "النفق" مثلما يسمى بشكل غير رسمى - موجود فى أعماق الأرض . وهذا المبنى البرئ المظهر موجود على مساحة غير بعيدة من قلب المفاعل الذى تغطية قبة يراها كل من يسافر على طريق ديمونا - ايلات . فوق السطح ، يستخدم المبنى ذو الطابقين كموقع خدمات يضم كافتيريا للعاملين ومكاتب وحمامات ومخازن . وما يحفظ نشاطه الحقيقى هو الجدران السميكة خاصة للمبنى الأعلى وعدم وجود نوافذ . كذلك برج المصعد الذى يبرز من المبنى المنخفض يثير التساؤل لدى محللى الصور التى تلتقطها الاقمار الصناعية فى الغرب .
يتم الدخول الى معهد (٢) عبر هذه المصاعد ، ويستطيع فقط أصحاب الشارات الخاصة النزول الى المعمل الأحمر ، يرتدون

بدل واقية خاصة لحماية أنفسهم من الاشعاعات القوية التى تسرى فى أجزاء من هذا المعهد. وقد تم إنفاق مبالغ طائلة من أجل حماية العاملين من هذا الاشعاع وتطوير وسائل آلية بدلا من الأيدى البشرية . وكان البروفيسور إفرايم كاتسير أحد كبار العلماء الذين عملوا فى هذا المجال ، والذى شغل منصب رئيس الدولة سابقا . وقد ركز كاتسير أساسا على انتاج أنسجة عضلية صناعية لتشغيل الأذرع الصناعية . ولم يتطرق الى أذهان العاملين فى قسم الابحاث العلمية بسلاح الطيران الامريكى ، والذى قام بتمويل هذا المشروع البرئ ، أن كاتسير يعمل أصلا فى ديمونا وليس فى معهد فايتسمان . هذا المعهد يعمل ثمانية شهور فقط فى السنة . والأربعة شهور المتبقية تتم فيها أعمال الصيانة وإعطاء راحة للمبنى.

بمرور السنين تحولت حجرة المراقبة لمعهد (٢) والتى يتم منها السيطرة على عمل المقاييس الخمسة التى تحت الأرض الى غرفة عمليات . وقد أطلق العاملون فيها على هذه الحجرة إسم "شرفة جولدا" ، على اسم رئيسة الوزراء جولدا مائير التى خصصت الكثير من وقت فراغها فى بداية السبعينات لزيارة المعهد .

يبدو البلوتونيوم الخام مثل المسحوق المؤكسد يميل الى اللون الأخضر . يقومون بتسخين هذا المسحوق فى درجات عالية جدا ، حسبما قال فانونو ، ويجعلونه سائلا ، ثم يبردونه وفى النهاية يصنعون (أزرارا) صغيرة وزن الواحد ١٣٠ جراما . هذا ما قاله فانونو.

أما عن بقية العملية فلا ذكر لها فى الكتب . ولكن فى كتاب (مبادئ السلاح النووى) جاء أنه من أجل انتاج قنبلة يجب انتاج كتلة وزنها أربعة كيلو جرامات على شكل (كمثرى) . فى مثل هذه الاماكن يتم العمل كله بقفازات خاصة وخلف حاجز محكم . واستنشاق ميكروجرام من هذا المسحوق يؤدى على الفور الى سرطان الرئة والوفاة. طبقا لتقدير فانونو ، يستطيع المعهد (٢) إنتاج حوالي تسعة ازرار فى الاسبوع . وهكذا ينتج مفاعل ديمونا حوالى ٤٠ كجم بلوتونيوم فى السنة (بما يساوى ١٠ - ١٢ قنبلة) . والآن ، عندما أصبحت الكمثرى موجودة، أصبح الطريق مفتوحا أمام إنتاج القنبلة .

*** المحطة الرابعة :** الوحدة (٢٠) تبنى القنبلة: فى ٢٢ سبتمبر ١٩٧٩ رصد قمر تجسس أمريكى وميض ضوئى قوى وغير عادى، اختفى بعد جزء من الثانية فى مياه جنوب المحيط الهندى . وقد فسر خبراء قاموا بتحليل ما أرسله القمر بأن هذا تفجير نووى تم فى اطار التعاون بين اسرائيل وجنوب افريقيا .

وفقا لكتاب سيمور هيرش ، كانت تلك التجربة المشتركة الثالثة للدولتين ، تم فى إطارها اطلاق رأس نووية ذات قوة منخفضة من سفينة تابعة لسلاح البحرية لجنوب افريقيا . وقد تواجدت فى الموقع أيضا سفينة حربية اسرائيلية وعلى متنها مسئولين كبار من المؤسسة العسكرية الذين تلقوا دعوة لمشاهدة التجربة . وقد تم تحديد يوم مليئ بالسحب لاجراء التجربة ، حتى يصعب على الاقمار الصناعية رصدها.

يقول هيرش، لم تكن تلك المرة الأولى التى يعلم فيها مسئولو البرنامج النووى الاسرائيلى أنه يتم تفجير المواد التى يتم انتاجها فى ديمونا . فى منتصف الستينات تم تفجير قنبلة صغيرة القوة فى نفق تحت الارض بالقرب من الحدود الاسرائيلية - المصرية حسب كتاب هيرش . وقال إن التجربة زلزلت الارض فى النقب وفى شبه جزيرة سيناء .

وذكرت مجلة جينز إنتليجنس ريفيو أنه لا يتم بناء القنبلة فى ديمونا ، بل يتم نقل المادة النهائية الى الشمال ، حيث يوجد مصنع سرى تابع لهيئة تطوير الأسلحة بالقرب من يودفت فى الجليل . كيف تبدو المادة النهائية؟ من المعروف عن الأدب العلمى بشأن بناء القنابل فى العالم ، يتم تقليل كمثرى البلوتونيوم الى حجم كرة قدم صغيرة بفضل غطاء بريليوم وأورنيوم حولها (وهذه المواد مخصصة لزيادة قوة التفجير) .

كيف يتم نقل المادة الحساسة؟ إذا استندنا على نماذج من الخارج ، فإن ذلك يتم بدون أى طقوس . فى بريطانيا - مثلا - يقومون بنقل البلوتونيوم من المكان بسيارة خاصة ، تحت حراسة خفية من أجهزة الأمن .

حسب مانشر ، فإن الوحدة (٢٠) بهيئة تطوير الأسلحة هى التى تقوم ببناء القنابل. فى النهاية يمكن مقارنة العمل الذى يتم فى هيئة تطوير الأسلحة (روفائيل) بمصنع لتجميع السيارات . فى ديمونا يقومون بإنتاج المحرك ، أى كتلة البلوتونيوم.

فى يودفت يقومون بتركيب بقية الأجزاء على (المحرك) ، بدون الهيكل ، لن تستطيع السيارة السير . بدون روفائيل لا يمكن للبلوتونيوم أن ينفجر.

*** المحطة (٥) : صواريخ فى بطن الجبل:**

فى ١٤ سبتمبر ١٩٨٩ هبط جسم كبير وثقيل فى مياه الجزر الكاريبية بالبحر المتوسط . لم يعلم مواطنوها اليونانيون أنه صاروخ اسرائيلي تم اطلاقه من على مسافة ١٣٠٠ كيلو متر من هناك من ساحل البالماحيم حسبما ذكرت مصادر أجنبية . وأثمرت جهود السنين ووصل تطوير الصاروخ العابر للقارات التى بدأت اسرائيل تعمل عليه فى بداية الثمانينات ، الى نهايته. لقد تم استكمال الصاروخ (اريحا ٢).

أعتبر الصاروخ فى العالم كوسيلة أساسية لاطلاق أسلحة نووية . ويبدو أن إسرائيل لا تختلف عن بقية الدول النووية فى يودفت ، كما هو معروف ، ينتجون القنابل المخصصة للالقاء من الطائرات ولكن أغلب خط الانتاج مخصص لبناء الرؤوس النووية التى يتم تركيبها على صواريخ طويلة المدى .

تقول الاصدارات ، أن اسرائيل بدأت تهتم بالصواريخ فى بداية الستينات . وعلى أساس صاروخ فرنسى تم شراؤه عام ١٩٦٣ تم تطوير صاروخ فى مصنع للصناعة العسكرية فى بئر يعقوب يبلغ مداه ٥٠٠ كم أطلق عليه إسم (أريحا ١) . وقد وقع بيريز على إتفاق للتعاون مع شركة إيريان عام ١٩٧٧، إلا أن الاتفاق لم ينفذ . بعد ذلك بعامين سقط نظام شاه إيران ، وأصبحت ايران دولة معادية . هنا دخل الزوجان فرتوم الى العمل . طبقا لكتاب (كتلة حرجة) كان الزوجان بهودا ، وإيليا فرتوم (فوترمان) ، العائلة الذرية الاولى فى إسرائيل .

قضى الزوجان الفترة من ١٩٨٥ - ١٩٩٠ فى معهد للابحاث النووية بولاية نيو مكسيكو وفى معامل نووية أخرى بالولايات المتحدة . وأطلعوا على وثائق سرية وتفصيلية خاصة بأدوات التفجير النووية التى استخدمت من أجل تحسين الرؤوس القتالية . وكان الصاروخ المعدل الذى سقط فى مياه الكاريبى قد أنتج بفضل هذا التطوير الذى قاما به . ولم تكتف اسرائيل بالصاروخ الجديد، اريحا ٢ ، الذى وصل مداه الي ١٥٠٠ كم ،

حسبما ذكرت مجلة جينز . فقد نشر مؤخرا أن اسرائيل قد طورت نموذجا متطورا أكثر (أريحا٣) الذى يبلغ مداه حوالى ٢٥٠٠ كم ، وهناك تقارير تقول أن بحوزة إسرائيل أيضا صاروخ بلاستى يبلغ مداه حوالى ٤٨٠٠كم ، وإن كان المقصود أنه فى فترة التطوير فقط . والمعروف أن الكميات التي بحوزة إسرائيل ليست كبيرة يوجد حاليا على ما يبدو (٥٠) صاروخا من طراز أريحا ١ و (٥٠) صاروخا من طراز أريحا ٢ .

وصواريخ أريحا منصوبة فى مواقع مختلفة من البلاد . فقد نشر خبراء عالميون خرائط لاسرائيل بها مواقع للصواريخ فى كل ركن تقريبا . فى الشمال وفى الجنوب وفي الوسط . ولكن طبقا لصور الأقمار الصناعية ، فإن أكبر موقع للصواريخ موجود بجوار كفار زكريا القريب من بيت شمش .

فى هذا المكان حسبما ذكرت فى حينه صحيفة (جينز) بناء على صور القمر الصناعى ، قام المهندسون بحفر مجموعة أنفاق متطورة داخل جبال الجير . داخل هذه الانفاق يتم تخزين الصواريخ فى جانب ، والتى تأتى من منطقة بئر يعقوب القريبة، وفى الجانب الثانى يتم تخزين الرؤوس النووية، والتى تصل الى هناك من مصنع هيئة تطوير الأسلحة فى يودفت . ويتم كساء جوانب الأنفاق بالمعدن ومزودة بحوامل ذات سوست خاصة تحسبا للهزات الأرضية . ويبدو أن هناك خط يربط الصواريخ بمواقع الرؤوس القتالية ويستخدم وقت الحاجة من أجل تركيب الرؤوس المتفجرة على الصواريخ ، وإعدادها للاطلاق .

إلى أين تتجه هذه الصواريخ ؟ يقول سيمور هيرش إنه فى عام ١٩٦٧ علمت اسرائيل من تقرير استخبارى أمريكى ، أن الاتحاد السوفيتى أضاف كل من حيفا وتل ابيب وبئر سبع وأشدود الى قائمة المدن التى فى مجال صواريخها النووية. ومنذ السبعينات توجه اسرائيل أسلحتها النووية فى اتجاه حوالى ٦٠ - ٨٠ مدينة، من بينها دمشق وبغداد والقاهرة وطهران وطرابلس وحقول بترول الخليج والمنشآت العسكرية المتطورة مثل عين أوسعرة بالجزائر (حيث يوجد مفاعل نووى للاستخدامات العسكرية) ومدينة كهوتا فى باكستان (حيث منشأة تخصيب اليورانيوم لانتاج أسلحة نووية) .

كان بولارد أحد الذين ساعدوا إسرائيل فى الحصول على معلومات عن هذه المواقع . حسب كتاب (خيار شمشون) قدم بولارد لاسرائيل صورا التقطتها الأقمار الصناعية ورسائل مشفرة ، عرف منها الخبراء الاسرائيليون هذه المواقع وصعوبة الوصول اليها ، ويقول هيرش أن بولارد لم يكن بمفرده . فقد تكرمت أجهزة المخابرات الامريكية على اسرائيل بمعلومات عن أهداف مختارة . وليس فقط بمساعدة الصواريخ تستطيع اسرائيل أن تهدد أهدافا فى الشرق الاوسط. فى قاعدة سلاح الطيران التى فى تل نوف توجد قنابل نووية فى أبنية تحت الارض . يقول هيرش أن أحد الأسراب فى القاعدة فى حالة تأهب دائم لمدة ٢٤ ساعة ، يتيح إطلاق الطائرات للقيام بمهام قصف نووي خلال فترة قصيرة من لحظة صدور الأمر. وهناك أسراب خاصة فى سلاح الطيران مدربة بشكل خاص لحالة الحاجة الى حمل القنبلة وإلقائها على الاهداف التى يتم اختيارها .

إذا كانت اسرائيل قادرة على حمل قنبلة نووية حتى شرق إيران أو حتى غرب ليبيا ، فلا دهشة فى أن تتحول القوة النووية الاسرائيلية إلى آله خطر فى نظر العرب فى الشرق الاوسط .

*** المحطة (٦) : الضغط على الزر :**

فى يونيو ١٩٨٢ ، خلال حرب لبنان - مثلما جاء فى كتاب "علاقة خطرة - القصة الداخلية للعلاقات الخفية بين الولايات المتحدة وإسرائيل" . حاول إيريل شارون ، الذى كان وقتها وزيرا للدفاع ، إقناع رئيس الوزراء بيجين كى يمنحه القيادة الكاملة على السلاح النووي الاسرائيلى . لقد أراد ردع السوريين نوويا . وحسب البحث ، رفض بيجين هذا الاقتراح . ولو اعتمدنا على كتاب هيرش ، فقد شذ شارون عن سياسة استخدام السلاح النووى التى كانت اسرائيل تسير عليها حتى ذلك الحين . وطبقا لما قاله هيرش ، تقع صلاحية استخدام السلاح النووى الاسرائيلى فى أيدى ثلاثة اشخاص : رئيس الوزراء ، ووزير الدفاع ورئيس الاركان . وفى مرحلة معينة تم توسيع هذه الصلاحية لتشمل قائد سلاح الطيران . ويقول هيرش أنه تم تشكيل جهاز خاص يتيح فتح صناديق الرصاص المغلقة التى بداخلها القنابل عن طريق ثلاثة مفاتيح لدى مندوبى رئيس الوزراء ووزير الدفاع ورئيس الاركان . ولم يعلم الى الآن إلا عن حالتين فقط أديرت فيها هذه المفاتيح . يقول هيرش ، أنه فى ٨ أكتوبر ١٩٧٣ ، بعد يومين من اندلاع حرب عيد الغفران ، قررت المجموعة الوزارية الأمنية برئاسة جولدا مائير بوضع كافة منصات الصواريخ النووية فى كفار زكريا فى حالة تأهب، وكذلك ثمانى الطائرات الفانتوم فى قاعدة تل نوف . وشملت الأهداف كل من القاهرة ودمشق . وتم إبلاغ الأمريكيين بالقرار الذى كان له رد فعل . فقد فزعت الادارة الأمريكية وزودت اسرائيل بالأسلحة التى كانت فى حاجة اليها كى تفيق من الضربات التى تلقتها فى بداية الحرب .

فى كتاب (كتلة حرجة) ورد ذكر حادث آخر حيث تم شبه استخدام للسلاح النووى . فى يناير ١٩٩١، مع سقوط صواريخ سكاد الاولى فى أراضى إسرائيل خلال حرب الخليج ، أصدر رئيس الوزراء اسحاق شامير تعليمات وضع كافة بطاريات الصواريخ أريحا فى حالة تأهب نووى ، وكذلك أسراب القصف. ومن المعروف أن هذا التأهب قد استمر ٤٢ يوما ، حتى نهاية الحرب .

(*) المحطة النهائية :

من الممكن افتراض أنه فى عام ٢٠٠٨ لن تنتقل احتفالات مرور خمسين عاما على انشاء المفاعل على حدائق المعارض. وقد صدرت فى الخارج مئات الكتب والأبحاث والوثائق عن البرنامج النووى الاسرائيلى، إلا أن الجمهور الاسرائيلى مازال غير مبالى بالموضوع . وأوضح استطلاع للرأى فى عام ١٩٨٨ ، أى بعد سنتين من واقعة فانونو، أن نصف الجمهور اليهودى يؤمن بوجود سلاح نووى لدى إسرائيل . والباقون أقنعوا أنفسهم أنهم يقومون فى المفاعل بتحلية مياه البحر وأن الوقود المستخدم هو الارز وليس اليورانيوم .

من الاسئلة المطروحة فى العالم : لماذا تواصل إسرائيل إنتاج سلاح نووي ، كذلك إذا كان فى حوزة إسرائيل حوالى مائة قنبلة نووية من أنواع مختلفة ، حسب كلام أكثر الخبراء حذرا ، فهذه كمية ضخمة يمكنها تدمير الشرق الأوسط . فقد توقف أغلب مالكى هذا السلاح عن إنتاجه . يقول بيترهونام ، الصحفى

الذى أحضر فانونو الى الصنداى تايمز ، أن اسرائيل تواصل إنتاج السلاح النووى حتى تبيعه الى دول أخرى مثل تايوان . ويقول خبراء آخرون إنها تواصل استخدام مفاعل ديمونا لأنها تريد تزويد نفسها بسلاح نووى متطور جدا ، يتصدى للأخطار الجديدة من جانب ايران أو العراق . أما خبراء آخرون مثل فرانك برنبى، فلديهم تفسير آخر وهو أن إسرائيل على وشك التوقف عن إنتاج سلاح نووى لأن لديها ما يكفى من هذا السلاح فى المخازن ، وكذلك لسبب بسيط وهو أن المفاعل قد استنفد عمره الافتراضى وإذا لم يتم إغلاقه ويتم حله بحرص ، فقد تتسبب حالة تسرب واحدة فى وقوع كارثة قومية . يحتمل أن يكون هذا هو السبب لنشر المقالات فى الصحافة عن الأفكار الخاصة برفع سياسة التعتيم التى تتبعها إسرائيل وحتى فتح مفاعل ديمونا أمام التفتيش الدولى تحت قيود معينة . فمن الصادق ؟ صعب أن نعلم . على كل حال فإن إسرائيل الرسمية ترفض الاجابة حاليا .

تقرير داخلى فى ديمونا : وضع المفاعل خطير

بقلم : هارولد هاو

أجبر اطلاق الصاروخ الايرانى طويل المدى شهاب - ٣ فى شهر يوليو الماضى ، اضافة الى الطموحات النووية لباكستان والهند ، الخبراء النوويين الاسرائيليين على إعادة النظر فى منظومة السلاح النووى ، واتخاذ قرار : هل هى قادرة على مواجهة أخطار القرن القادم .

إعادة النظر تؤدى أحيانا الى تغيير فى الاستراتيجية ، وتغيير الاستراتيجية يحتاج الى تطوير أسلحة جديدة ، والتطوير يتطلب عملا آخر فى المفاعل بديمونا - وهنا تكمن المشكلة بالضبط . بعد ٢٥ عاما من النشاط ، يتزايد أيضا التخوف داخل حكومة اسرائيل بأنه لم يعد فى مقدور مفاعل ديمونا الوفاء بالاحتياجات المتزايدة لترسانة الأسلحة النووية الاسرائيلية .

طبقا لتقارير داخلية صيغت فى ديمونا ، يعانى المفاعل النووى من ضرر خطير ، نابع من إشعاع النيوترون . هذا الاشعاع يتسبب فى إضرار للمبنى الذرى للمفاعل ، فقد صنعت النيوترونات فقاعات غازية صغيرة داخل الدعائم الحديدية للمبنى الذى أصبح قابلاً للانهيار . رغم استبدال أجزاء معينة ، فإن هناك خلاف جاد حول مسألة : أليس من الأفضل إيقاف المفاعل تماما قبل ان تقع كارثة .

ولكن الخطورة الكبيرة التى يمثلها المفاعل فى ديمونا لا تقف عند هذا . إن تحليل الصور التى التقطها قمر روسى عام ١٩٨٩ تشير الى أن المنشأة تعانى من مشكلة تلوث خطيرة . تم تصوير هذه الصور عن طريق كاميرا من طراز إم تى - ٤ التى تعمل بالأشعة تحت الحمراء . والتصوير بهذا الاسلوب يتيح للعلماء الفصل بين النباتات الحقيقية ونباتات التمويه . وتدل الصور أيضا على صحة النباتات ، مما يجعلها أداة منتشرة فى اوساط العلماء ، والزراعيين ومسئولى الحفاظ على البيئة . ومن خلال تكبير الصور عبر الكمبيوتر يمكن ان نرى غرب المفاعل منطقة جرداء غير طبيعية . هذا هو المكان - حسب التقارير - الموجود فيه منشأة معالجة نفايات المفاعل ، حيث يتم تخزين المنتجات المصاحبة السامة .

ورغم ان صور القمر لا يمكن ان تحدد مستوى التلوث وطبيعته فإنها تثبت انهم يستخدمون فى ديمونا نفس أسلوب إزالة وأبعاد البلوتونيوم المستخدم فى الولايات المتحدة . هذا الاسلوب يسبب أخطارا بيئية عظيمة لا تختفى حتى بعد سنوات طويلة من إغلاق المفاعل . ويمثل مصنع انتاج البلوتونيوم فى هانفورد بواشطن نموذجا على ذلك ، فقد تم إغلاق المصنع فى عام ١٩٨٩ ، إلا أن مشاكل التلوث التى سببها لم تحل الى يومنا هذا . وقد قدرت وزارة الطاقة الأمريكية أنه فى كل عام من الاربعين عاما القادمة سيتم انفاق ما يقرب من مليار دولار من أجل إصلاح الأضرار التى سببها المفاعل . من هنا يمكن أن ندرك أن صور القمر الروسى قد التقطت منذ حوالى عشر سنوات ، إلا أن الفرصة ضعيفة فى أن يكون الوضع فى ديمونا قد تحسن . بالعكس ، نظرا لاستمرار عمل المفاعل فى تلك السنوات ، يمكن الاعتقاد بأن التلوث قد ازداد .

إن انتاج البلوتونيوم هو أحد الأعمال الخطيرة جدا فى العالم . طبقا لأحد التقديرات ، فإن كل كيلو جرام بلوتونيوم يتم إنتاجه ينتج ايضا ١١ لترا من السوائل السامة والمشعة ، ولم ينجح أحد حتى الآن فى القضاء على خطورتها . فى هانفورد يوجد مئات الدونمات التى على مستوى تلوث عال نتيجة عشرات السنين التى تم خلالها انتاج البلوتونيوم فى هذا المكان .

ولكن رغم المشاكل فى ديمونا ، ورغم حقيقة أن بعض الفنيين فى المفاعل قد رفعوا دعاوى ضد الحكومة بسبب الأمراض التى حدثت عن طريق الحوادث التى وقعت فى هذه المنشأة ، ورغم حقيقة أن إسرائيل سوف تنضم الى المحادثات التى ستجرى العام القادم بشأن حظر انتاج المواد المتصلة بتصنيع السلاح النووى بمشاركة ٦١ دولة فى الأمم المتحدة ، فإن حكومة إسرائيل متحفظة من إيقاف العمل فى المفاعل .

إن المشكلة لا تكمن فقط فى رغبة اسرائيل فى انتاج فائض بلوتونيوم ، وإنما ايضا الحاجة الى المحافظة على مخزون مادة التريتيوم لديها - وهى نظير هيدروجى يستخدم لزيادة القوة التفجيرية للقنبلة النووية (ويقول أحد التقارير أن هذا النظام يسرى على كافة المنتجات النووية الاسرائيلية) وإعداد القنابل النويترونية.

المشكلة مع مادة التريتيوم هى ، أنها تتطلب معالجة وصيانة مستمرة وإلا تتحلل وتصبح القنبلة عديمة الفائدة . معنى هذا أنه فى كل عام يجب على إسرائيل استبدال ٥ . ٥٪ من إجمالى ما لديها من التريتيوم حتى تحافظ على حجم السلاح الموجود . هذا هو أحد الأسباب التى بسببها تواصل حكومة إسرائيل تشغيل مفاعل ديمونا رغم المخاطرة .

(*) الكاتب هو خبير دولى فى تحليل صور الاقمار الصناعية بمجلة (جينز ديفنس ويكلى) . المقال مأخوذ من تحقيق نشر فى الموقع الصحفى بيت سويار بشبكة الانترنت.

«الحالة الأمنية» .. الحفاظ على التعتيم

٢٠ / ٩ / ١٩٩٨
بقلم : سى فلدمان

يحظى الأمن الاسرائيلى بعلاقات متينة مع الولايات المتحدة ، هذه العلاقات ستتعرض لضرر بالغ لو تخلت اسرائيل عن سياسة التعتيم التى مازالت تحيط بالمسألة النووية.

تميزت السياسة النووية لاسرائيل ، منذ أواخر الخمسينيات بأمرين : الأول ، القرار بتغليف النشاط والبرامج النووية بتعتيم تام . والثانى ، الحيلولة دون تحول الخيار النووى الى عنصر اساسى فى النظرية الأمنية.

وكجزء من سياسة التعتيم ، امتنعت اسرائيل عن كشف عناصر قدرتها النووية التى قامت بتطويرها والاستخدامات التى ستسخر لها هذه القدرة . وبدلا من ذلك ، اكتفت بتصريحات غامضة مفادها أنها لن تكون الدولة الأولى التى تدخل سلاحا نوويا للشرق الاوسط . وأحيانا تغطى تصريحا بتصريح ، بأن تعرب عن أنها أيضا لن تكون الدولة الثانية التى تفعل ذلك . ويعنى التصريح فى العالم أنه يشير الى أن إسرائيل لن تتوانى عن إقامة وسيلة ردع مناسبة ، إذا أدخلت دولة أخرى قبلها سلاحا نوويا الى المنطقة.

والواقع أن اسرائيل قد تبنت سياسة "الردع النووى ليوم مطير" ، على أمل أن يمتنع الزعماء العرب عن محاولة تدميرها ، نظرا لأنهم لن يتمكنوا من صد احتمال ردها بضربة نووية ساحقة . وبمرور الوقت وضح أن التعتيم الاسرائيلى قد حرر الزعماء العرب من ضغوط داخلية ثقيلة للتزود بقدرة نووية مضادة ، وهى ضغوط كانت ستظل باقية ، لو أن إسرائيل أعلنت أنها تملك قدرة نووية عملية .

كذلك فإن التعتيم حال دون التناقض بين سياسة اسرائيل وبين المعايير الدولية المقررة فى المجال النووى . فمنذ نهاية الستينيات يعارض المجتمع الدولى نشر أسلحة نووية ، وهى معارضة جرى إقرارها فى معاهدة لمنع نشر السلاح النووى (ان - بى - بى) ، والتى وقعت عام ١٩٦٨ . ولكن الأهم من ذلك ، أن التعتيم أدى دورا هاما فى العلاقات مع الولايات المتحدة . فامتناع اسرائيل عن تبنى ردع نووى علنى حال دون صدام ومواجهة مع سياسة واشنطن ، التى حاولت وقف انتشار السلاح النووى فى العالم . ومنذ بداية الستينات وخاصة منذ رئاسة جيمى كارتر فى منتصف السبعينيات ، بذلت الولايات المتحدة جهودا كبيرة - مستندة الى قوانين اقرها الكونجرس - لمنع أو على الأقل عرقلة الانتشار النووى . وكان الاعلان عن ردع نووى يعنى خرقا لهذه القوانين ، الأمر الذى كان سيؤدى الى توقف المساعدة الأمريكية لاسرائيل .

وهذا التعتيم مع الرقابة الشديدة التى فرضت هذه السياسة ، حالت دون أى جدل عام فى المجتمع يمس القضايا المتعلقة بالسياسة النووية مما جعل الشخصيات التى تحملت مسؤولية تشكيل السياسة ، تتمتع بمساحة كبيرة من الاستقلالية والبعد عن ضغوط ورقابة الرأى العام .

كذلك أدى التعتيم الى عدم اعتماد قيادة جيش الدفاع على القدرة النووية لاسرائيل لبناء قوتها العسكرية ووضع برامجها وخططها التنفيذية . فكان ذلك ضمانا بأن ضباط وجنود جيش الدفاع سيستغلون كل إمكانياتهم فى المجال التقليدى ، من خلال تقدير بأن الخيار النووى سيعمل فى حد ذاته على ردع الذين يهددون وجود الدولة وأمنها .

إذن ، فقد حقق التعتيم غاية مزدوجة : فمن ناحية حقق الردع ليوم زمهرير ، ومن ناحية أخرى، منع تقصير جيش الدفاع فى استخدام الوسائل التقليدية للحيلولة دون ظهور ما يعجل باليوم الزمهرير . وقد تحققت هذه الغاية المزدوجة خاصة بفضل حد معين من التعتيم : فإسرائيل لم تشأ أن تجعل من الخيار النووى عنصرا رئيسيا من نظريتها الأمنية . لذا ففى مئات الخطب التى ألقاها قادة الدولة بشأن الدفاع والأمن على مدى الأربعين عاما الماضية - وفى آلاف المرات التى تطلب منهم فيها التعرض لهذه الموضوعات ، لا نجد سوى إشارات نادرة الى العنصر النووى ، وكان ذلك بشكل رمزى فحسب .كذلك دار الجدل العام فى المجتمع على مدى سنوات طويلة ، كما لو أن الخيار النووى ليس له تأثير على أمن الدولة .

وقد أفرز ذلك ظاهرة غريبة : بينما الاسرائيليون يتجاهلون تماما البعد النووى فى مناقشاتهم عن أمن دولتهم ، فإن جيرانهم العرب يولونه أهمية حاسمة واحتل هذا الأمر مكانا بارزا فى تصريحات زعماء وخبراء أمن الدول العربية الذين اعتادوا على وصف القدرة النووية الاسرائيلية بالتهديد الكبير الذى يخافونه . وقد تجلى ذلك ايضا فى الجهود الدبلوماسية التى تقوم بها الدول العربية ، وعلى رأسها مصر حتى يتم تفكيك القدرة النووية الاسرائيلية ، إما بالمطالبة بانضمام اسرائيل لمعاهدة منع انتشار السلاح النووى ، وإما بمبادرة تحويل الشرق الأوسط الى منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل .

وتشير هذه الظاهرة الغريبة الى مجال واسع من العيوب الكامنة فى سياسة إسرائيل النووية.

أولا لم يسمح التعتيم بتطوير مذهب أو منفيستو نووى يكون متاحا للنقد العام . وفى ذلك يكمن خطر أن قادة الدولة سيضطرون فى وقت الأزمات الحادة ، أن يتعاملوا للمرة الأولى مع المسائل المتصلة باستخدام الردع النووى ، ودون أن تشعر ، وربما تكون إسرائيل قد اكتسبت خبرة بالفعل عند بزوغ مثل هذا الخطر أثناء الأزمة مع العراق فى اوائل ١٩٩٨ .

ثانيا ، التعتيم النووى حال دون وجود "حوار استراتيجى" بين اسرائيل وجيرانها ، على غرار الحوار الذى أجرته الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى إبان الحرب الباردة ، وفيه أوضح

كل طرف مصالحه الحيوية للطرف الآخر . هذا الحوار ، الذى جاء درسا أساسيا ومستخلصا من أزمة الصواريخ فى كوبا عام ١٩٦٢ ، أتاح لكل طرف بالتدريج أن يفهم ما يجب عليه أن يمتنع عنه ، حتى لا يعرض نفسه للعقاب النووى . وفى الوقت الذى يتزايد فيها عدد دول الشرق الاوسط التى تتزود بسلاح تدمير شامل وبوسائل إطلاق تناسبه ، يغيب الاحتمال بأن توضع أمامهم قائمة واضحة بتكلفة ردود أفعال استخدام هذه الوسائل من تدمير للقدرة وتأسيس ردع مستقر بالمنطقة .

ثالثا : التعتيم الذى أدى الى غياب دراية المجتمع الاسرائيلى بقدر مساهمة البعد النووى فى الأمن ، بالضرورة يحول أيضا دون نقاش جاد لمجمل قضايا الأمن ذات الصلة بالصراع بين إسرائيل والدول العربية ، لأنه فى غياب معلومات كافية فيما يتصل بقدرة الدولة على ردع الذين يهددون وجودها ، جعلت المجتمع يسرف فى تقدير المخاطر المتعلقة بالانسحاب من هضبة الجولان فى إطار معاهدة سلام مع سوريا . وربما التقييم الصحيح لهذه المخاطر - الذى كان سيأخذ بالاعتبار قدرة الردع النووى لاسرائيل - كان يمكن أن يسمح بمرونة أكبر فى المفاوضات ، ويضاعف من احتمالات التسوية مع دمشق .

هذه العيوب البارزة لسياسة التعتيم النووى ظلت كامنة ، ولكن مع مرور السنين بدأ التآكل الظاهر يصيب هذه السياسة فى ظل عدم التعامل مع إسرائيل كدولة نووية. أما التحول فى هذه الحقائق - التى بدأت تكشف عنها وسائل الاعلام العالمية منذ منتصف السبعينيات - كان مع قضية مردخاى فانونو كما نشرتها "صنداى تايمز" ، وبعد ذلك القبض عليه وجلبه للمحاكمة فى إسرائيل عام ١٩٨٦ . وماكشف عنه فانونو حول عمله فى مفاعل ديمونة الذرى ، والتحليلات التى علق بها خبراء فى أنحاء العالم حول ذلك ، نبهت الأذهان الى احتمال أن تكون قدرة إسرائيل النووية أكبر بكثير مما توقعته التقديرات الدولية فى هذا الشأن .

كذلك حدث تآكل آخر مؤثر لسياسة التعتيم فى أعقاب احتلال العراق للكويت فى صيف ١٩٩٠ وخاصة أثناء حرب الخليج ، عندما وصلت الأزمة الى حاجة ملحة لردع العراق عن إطلاق صواريخ بالستية تحمل رؤوس كيماوية ، باتجاه مراكز سكانية فى إسرائيل . وفى مقابلة أجراها وزير الدفاع الأمريكى آنذاك ريتشارد تشينى ، مع شبكة سى إن إن ، قال إن ردا نوويا على هجوم كيماوى يحتمل أن تقوم به إسرائيل . لكن تشينى لم يحاول أن يخفى ارتياحه الكامن عندما سئل - عما إذا كان بحوزة إسرائيل قدرة نووية تمكنها من القيام بذلك .

وقد أدى الجدل الدولى حول انتشار السلاح النووى ومبادرات وقفه الى مزيد من تآكل التعتيم النووى . وحظى هذا الجدل بدفعة جديدة العام الحالى بعد التجارب النووية التى أجرتها الهند وباكستان ، ومحاولة استئناف الحوار لبلورة معاهدة لوقف إنتاج مواد انشطارية بما فى ذلك البلوتونيوم واليورانيوم المخصب . وفى هذا الحوار كان التعامل باعتبارها دولة نووية ، وإن لم يكن هذا الموقف "رسميا" وكنتيجة لمجمل هذه التطورات فى المنطقة وفى العالم ، تصدعت سياسة التعتيم التى كانت ما تزال تغلف القدرة النووية لإسرائيل ،وبقيت فى حدها الأدنى للغاية .

هل يجب على اسرائيل ان تواصل الحفاظ على بقايا التعتيم الذى يحيط بالخيار النووى لديها ؟ من ناحية ، يمكن لهذا التعتيم ان يضع اساسا للرد على التهديدات الجديدة التى ستضطر اسرائيل للتعامل معها فى المستقبل (احتمال أن تتزود دول كإيران والعراق بسلاح غير تقليدى ووسائل إطلاقها فى إطار تعاون أمنى وثيق مع واشنطن . وفى مجال الردع ، فإن التعتيم المتبقى يتيح للولايات المتحدة أن توقف الانتشار النووى ، مع اعتبار إسرائيل "حالة خاصة" وفى مجال منع الانتشار ، فالأمر يسمح بالتعاون مع واشنطن لمنع نقل أية تكنولوجيا حساسة الى دول فى الشرق الاوسط، وبذلك تعرقل تزودها بوسائل تهدد اسرائيل .

وفى مجال الدفاع الفعال ، فإن اسرائيل تركز جهودها لتطوير برنامج "حيتس" الصاروخى ، وكذلك فعالية اسرائيل فى مجال الدفاع المدنى فى حال اتخاذ خطوة ردع فورى على اطلاق صواريخ بالبستية ضدها . وحتى الآن فإن الولايات المتحدة هى الوحيدة المهيأة لتمكين اسرائيل من هذا الردع .

والخلاصة فإن قدرة اسرائيل على مهاجمة منصات الصواريخ مشروطة بالحصول من الولايات المتحدة على طائرات متقدمة - F - 15 - 1 - بتمويل من المساعدات العسكرية الامريكية.

ويجب أن ننوه بأن كل عناصر الرد الاسرائيلى على التهديدات الاستراتيجية الجديدة مشروطة بالعلاقات الدفاعية الوثيقة بين إسرائيل والولايات المتحدة ، هذه العلاقات التى ستتعرض للضرر البالغ إذا حادت إسرائيل عن التعتيم المتبقى حول قدرتها ونواياها فى المجال النووى .

ومن ناحية أخرى ، يبدو أنه فى مواقف معينة لن يكون أمام إسرائيل مفر من التخلص من التعتيم النووى الذى تتبناه .

فإذا تزودت إحدى دول المنطقة بسلاح نووى، فلن يكون لاسرائيل خيار إلا شحذ أدواتها الردعية ، إذ أنه فى مثل هذه الحالة سيكون ضروريا التقليل بقدر الامكان من سوء الفهم مع الجارة النووية . وهذه الضرورة ستخلق أيضا مواقف أقل تشددا : مثال ، إذا توقفت فى إيران سياسات الاعتدال وتحولت لتعود الى سياساتها فى أوائل الثمانينيات ، وبالمقابل تقوم بنصب صواريخ بالبستية ذات مدى ودقة إصابة بإسرائيل ، مزودة برؤوس حربية كيماوية أو بيولوجية .

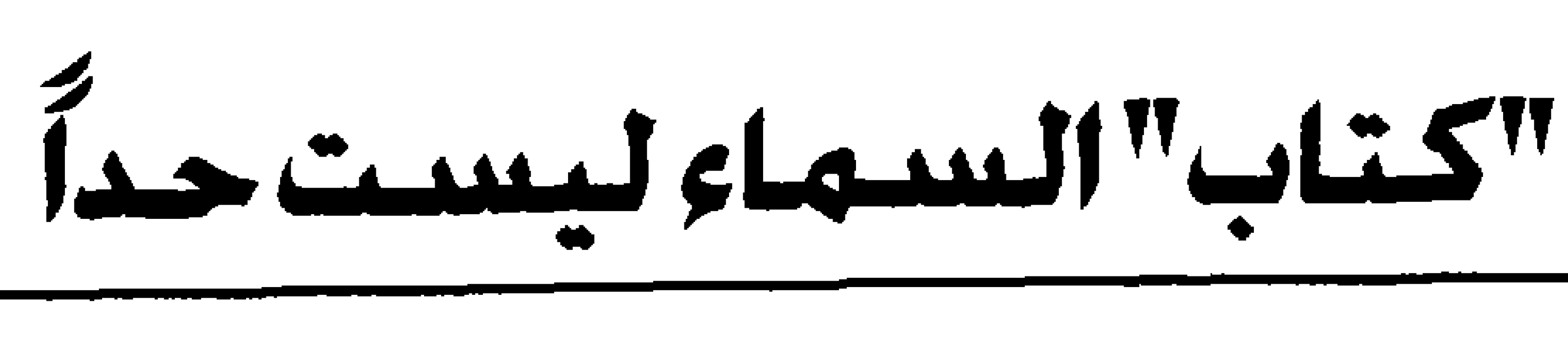
وعلى العكس ، إذا بدت احتمالات حقيقية للتوصل الى تسوية سلمية مع سوريا ، ربما وجب على اسرائيل ان تقنع مواطنيها بأنها قوية بما يكفى لتحمل الخطر الناجم عن الانسحاب من هضبة الجولان . وفى هذه الحالة ، سيتوجب على إسرائيل الكشف عن الوسائل التى بحوزتها للردع والحفاظ على أمن الدولة وسكانها .

وفى هذه الحالة - أيضا - سيكون من الخطأ مواصلة تجاهل البعد النووى فى نظرية الأمن القومى لاسرائيل .

لا تغيير فى السياسة النووية

ملحق هآرتس
١١ / ٩ / ١٩٩٨
بقلم : زئيف شيف

دار مؤخراً تبادل رسائل في الموضوع النووي- والتي لم تحظ بالنشر- ، بين رئيس الولايات المتحدة بيل كلينتون وبين رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو .
وحول خطاب الرد لنتنياهو الى كلينتون يمكننا أن نقيس ما إذا كان في نية اسرائيل أن تغير من سياستها النووية في أعقاب التجارب النووية التي أجرتها كل من الهند وباكستان . والتفاصيل هنا هامة حيث وجد في الآونة الأخيرة إثنان من المكاتبات التي نشرت من شأنها إحداث تضليل أو خداع .
واحدة منهما هي المجلة الأمريكية "ديفينس نيوز" والتي نسبت للواء إسحاق بن إسرائيل رئيس ادارة التطوير والبنية الأساسية قولا بأن إسرائيل ستناقش سياسة الغموض النووي .
وفي الإصدار الثاني في إسرائيل قيل إنه في نية اسرائيل التصديق علي المعاهدة لحظر إنتاج "مواد مخصبة" والتي من شأنها أن تسمح بإشراف دولي على مفاعل ديمونة.
ففي البداية وصل خطاب الرئيس كلينتون والذى طلب فيه من إسرائيل الا تعارض تشكيل لجنة دولية تعمل على تحضير لاتفاقية لحظر إنتاج المواد المخصبة لأغراض عسكرية. فبدلا من خطاب - وحيث أن الموضوع ذو حساسية بالغة - كان من الأفضل إجراء حوار شخصي بين رئيس الحكومة ورئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، إلا أنه قد تعثرت محاولات تدبير لقاء بين الإثنين في الآونة الأخيرة ، ولهذا تتقرر إرسال خطاب لكلينتون. وبعد أن حدث ما حدث فقد كان ذلك القرار خيرا حتي يكون موقف اسرائيل مسجل كتابيا لدي الإدارة الامريكية . وعلى الرغم من أن تنتنياهو قد أعلن في الخطاب للرئيس كلينتون أن إسرائيل ستعارض تشكيل لجنة والتي سوف تبحث موضوع المعاهدة ، فإنه يتضح من بين السطور نقطتان مركزيتان : الأولى أن إسرائيل تحتفظ لنفسها بإستقلالية قرارها رغما عن رغبة واشنطن في حثها لإقامة المعاهدة.
وفي الرد الرسمي الذى سلمته إسرائيل في جنيف فيما يتعلق بالمعاهدة (أنها تحتفظ لنفسها بحق إتخاذ القرار في هذا الشأن حينما يحين الوقت) يتبين أن هناك نغمة أخرى وتعد هذه النقطة الثانية، حيث يتضح أن إسرائيل تعارض العلاج المنفرد سواء من خلال هذه الاتفاقية أو غيرها وذلك فيما يتعلق بالمسألة النووية والاشراف الدولي عليها ، فلا يمكن أن نفصل - حسب رأيها - معالجة القضية النووية عن التسويات السلمية الشاملة وعن الرقابة الإقليمية الشاملة على الأسلحة .
والمقصود اذا كان الأمر كذلك، هو موقف إسرائيلي سلبي تجاه المعاهدة المرتقبة. ومع ذلك يتضح من خطاب نتنياهو أن اسرائيل مستعدة لمناقشة التفاصيل المختلفة مع الولايات المتحدة الأمريكية .
لم يتطرق الخطاب الى الغموض النووي والذى هو جزء هام من سياسة إسرائيل النووية والإجابة في هذا الصدد هي أيضا لا تقبل النقاش (لا يوجد أى تغيير في سياسة الغموض - التعتيم) . وفي الظروف الحالية لا توجد أيضا نية لإحداث تغيير جوهري بها. والأكثر من هذا أنه غير معلوم أن هناك نقاشا يدور في قيادة السلطة حول هذا الموضوع . وقد أخذت المناقشات التي دارت بالجهاز الأمني في إطار توصيف نظرية الأمن من جديد ، طابعا آخر منذ البداية .
هل هذا الأمر يعني أن الغموض النووي سيظل سياسة إسرائيل من الآن والى الأبد؟ هذا ما يبدو اليوم . إن الواقع يمكن أن يتغير ولكن من الجلي أن السبب للتغيير يجب أن يكون جوهريا ، وعلى سبيل المثال ، تزود دول عربية بسلاح نووي. وحتى في حالة كهذه دائما ما تحافظ الدولة على قدر غير بسيط من الغموض خاصة حينما نتحدث عن دولة صغيرة .
وهذا الغموض قائم في موضوعات تنفيذية كثيرة أيضا فيما يتعلق بالسلاح التقليدى وليس فقط حول السلاح النووي .
وحول ذلك بالضبط تحدث اللواء بن إسرائيل في حوار مع مجلة "ديفينيس نيوز" فقد أكد على التناقض الكامن مع أى ردع : حيث أنه من ناحية يوجد ميل لإظهار أشياء محددة من أجل الردع ومن ناحية أخرى توجد رهبة من الكشف من أجل الحفاظ - مع كل ذلك - على قدر من المباغتة للعدو .
وجدير بالذكر أيضا أن الغموض النووي هو عنصر هام في الميزة النوعية لإسرائيل ولهذا فإن إزالته تعني أيضا المواجهة بين إسرائيل والكونجرس الأمريكي . وإسرائيل لا تبحث عن ذلك ويبدو أن واشنطن أيضا تفضل أن تستمر إسرائيل في الغموض النووي الذى هو قائم حتى الآن.



"كتاب" السماء ليست حداً

تأليف / اليعازر كوهين وتسافى لافئ

هذا الكتاب هو قصة سلاح الجو الاسرائيلى ، منذ تأسيسه وحتى تاريخ نشر الكتاب ، الذى يتناول بالشرح والتحليل أهم الشخصيات والأحداث التى حولت السلاح من مجموعة طيارين بالصدفة على طائرات بدائية ، الى واحد من أفضل أسلحة الجو فى العالم . والكتاب لا يمثل تاريخا رسميا للسلاح بقدر ما يقدم شهادة إنسانية تعتمد على عمل بحثى شاق ، وأدلة لا تحصى ، ووثائق وحقائق ، تستند الى خرائط توضيحية وصور فوتوغرافية لها أهمية كبيرة فى تحقيق أهداف الكتاب.

والعقيد (احتياط) اليعازر (شيتا) كوهين ، يعد من كبار الطيارين فى سلاح الجو وحاصل على نوط الامتياز ، وكان مشاركا فى معظم الأحداث الواردة بالكتاب . ففى هذا الكتاب يقدم شيتا مع الصحفى تسافى لافئ قصة مثيرة تحدث على ارتفاع ثلاثة آلاف قدم، ورغم ذلك ، فإنها مرتبطة بأرض الواقع، وبالأحداث السياسية والاجتماعية والعسكرية التى مر بها سلاح الجو الاسرائيلى.

***

من حرب الاستقلال عام ١٩٤٨ - كما تسميها إسرائيل - كانت البداية ، حيث كان ميلاد قوات الطيران ثمرة ضغوط بعض المجانين ، كما كان ميلاد مشاريع أخرى حولت الصهيونية من حلم الى دولة . وقد اتخذ القرار بإنشاء سلاح الطيران فى مقر قيادة الهاجاناه فى ١٠ نوفمبر ١٩٤٧ ، قبل حوالى ثلاثة أسابيع من قرار الأمم المتحدة بتقسيم أرض اسرائيل الى دولتين - يهودية وعربية . كانت الأجواء توحى بعدم الثقة وعدم التأكد من شئ آنذاك ، ولم يكن معلوما بشكل قاطع ودقيق أن العرب سيحاولون إفشال تنفيذ خطة التقسيم عن طريق الحرب لو تم اتخاذ قرار بذلك . ولم يكن لدى قيادة الهاجاناه (الدفاع) قوة عسكرية كبيرة ، منظمة ومدربة، ولا سلاح أو معدات قتال بكميات ونوعيات مقبولة ، ولم تكن دروس الحرب العالمية الثانية قد تم استيعابها بعد ، ولم تنم وتنضج أجنحة مناسبة للتحليق أو مستعدة لحرب الاستقلال بمشاركة فعالة لقوة جوية .

غير أن أهرون ريمز وهايمن شامير كانت لديهم أجنحة . أجنحة طيارين فى خدمة أسلحة الجو البريطانية والأمريكية خلال الحرب العالمية ، ولم يكن لديهما ما يفخران به سوى مخزون ضخم من الخبرة والمعلومات التى جمعاها أثناء خدمتهما العسكرية.

وقد طالب ريمز وهايمان بقوة جوية ذات مدى وقوة تمكنها من التأثير على مسار المعارك المستقبلية ، إذا لم يتم حسمها . وما لبثا ان تقدما بمشروع تفصيلي لإنشاء سلاح جو عبرى الى يسرائيل جاليلي رئيس القيادة القطرية للهاجاناة. وطلبوا توفير ميزانية تقدر بثلاثمائة الف ليرة (حوالى مليون دولار بحسابات تلك الايام) وهو مبلغ يفوق ميزانية الدفاع برمتها . ولأن المبلغ غير موجود فى الخزانة ، فقد اقترح زيمر وهايمن الطريقة التى يتم بها جمع المبلغ من تبرعات يهود الولايات المتحدة. وتلخص هذا المشروع فيما يلى :

* تنظيم قسم طيران فى قيادة الهاجاناه يعمل كوحدة قيادة بالتعاون مع الاقسام القائمة .
* إحصاء وجمع جميع الأطقم الجوية والأرضية الموجودة بالبلاد.
* نقل المطارات وقواعد الطيران البريطانية الى حيازة يهودية وإعدادها وتجهيزها لاستخدام القوات الجوية التى يجرى تجهيزها .
* إرسال وفود لشراء طائرات وذخيرة حسب قائمة الأصناف المطلوبة وترتيبات نقلها الى البلاد .
* تجهيز خزانات وقود ، ومعدات ومواد مطلوبة أخرى .
* تخطيط عمليات تنفيذية ، وأهداف ووسائل إرشادية .
* إنشاء جهاز استخبارات جوى .
* إنشاء جهاز كشف مبكر لطائرات العدو.

وما لبث أن تكون سلاح الجو بناءاً على هذا المشروع ، وبمرور الوقت اكتسب طياروه الخبرة والمهارات المطلوبة . ويستعرض الكتاب الدور الذى لعبه سلاح الجو الاسرائيلي فى المعارك والحروب التى مرت بها المنطقة ، وأيضا خلال الفترات الفاصلة بينها . فبعد حرب الاستقلال وظروف تأسيس السلاح ، يتناول الفترة من حرب الاستقلال حتى عملية ٥٦ ، فحرب ١٩٦٧ الأيام الستة ، فحرب الاستنزاف ، من حرب الاستنزاف حتى حرب يوم الغفران ، ثم يتحدث باستفاضة عن حرب يوم الغفران (اكتوبر)، قبل أن يختتم الكتاب سيرة سلاح الجو الاسرائيلى بعمليات بغداد، بيروت ، تونس .

***

وقبل أن نتوقف عند نشاط سلاح الجو الاسرائيلى خلال حرب يوم الغفران (أكتوبر ١٩٧٣) التى سجلها المؤلفان على شكل يوميات، نلقى نظرة سريعة على الفصل السابق (من حرب الاستنزاف حتى حرب يوم الغفران) والذى يحمل عنوانا جانبيا : مثل حلم جميل يرفضون الاستيقاظ منه ، وفى مقدمة الفصل ما يلى :

فى مساء السبت ، عشية ٧ أغسطس ١٩٧٠ ، ظهرت رئيسة الوزراء جولدا مائير امام الأمة فى التليفزيون وأعلنت أنه فى منتصف الليل سيصبح وقف إطلاق النار سارى المفعول على الجبهة المصرية. وأن حرب الاستنزاف أو "حرب مابعد الحرب" قد حطت أوزارها ولفظت انفاسها . لقد كان وقف القتال جزءا من صفقة متكاملة وضعها ويليام روجرز وزير الخارجية الامريكى .

وقد سعى "مشروع روجرز" الى ترتيب سلام بين إسرائيل من ناحية ومصر والأردن من ناحية أخرى ، على اساس إنسحاب إسرائيل من معظم الأراضى . وزراء حيروت والليبراليون (مناحم بيجين وعيزرا فايتسمان - الذى استقال من جيش الدفاع عندما خاب رجاؤه فى تعيينه رئيس الاركان وكان وقتها وزيرا للمواصلات - وغيرهم) عارضوا المشروع واستقالوا من الحكومة . وتفكك التجمع الوطنى ، الذى ولد عشية حرب الأيام الستة. وكان التفكك رمزيا وشحذ فقط الاستقطاب بين المعسكرات الجديدة التى برزت بين الشعب . هؤلاء الذين اعتبروا الاحتفاظ بجميع الاراضى هو ضمان لأمن اسرائيل ، مقابل أولئك الذين اعتبروا الأمن فى تسوية سياسية تمنع حربا

أخرى ، حتى لو مقابل أراضي . ويبدأ هذا الشقاق يبرز أيضا بين وزراء حزب العمل الذين شكلوا الأغلبية في الحكومة . وقد ولد ذلك صيغا ووصفات سياسية مشوشة وضبابية . وكانت الرسالة المتجهة الى خارج البلاد مزدوجة وغامضة . وهكذا ، وبدون أي سوء نية ، كمنت بذور الحرب القادمة.

***

حرب يوم الغفران :

* صباح يوم ٦ / ١٠ / ١٩٧٣ قاعدة سلاح الجو، وسط اسرائيل .

أفي لينر ، قائد السرب ، استدعى مايك الى مكتبه . "استعد الآن، أنت الوحيد الذي سيلحق في عيد الغفران (الكيبوريم). إنها مجرد طلعة تصوير ، لكنها مهمة خاصة جدا . وستؤكد نتائجها المعلومات باحتمال قيام حرب اليوم . الهدف هو مصر . خذ معك يائير زميلا لك ، ارسموا الخرائط وابعثوا لي عندما تكونا جاهزين ، لأعطى التفاصيل".

* ٦ / ١٠ / ١٩٧٣ قيادة سلاح الجو ، قبل الظهر:

تلقى العقيد بيني بيليد الخبر في بيته في حوالي الخامسة صباحا . أما رئيس الأركان العميد دفيد اليعازر الذي تم استدعاؤه من قبل رئيسة الحكومة جولدا مائير ووزير الدفاع موشيه ديان ، فقد اتصل فورا بقائد سلاح الجو وأبلغه بآخر ما وصله من أخبار مقلقة حتى تلك اللحظة . وكان الخبر الذي وصل فجرا من مصدر موثوق من قبل هيئة الاستخبارات ، مفاده أن مصر وسوريا ستبدآن هجوما متزامنا ضد إسرائيل في الساعات الأولى من مساء يوم عيد الغفران.

قبل ذلك بعدة أيام ، عندما التقى عيزرا فايتسمان بقائده السابق ، قال له بحماس لم يفقده حتى بعد أن خلع ملابسه العسكرية واستقال من الحكومة : "عليك في المعركة القادمة أن تكون مستعدا لتمهد الطريق للقوات البرية الى القاهرة ودمشق " وربما ايضا الى العاصمة عمان . هل تغلبت على مشكلة الصواريخ المصرية والسورية؟ ".

ويذكر فايتسمان ان بيليد رد عليه : "لا مشكلات كل شئ تمام! " لكن الامور لم تدر عجلاتها في هذا الاتجاه .

ففى خلال الاتصال الذى جرى مع قائد السلاح ، إتفق دفيد اليعازر وبيليد على توجيه ضربة جوية وقائية ضد أنظمة الصواريخ التابعة للجيش السوري وعدم تشتيت الجهد على عملية "جز" محدودة على الجبهة المصرية . وتصفية هذه الانظمة الصاروخية سيضمن سماء نظيفة للمرحلة القادمة . وكان الخطر من ناحية هضبة الجولان أقرب جغرافيا للمراكز السكنية في إسرائيل ، ولذلك فهو أكثر واقعية من خطر الهجوم المصري الذي مازال عليه أن يتجاوز مساحات شاسعة في صحراء سيناء .

بعد تعديل موعد الضربة الوقائية من ١١ صباحا الى ١٢ ، أعلنت رئيسة الحكومة أمام رئيس الأركان العامة إنها تعارض أي نوع من الضربات الوقائية . وأيدها في ذلك وزير الدفاع . ويبدأ الشك يتسلل الى دقة المعلومات التي تحدثت عن حرب وشيكة .

ولم تشأ جولدا مائير أن تشوه صورة اسرائيل في العالم ، عندما تصبح هي التي أطلقت الرصاصة الأولى . صحيح أن الصور الجوية الطازجة التي جلبها مايك من غارته صباحا قد جعلت الأمور أكثر اظلاماً ، لكنها لم تغير القرار بأي حال من الأحوال.

* ٦ / ١٠ / ١٩٧٣ الساعة ١٤,٠٠ :

برج المراقبة غارق في صمت تام ينتظرون العدو. ويتبادلون النظرات . لكن احدا لا يستطيع الانفراد بأفكاره . شيتا يرى الخوف علي وجه الرقيب المجاور له ويقول لنفسه : لو كان يعرف مدى خوفي ..

* ٦ / ١٠ / ١٩٧٣ الساعة ١٤,٠٣ :

الدقائق الخمس التالية كانت أكبر نقطة تحول في حياة شيتا (اليعازر كوهين) . رصدت عيناه في البداية أربع رباعيات من الطائرات المغيرة مباشرة على ارتفاع منخفض . صرخ قائد المقاومة الجوية ، "انها قادمة ، جمع طائرات السوخوى - ٧ المصرية " . وصرخ شيتا :" أمر بإطلاق النار بقوة" .

مدافع الـ L 70 بقطر ٤٠ ميلليمتراً بدأت تزأر . حلق المصريون على ارتفاع ٣٠٠ قدم ، في مسار أفقي . ألقت الرباعية الأولى من الطائرات قنابل فوق المدق في منتصفه وفي نهايته البعيدة ، واستمرت في تشكيل مجمع يتفرق شيئا فشيئا . دوى انفجار شديد وعدة انفجارات أقل شدة. المدافع مازالت تعوى ، والقافلة الطائرة تمر. ورغم ترصد المدافع L 70 ، فقد مرت الرباعية الثانية والثالثة دون خسائر وأصابت الممر في مواقع مختلفة بقنابلها .

* ٦ / ١٠ / ١٩٧٣ ، قناة السويس :

كانت معدلات عبور القناة عالية وقوية نظرا لأن حصون خط بارليف لم تتمكن من وقف أو استيعاب عمليات العبور . والقوات المصرية التي نجحت في العبور - بداية بمئات الزوارق ومعدات برمائية ثم على معابر - أحاطت بالحصون وأمكنها التسلل بينها في الوقت الذي كانت تدكها قذائف المدفعية الفتاكة .

في هذه الحالة ، كانت طائرات سلاح الجو الاسرائيلي هي فقط التي تستطيع عرقلة عمليات العبور وتحاول أن توقف تدفق الطوابير المصرية الى سيناء . وطائرات السلاح التي كانت بمثابة المدفعية الطائرة لحرب الاستنزاف ظهرت في حالة مزرية ، بعد أن اصبحت هذه الجبهة غير معرضة لضربة وقائية .

وكانت مناطق العبور محمية بنظام كثيف من قواعد الصواريخ ارض - جو , SA6 , SA3 , SA2 والتي دفعت بها مصر نحو خط القناة في مخالفة لاتفاق وقف إطلاق النار . وبدأت في ساعات بعض الظهر محاولات قصف جسور العبور وتجمعات المدرعات والمشاه ، ثم أغارت الطائرة على ارتفاعات منخفضة لا تجعلها عرضة لنطاق الصواريخ إلا لمدة قصيرة . وألقيت قنابل انشطارية CBU على بعض تجمعات العبور ، وهي قنابل تعادل في قوتها القنابل العادية عدة مرات . أثرت هذه القنابل الى حد ما على تدفق القوات العابرة حسب الصور الجوية ، لكنها لم توقف العبور .

* ٦ / ١٠ / ١٩٧٣ قاعدة سلاح الجو ، رمات دفيد ، قبل المساء :

اقتحمت ثلاث كتائب مدرعة ومشاة سورية الخطوط في هضبة الجولان . وبدأت ١٥٠٠ دبابة بالتقدم في اتجاه الجليل الأعلى ووادى الأردن ، بمساعدة قصف شديد لـ ٥٠٠ ماسورة مدفعية ، وطائرات وبطاريات صواريخ ارض - جو ثابتة ومتحركة ، تواجههم في المقابل حوالى ١٨٠ دبابة مع كتيبتين مشاة مقسمتين الى فصائل صغيرة منتشرة في مواقعها ، وسلاح الجو . وفوق القنيطرة سقطت الطائرة الأولى في الحرب، بصاروخ أرض - جو . ثم في إطار عمليات التعبئة واستدعاء الاحتياط، وبخاصة رجال سلاح الجو ، كان من بينهم يهونتان شاحر ، طيار سكاي هوك ، هو قائد سرب خلال حرب يونيو ، ومن خريجي حرب الاستنزاف ، وقد تم استدعاؤه من عمله في شركة العال، وكان يثق أن وحدته ستكون على الجبهة الشمالية ، حيث يود أن يرد اعتبار أخيه الذي أسقطه السوريون في الحرب السابقة بينما كان يحلق بطائرة ميراج فوق دمشق . لذلك اندهش عندما جرى الدفع به الى خليج السويس. كانت عملية الاتصال فوضى. الأوامر تتغير بين لحظة وأخرى . وأيضا تتحول من اتجاه الى اتجاه . أرسلوه اولا الى ميتلا وبعد ذلك الى مكان آخر . لم يسأل لماذا . نحن لا نسأل في الحرب بل نعمل فمن الافضل أن تنجز المطلوب منك على أكمل وجه .



مختارات إسرائيلية

النشاط والأهداف

أنشئ المركز فى عام ١٩٦٨ كمركز علمى مستقل يعمل فى إطار مؤسسة الأهرام لدراسة الصهيونية والمجتمع الاسرائيلى والقضية الفلسطينية، ثم امتد اختصاصه الى دراسة الموضوعات السياسية والاستراتيجية بصورة متكاملة. ويسعى المركز من خلال نشاطه الى نشر الوعى العلمى بالقضايا الاستراتيجية العالمية والأقليمية والمحلية، بهدف تنوير الرأى العام المصرى والعربى بتلك القضايا، وأيضا بهدف ترشيد الخطاب السياسى وعملية صنع القرار فى مصر.

الدوريات والمطبوعات:

- **التقرير الاستراتيجى العربى:** تقرير سنوى بدأ فى الصدور عام ١٩٨٦، وصدرت أولى طبعاته بالانجليزية اعتباراً من عام ١٩٩٢، ويشترك فى اصداره جميع أعضاء الهيئة العلمية فى المركز، وينقسم التقرير الى ثلاثة أقسام رئيسية: النظام الدولى والاقليمى، النظام الاقليمى العربى، جمهورية مصر العربية، الى جانب مقدمة تحليلية وعدد من الدراسات الاستراتيجية.
- **كراسات استراتيجية:** سلسلة صدرت اعتباراً من يناير ١٩٩١ وتصدر شهرياً باللغتين العربية والانجليزية اعتباراً من يناير ١٩٩٥، وتتوجه الكراسات الى صانعى القرار والدوائر المتخصصة والنخبة ذات الاهتمام بتقديم قراءة متعمقة للتحديات الاستراتيجية التى تواجه مصر والوطن العربى، وطرح الخيارات والتصورات والسياسات البديلة لمجابهتها.
- **الكتب والكتيبات:** أصدر المركز منذ إنشائه عام ١٩٦٨ العديد من الكتب والكتيبات التى شملت موضوعات متعددة تتعرض لمجالات عمل المركز الرئيسية.
- **«ملف الاهرام الاستراتيجى»** شهرياً باللغة العربية.اعتبارا من يناير ١٩٩٥
- **«مختارات إسرائيلية»** شهرياً باللغة العربية.اعتبارا من يناير ١٩٩٥

عضوية المركز:

يمكن الاشتراك فى عضوية المركز التى تمنح حقوق الحصول على إصدارات المركز وأوراق الندوات وملخصات لورش العمل والحلقات الفكرية التى يعقدها المركز، وتقديرات المواقف والنشرات التى يصدرها فى لحظات الأزمات، وحضور محاضرات المركز ومؤتمره السنوى، فضلاً عن تكليف المركز بأبحاث تدرج فى خطته العلمية مع تغطية العضو لتكلفتها. قيمة رسم اشتراك العضوية سنوياً (عشرة آلاف جنيه للهيئة وخمسة آلاف جنيه للأفراد).

مطابع الأهرام بكورنيش النيل